

مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله

الحسين بن القاسم العياني (ع)

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



تمّ الصف والإخراج

بمركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية

اليمن - صعدة، ت(٧١٦٦٠٦٣٠)، ص ب (٩١٠٦٤)

website: www.azzaidiah.com

مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله

الحسين بن القاسم العياني (ع)

استشهد (٤٠٤) هـ

تحقيق

إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي

عناية الإمام الحجة

مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي

أيده الله تعالى ونفع بعلومه

منشورات

مركز أهل البيت (ع) للدراسات الإسلامية

اليمن - صعدة، ت ٧١٦٦٦٠٦٢٠، ص ب (٩١٠٦٤)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً - وبعد:

يسرّ مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية أن يقدم لك أخي المؤمن الكريم كتاب (**مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني(ع)**)، وذلك ضمن الدفعة الخامسة الصادرة عن المركز عام ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

وخلال ذلك نجدد العهد لله تعالى ولرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- ولأئمة أهل البيت -صلوات الله عليهم - بمواصلة ما بدأناه، والسير قدماً في نشر عقائد أهل البيت(ع) ومذهبهم من خلال نشر تراثهم الفكري، وما خلّفوه من علوم جليلة أسهمت وتُسْهم في صلاح المجتمعات ، والوصول بها إلى السعادة الأبديّة ، دون أن نحاول صياغة عقائدهم حسب ما يروق لنا، ونجعلها سَلِسَة بِسَلاسَةِ عَصْرنا، بل نقدّمها كما قدّمها أئمة الآل، فقد كفونْا المؤونة في ذلك، وما بقي إلا أن نغترف من مائهم الزلال، وما اهتمامنا بذلك إلا لما سبق وذكرناه من أمثال قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[الأحزاب:٣٣] وقوله تعالى: ﴿**إنما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣].

وأمثال قول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- :((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم-:((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى))، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- :((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء)) ، وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- : ((من سرّه أن يحيا حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن

جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتولّ علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليّه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خُلقوا من طينتي ؛ ورُزقوا فهمي وعلمي.....)) الخبر- وقد بيّن - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم -أنهم علي؛ وفاطمة؛ والحسن والحسين وذريتهما - عَلَيْهِم السَّلام - عندما جلّلهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- بكساءٍ وقال: ((اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

وغيرها من النصوص الواضحة الجليّة الدالة على أنهم العروة الوثقى، وحبل الله المتين الأقوى، فمن اعتصم بهم نجا ومن تخلّف عنهم غرق وهوى.

* * * * * * * * * * * * *

وقد صدر عن مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية - بصعدة-:

١- مَطْلَعُ البُدُوْرِ وَمَجْمَعُ البُحُوْرِ "في تراجم رجال الزيدية"، تأليف/ القاضي العلامة المؤرّخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال.

٢- مَطَاْلِعُ الأَنْوَاْرِ وَمَشَاْرِقُ الشُمُوْسِ وَالأَقْمَاْرِ - ديوان الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع).

٣- مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني(ع).

٤- مَحَاسِن الأَزْهَارِفي تَفْصِيْلِ مَنَاقب العِتْرَةِ الأَطْهَاْرِ، شرح القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين عبدالله بن حمزة(ع)، تأليف/ الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلي الهمداني الوادعي رحمه الله تعالى.

٥- مجموع السيد حميدان، تأليف/ السيد العالم نور الدين أبي عبدالله حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي الحسني رضي الله تعالى عنه

٦-السفينة المنجية في مستخلص المرفوع من الأدعية، تأليف/ الإمام أحمد بن هاشم(ع).

٧- لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي - أيده الله تعالى-.

٨- مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي(ع)، تأليف/ الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع).

٩- شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع).

١٠- صفوة الإختيار في أصول الفقه، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة (ع).

١١- المختار من صحيح الأحاديث والآثار من كتب الأئمة الأطهار وشيعتهم الأخيار، تأليف/ السيد العلامة محمد بن يحيى الحوثي حفظه الله.

١٢- هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تأليف/ السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير(ع).

١٣- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تأليف/ الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع).

١٤- المنير - على مذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم - عَلَيْهِمالسَّلام- ، تأليف/ أحمد بن موسى الطبري رضي الله عنه.

١٥- نهاية التنويه في إزهاق التمويه، تأليف السيد الإمام / الهادي بن إبراهيم الوزير(ع).

١٦- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تأليف/ الحاكم الجشمي المحسن بن محمد بن كرامة رحمه الله تعالى.

١٧- عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي - أيده الله تعالى-.

١٨- أخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع)، تأليف/ أحمد بن سهل الرازي رحمه الله تعالى.

١٩- الوافد على العالم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).

٢٠- الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).

٢١-الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي - أيده الله تعالى-.

٢٢- المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكلّ مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل العلفي رضي الله عنه.

٢٣- خمسون خطبة للجمع والأعياد.

٢٤- رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع).

٢٥-الرسالة الصادعة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي - أيده الله تعالى-.

٢٦- إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي - أيده الله تعالى-.

٢٧- الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي - أيده الله تعالى-.

٢٨- النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي رحمه الله تعالى.

٢٩- سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد(ع).

٣٠- الجواب الكاشف للإلتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويليه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى الحوثي حفظه الله تعالى.

٣١- أصول الدين ، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(ع).

٣٢- الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي العلامة عبدالله بن زيد العنسي رحمه الله تعالى.

٣٣- العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدرالدين محمد بن أحمد -عَلَيْهِم السَّلام- .

كما شارك مركز أهل البيت(ع) للدراسات الإسلامية -بصعدة- بالتعاون مع مؤسسة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية في إخراج:

٣٤- مجموع رسائل الإمام الهادي(ع)، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم(ع).

٣٥- العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع).

٣٦- المصابيح وتتمته، تأليف/ السيد الإمام أبي العباس الحسني(ع)، والتتمة لعلي بن بلال رضي الله عنه.

٣٧- الموعظة الحسنة، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحوثي(ع).

ومع مكتبة التراث الإسلامي:

٣٨- البدور المضيئة جوابات الأسئلة الضحيانية، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحوثي(ع).

وهناك الكثير الطيّب في طريقه للخروج إلى النور إنشاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

* * * * * * * * * * * * *

ونتقدّم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل الجليل إلى النور -وهم كُثُر- ونسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة. وأخصّ بالذكر الإخوان الكرام: علي بن مجدالدين بن محمد المؤيدي، هادي بن حسن بن هادي الحمزي، إسماعيل بن مجدالدين بن محمد المؤيدي، صالح علي علي أبو زيد.

والذين كان لهم الدور الفاعل والبارز في جميع إصدارات المركز.

هذا وقد تفضّل شيخنا السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى بالتعليق على مواضع عديدة في هذا الكتاب تجدها -إنشاء الله - مثبتـــةً في مواضعهـــا، فجزاه الله خير الجزاء.

* * * * * * *

وختاماً نتشرّف بإهداء هذا العمل المتواضع إلى مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -أيده الله تعالى وأدام في الدارين علاه- باعث كنوز أهل البيـــت(ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت(ع) وشيعتهم الأبرار رضـــي الله عنهم.

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المركز/

إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

١٠/ محرم ١٤٢٥هـ، ١/٣/٢٠٠٤م

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، وغافر ذنوب التائبين، وأرحم الراحمين، نحمده حمد الاعتراف بالتقصير، والإقرار بالذنب الكبير.

ونشهد أن لا إله إلا الله الواحد الحميد، صادق الوعد والوعيد، وأن محمداً عبده ورسوله إلى الثقلين، ورحمته لكافة الخلق أجمعين.

وبعد:

فإن من أجلّ النعم إخراج كتب الآل إلى النور، ليستفيد منها الناس، ويطّلعوا على العلوم المكنونة، والأسرار المخزونة.

وقد تمّ بحمد الله ومنّه العثور على هذا المجموع الذي بين يديك الكريمتين وهو (**مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم العياني -عَلَيْه السَّلام-**) وليس هو في الحقيقة إلا مجموع لطيف، لبعض مؤلفاته لعدم العثور على ما تبقى.

وهو من روائع التراث الزيدي، بل الإسلامي، ولقد غنيت المكتبة الإسلامية بوجود هذا وأمثاله من كتب الأئمة -عليهم السلام- فيها.

ونحن نود الإشارة في هذه المقدمة إلى موضوعين رئيسيين هامين:

الموضوع الأول: في ترجمة المؤلف -عَلَيْه السَّلام-.

الموضوع الثاني: حول الرسائل ومواضيعها.

ترجمة المؤلف

أما المؤلف: فهو الإمام المهدي للدين، والقائم بأمر الله، الشهيد السعيد، الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبدالله بن الإمام قاموس آل محمد محمد بن الإمام ترجمان الدين نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام-.

ولد -عَلَيْه السَّلام-: (٣٧٦هـ).

ونشأ مع والده الإمام المنصور بالله القاسم العياني -عَلَيْه السَّلام-؛ قال الفقيه حميد الشهيد في الحدائق الوردية: (كان من عيون العترة في زمانه، وتيجانهم المكللة في أوانه، برز في العلم حتى فاق أهل عصره، وسبق فيه أبناء دهره، وهو غصن خلافة نضير، وروضة فضل وغدير، مشهور بالزهادة، معروف بالعبادة)[1].

دعا إلى الله بالإمامة بعد وفاة والده الإمام المنصور بالله سنة (٣٩٣هـ)، وعمره سبعة عشر سنة لا غير، بعد أن حاز من العلوم ما تحتار فيه الأفكار، وبلغ فيها مبلغاً تنبهر له الأبصار، حتى فاق الأقران، وأربى على أهل الزمان.

وما هو إلا آية من آيات الله، ومعجزة من معجزات رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم-.

وملك -عَلَيْه السَّلام- في أيام إمامته من ألْهان إلى صعدة وصنعاء، ودارت بينه وبين الصليحي معارك كثيرة.

وكان في زمانه كثير من المعارضات التي واجهته -عَلَيْه السَّلام- ولقي العديد من المقاومات من الكثير من الأعداء، وكثرت عليه الافتراءات والإشاعات الزائفة، وكثر حساده وأعداؤه المعارضون؛ وهذا دأب كل ذي شأن، لا بد له من أعداء في كل زمان، فرويت عنه أقوال هو متنزه عنها، وبعيد كل البعد عن الاعتقاد لها.

ولضياع سيرته -عَلَيْه السَّلام- ضاعت الكثير من أخباره، وفقدنا الشيء العظيم من أحواله.

وقد استشهد -عَلَيْه السَّلام- في وقعة مع الصليحي بذي عرار سنة (٤٠٤هـ) قتله رجل من بني ربيح، وعمره نيف وعشرون سنة، وأعقب ابنتين فقط، ولا عقب له من الذكور.

---

[1]- الحدائق الوردية (٢/١٢٠).

وقد أكرمه الله تعالى بكرامة بعد قتله: وهي أن قاتله قرّبت له نار ليتبخر بها فاحترق بها.

وقبره -عَلَيْه السَّلام- في (ريدة) مشهور مزور، وعليه قبة وتابوت.

ومما يدل على فضله -عَلَيْه السَّلام- واشتهار حاله، وعلو شأنه، أنها غلت فيه فرقة، وتسمت باسمه يقال لها (الحسينية)، وقد انتهت وانقرضت.

الأقوال المنسوبة إلى الإمام المهدي (ع)

الإمام المهدي لدين الله -عَلَيْه السَّلام- كان أكثر أهل زمانه علماً، وأعظمهم زهداً، وأخشنهم لباساً، من أعلام العترة النبوية، وأئمة العصابة الزيدية، وكل ذي شأن لا بد له من أعداء، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [الفرقان:٣١]، ﴿**شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام:١١٢]، ولكثرة أعدائه راجت الشبه المفتراة حوله، ولصغر سنه، ووفور علمه ورجاحة عقله كثر الحاسدون له، ولكونه من أسرة الإمامة والعلم كثر خصماؤه.

أما الأقوال التي حكيت عن الإمام المهدي -عَلَيْه السَّلام- فهي:

١-أنه أفضل من النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم-.

٢-أن كلامه أبهر من القرآن.

٣-أنه المهدي المبشر به في آخر الزمان.

ولا بد أن نبحث عن أسباب هذه الأقوال، ثم نحكم من خلال الأسباب وإبطالها على صحتها أو بطلانها.

فليس كل ما يروى صدق، ولا كل ما يقال حق، فلا يقبل من الأقوال إلا ما كتبه في كتبه ورسائله، أو رواه الثقات العدول الأثبات عنه؛ و لم نجد في كلامه ما يدل على ما رُوي عنه من ضلالات، بل العكس.

الأسباب التي اشتهرت بسببها تلك الأقوال الباطلة

وتعود الأسباب في حكاية ما تقدم عن المهدي -عَلَيْه السَّلام- إلى العوامل الآتية:

١-كثرة الأعداء والحساد الذين روّجوا ونشروا ذلك.

٢-ظهور فرقة (الحسينية) التي انتسبت إليه -عَلَيْه السَّلام- وبنت لها أقوالاً وادّعت نسبتها إليه.

ولنقف عند كل سبب من الأسباب ونعالجه بالبحث والإنصاف.

كثرة الأعداء والحساد

أما السبب الأول

فقد كثر أعداؤه من المطرّفية، وحساده من المخالفين والمعارضين له، ومع عدم تلك الحكايات في كتبه، بل ووجود ما يخالفها بالنص الصريح، نقطع بأن ذلك غير صحيح عنه -عَلَيْه السَّلام-.

وسنورد بعض كلامه -عَلَيْه السَّلام- في بعض كتبه ورسله فيما يخالف هذه الحكايات.

ظهور الفرقة الحسينية

وأما السبب الثاني:

وهو ظهور الحسينية، فظهور الطوائف والفرق وانتسابها إلى العظماء والفضلاء، فلا يدل على أن كل ما يدعون من الأقوال يقول بها من ينتسبون إليه.

فإن الفرق المغالية تدعي لرؤسائها من الفضائل ما ليس في الحسبان، وما لا يقولون به.

وإلا لزم أن نضيف إلى أمير المؤمنين -عَلَيْه السَّلام- ما غالت فيه الفرق الضالة.

ولزم أن نضيف إلى عيسى -صلوات الله عليه- ما غالته فيه فرقة من النصارى من أنه ربّ.

وهذا غير وارد، ولا لازم على هذه القواعد.

وهذه الفرقة قد انقرضت، ومن أقوالها في المهدي -عَلَيْه السَّلام- أيضاً:

أنه حي لم يمت، وأنه سيرجع إلى الأرض ويملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه غائب.

ما رواه الإمام أحمد بن سليمان في الحكمة الدرية

أعظم ما يتمسك به أعداء الحسين بن القاسم -عَلَيْه السَّلام- ما رواه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان -عَلَيْه السَّلام- عنه من الأقوال في الحكمة الدرية.

والجواب عن ذلك من وجهين:

الأول: أن (الحكمة الدرية) التي روي فيها هذا الكلام قد زِيْد فيها ونُقّص، وعبثت بها أيدي الخصوم، ورويت فيها أشياء لم تصح عن الإمام المتوكل على الله -عَلَيْه السَّلام-، مما دعا بعض علماء أهل البيت -عليهم السلام- إلى إخراجها عن حيّز تعداد مؤلفاته -عَلَيْه السَّلام- كما قال مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -أيده الله تعالى-: وأما الحكمة الدرية ففيها ما لم يصح، ولهذا لم نعدها من مؤلفاته -عَلَيْه السَّلام- بهذا اللفظ أو ما في معناه.

الثاني: أنه -عَلَيْه السَّلام- قد نزّه الحسين بن القاسم عن ذلك في كتابه (حقائق المعرفة) حيث قال: (ونحن ننفي عنه هذا الكلام ونقول: هو مكذوب عليه، ولا يصح عنه، وهذا ادعاء باطل وفساده ظاهر، وإنما أردنا أن نبين القول فيه لأن قوماً بين أخوته وشيعته قد صاروا يرون هذا ديناً، وقد صاروا فرقة يناظرون عليه، ويحيون ويموتون عليه).

فهذا الكلام عن الإمام المتوكل على الله -عَلَيْه السَّلام- دليل على أن ما في الحكمة مكذوب عليه.

ومن المؤرخين الذين نقلوا هذه الحكايات عن الإمام المهدي -عَلَيْه السَّلام-: مسلم اللحجي، وهو مطرفي من أعداء الإمام -عَلَيْه السَّلام- فلا يقبل قوله فيه، وما ذكره في تاريخ بني الوزير فهو عن مسلم اللحجي الذي لم يزل قلمه ثالباً لأئمة العترة، ولسانه طاعناً في أعراض الأئمة -عليهم السلام-.

شذرات من كلام الإمام المهدي تبرئه عن تلك الأقوال

وأما كلامه -عَلَيْه السَّلام- الذي أودعه في كتبه ومؤلفاته مما يدل على خلاف ما

حكي عنه فكثير، ولنذكر بعض ذلك.

وقد ألّف السيد العلامة الكبير حميدان بن يحيى القاسمي -رضوان الله عليه- رسالة سماها (بيان الإشكال فيما حكي عن المهدي -عَلَيْه السَّلام- من الأقوال) وسننقل عنها:

١- في معارضة ما حكي عنه أنه أفضل من النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- قال -عَلَيْه السَّلام- في بعض أجوبته على عبدالملك بن غطريف:

(وذكرت أني فضلت نفسي على الأنبياء، وحاشا لله ما قلت ذلك في شيء من الكلام..إلى قوله: فمتى سمعت أني فضلت نفسي عليهم، أو ذكرت أني أعلم وأبدع منهم، ما حسبت إلا أن ذلك نقل إليك، واشتبه اللفظ والكلام عليك).

وقال -عَلَيْه السَّلام- في كتاب الرد على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين:

(وليعلم من سمع قولنا، أو فهم تأويلنا، أن الوحي الذي ذكرناه فيما تقدم من كلامنا، الذي ختمه الله بنبينا هو هبوط الملائكة، وما كان يسمع موسى من المخاطبة؛ فذلك الذي ختمه الله وقطعه بعد محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم-؛ لأنه علم أنه أفضل الآدميين ففرق بينه وبين أهل بيته أجمعين، بأن جعلهم له تابعين، وبشريعته مقتدين، ولو علم في ذريته أفضل منه، لأزاح ختم النبوة عنه، ولجعل بعده أنبياء مثله، ولما أبان على فضلهم فضله).

وقال -عَلَيْه السَّلام- في كتاب التوفيق والتسديد:

(وأفضل الناس كلهم فضلاً، وأكملهم ديناً وورعاً: محمد خاتم النبيين، صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين).

٢-وفي معارضة ما حكي عنه أن كلامه أبهر من القرآن:

قال -عَلَيْه السَّلام- في (تثبيت إمامة أبيه):

(ولا يقول أحد أن كتب الأئمة أولى من كتاب الله بالصدق، وأقرب إلى الصواب والحق).

وقال -عَلَيْه السَّلام- في تفسير غريب سورة الأنعام:

(ولا نعلم دليلاً أبين من القرآن، ولا أشفى ولا أوضح من الفرقان).

وقال فيه أيضاً:

(فأما أن يأتي أحد بمثل آية من كتاب الله فلا يدعي ذلك إلا كاذب).

وأما ما حكي من قوله أنه المهدي المبشر به؛

فلا يخلو من أن يكون أخذ هذا القول عنه من تلقبه بالمهدي أو من ادعائه ذلك.

فإن كان من تلقبه بالمهدي فلا حجة في ذلك، فأئمة أهل البيت -عليهم السلام- الذين تلقبوا بالمهدي كثيرون كالمهدي لدين الله محمد بن عبدالله النفس الزكية، والمهدي لدين الله أحمد بن الحسين الشهيد، والمهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى، والمهدي لدين الله علي بن محمد العابد، وغيرهم من الأئمة -عليهم السلام-، ولا يقال بأنهم قد ادعوا أنهم المهدي المنتظر.

بل قد قيل في بعضهم أنه هو فلما مات رجعوا عن ذلك كالنفس الزكية وأحمد بن الحسين -عليهما السلام-.

وإن كان ادعى ذلك؛ فهو وكل إمام في الحقيقة مهدي لدين الله، ومقتله -عَلَيْه السَّلام- بين أنه ليس المهدي المنتظر.

فهذه بعض الأدلة على تنزيه وتبرئة ساحة المهدي الحسين بن القاسم العياني -عَلَيْه السَّلام- عن هذه الافتراءات وفيها لمن طلب الحق مقنع، وسيظهر للمنصف من خلال هذا المجموع المبارك مزيد تيقن أن الحسين -عَلَيْه السَّلام- بعيد كل البعد عن تلك الخرافات.

الأئمة والعلماء الذين أثنوا على المهدي ونزهوه

ولإزاحة ما قد يجول في الخاطر نذكر بعض الأئمة -عليهم السلام- وعلماء أهل البيت وشيعتهم الذين أثنوا على الإمام المهدي -عَلَيْه السَّلام- وعدوه من الأئمة الدعاة المفترضة طاعتهم:

١-الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان -عَلَيْه السَّلام- قال في حقائق المعرفة في سياق تعداد أئمة أهل البيت -عليهم السلام- الدعاة:

(ثم قام من بعده -أي الإمام القاسم العياني- ولده الحسين بن القاسم فدعا إلى طاعته وإلى الجهاد في سبيل الله)، ثم ذكر عنه بعض ما سبق ثم برأه من ذلك ونزهه كما حكينا ذلك سابقاً.

٢-الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة -عَلَيْه السَّلام- قال في أرجوزة الرسالة الناصحة للإخوان:

وقال في ذاك الإمام القاسم وسبطه الفذ الحسين العالم
قولاً كدر قد حلاه الناظم يعرفه الحبر اللبيب الفاهم

ثم قال في شرحها: يريد بذلك ولده الحسين بن القاسم -عليهما السلام- المهدي لدين الله -صلوات الله عليه- وكان -عَلَيْه السَّلام- طبقة زمانه علماً وكرماً، وهدى وخشونة وعبادة وشجاعة، قام ودعا إلى نفسه فبايعه المستبصرون من أهل زمانه، فسار في الرعية أحسن سيرة، وأجاب كل سائل، وبسط العلوم، وصنف كتباً كثيرة في التوحيد والعدل، شهرتها تغني عن تعيينها بالذكر، وفسر القرآن تفسيراً جامعاً، ونشر الكلام في فضل أهل البيت -عليهم السلام-..إلخ كلامه.

٣-الإمام الداعي إلى الله يحيى بن المحسن بن محفوظ -عَلَيْه السَّلام-؛ قال في أرجوزته الفائقة:

كذاك قام العالم الرسي ليس له في العصر ذاك سيّ
ثم الحسين الطاهر الزكي بشر قد قيل به النبي
سُمِّي باسم أحد السبطين يثبت الأمر قرير عين
منزه عن دون وشين وعن غلو خارج ومين

صلـــى عليـــه خــــالق العصريــــن

قـــام علـــى رأس المئـــين الخمـــس	ورأســـها أولهـــا بـــالجنس
مجـــاهداً بمالـــه والنفـــس	وآلـــه كـــل كريـــم النفـــس

وفضلـــه مشـــتهر كالشـــمس

٤-الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين -عَلَيْه السَّلام-:

قال في أرجوزة أنوار اليقين:

أو كالحســين الفــاطمي المهــدي	العــالم المحيــي رســوم المجــد
خــير كهــول عصــره والمــرد	ومنبــع العلــم وبــاب الرشــد

٥-السيد العلامة الكبير نور الدين حميدان بن يحيى حميدان -عَلَيْه السَّلام- ألــف في تنزيه وتبرئة الحسين بن القاسم العياني رسالة أسماها (بيان الإشكال فيما روي عن المهدي من الأقوال) قال فيها:

(فإنه لما صحت لنا إمامة الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عَلَيْه السَّـلام- لأجل تكامل شروط الإمامة المعتبرة في كل إمام، ولما خصه الله به من الفضائل والخصائص المشهورة، ولما وضع على صغر سنه من العلوم الباهرة الكثيرة، ولحسن سياسته وسـيرته، وظهور عدله ولطفه برعيته، واستظهاره بما أوضح من الأدلة الدامغة لجميع مخالفيه، ولمـا روي من إشارة النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- إلى قيامه في الوقت الذي قـام فيـه وأشباه ذلك، مما عجز رفضته عن إنكاره لاشتهاره..إلخ رسالته -عَلَيْه السَّلام-.

٦-الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلي:

ترجمه في الحدائق الوردية وأثنى عليه ثناءً عظيماً، و لم يذكر عنه شيئاً مما حكي عنه من الأقوال، و لم ينسبها إليه.

وألف رسالة أسماها (الزاجرة لذوي النهى عن الغلو في أئمة الهدى) وقد أثنى عليه فيها و لم يضف تلك الأقوال إليه بل قال -رضي الله عنه-:

(وقال جماعة من الزيدية في المدة الأخيرة بحياة الإمام الفاضل المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهم السلام-، وأنه المهدي لدين الله الذي بشر به رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم-، وأنه لا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأفرط منهم جماعة حتى اعتقدوا أنه أفضل من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم-.

وقال بعضهم إن كلامه أبهر من كلام الله تعالى).

فانظر إلى العلماء، أهل النظر والتمييز، الذين لا يتخبطون، وعن أعراض الأئمة الطاهرة يتورعون، كيف أضاف تلك الأقوال إلى الشيعة المغالين في المهدي -عَلَيْه السَّلام-، ثم ساق في الرد بأوضح بيان.

..إلى قوله -عَلَيْه السَّلام-:

(فاعلم أولاً أنه -سلام الله عليه وعلى آبائه الأكرمين- من أئمة الهدى، وبدور الدجى، وممن غزر فهمه، واتسع علمه، وعظم جهاده، وله التصانيف الحسنة، والكتب المستحسنة على المخالفين في العدل والتوحيد، إلا أنه لا يجوز لمسلم أن يعتقد أنه أفضل من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم-)..إلخ الرسالة وهي بحمد الله موجودة لدينا منها نسخة.

٧-السيد العلامة الكبير الهادي بن إبراهيم الوزير في (هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين) قال فيها:

(كان من عيون العترة في زمانه، وتيجانهم المكللة في أوانه، مشهور بالعلم والعبادة، معروف بالفضل والزهادة، وله -عَلَيْه السَّلام- التصانيف الرائقة في علم الكلام، والكتب الفائقة على مخالفي العترة -عليهم السلام-)..إلى آخر ما ذكره.

وقال في قصيدته التي عدد فيها أهل العدل والتوحيد المسماة بـ(رياض الأبصار):

وبالنور من أنواره سبطه الذي به ضل قوم وهو غير مضلل

٨-الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد بن الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى ذكره في قصيدته في تعداد الأئمة -عليهم السلام- حيث يقول:

وقاسم أيضاً والحسين بن قاسم إمام هدى دفاع كل ملمة

فلو كان ضالاً، أو مخالفاً لَمَا قال فيه إمام هدى دفاع كل ملمة، ولَمَا عده وذكره في معرض أئمة أهل البيت الدعاة -عليهم السلام-.

٩-السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي قال في اللآلئ المضيئة في شرح البسامة:

(وما شنع به مسلم اللحجي عليهما -أي على القاسم العياني وولده الحسين- وبهتهما به، لا يحط من رتبتهما، ولا يقبله إلا من انخرط في سلك أعداء أهل البيت، فإن شهرة فضلهما، وعلو قدرهما، وكثرة عنايتهما بأمر الدين، وما شحناه في كتبهما ورسائلهما من العلم الواسع، والرد على من خالف العترة الزكية، أوضح الأدلة لذوي الأبصار).

١٠-ومنهم العلامة البليغ المتكلم محمد بن جعفر بن الشبيل، كان مثنياً على الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني -عَلَيْه السَّلام-، ولما اطلع على ما كتبه السيد حميدان في مجموعه قال:

هذا إمام عالم عامل أبرأ إلى الرحمن من بغضه

ومن موالاة لأعدائه ومن غلو فيه أو رفضه

قف واتق الله إله السماء | يا أيها الطاعن في عرضه
إن كنت منه اليوم مستقرضاً | ففي غد تندم من قرضه
أدين أن الحق ما قاله | من صفة الله ومن فرضه
صلى عليه الله من راحض | طاب وطاب الدين من رحضه

١١-الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -أيده الله تعالى-: ذكره في الزلف الإمامية وشرحها التحف الفاطمية وقال:

ومن في عيان أعلن الدين وابنه | وقد خانه من للديانة خالع

ثم ترجم له -حفظه الله- فقال:

(الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عَلَيْه السَّلام- دعا بعد وفاة أبيه، وكان من كبار علماء الآل، وله آثار جمة، وانتفع بعلومه الأئمة، وقد روي عنه أشياء خارجة عن سنن أهل البيت (ع) رواها الإمام أحمد بن سليمان، وأما الإمام عبدالله بن حمزة فقد سمعت نقله عنه في الرسالة الناصحة وثناءه عليه، وكلام هذا الإمام في كتاب الرحمة وغيره من رواية السيد العالم الكبير حميدان بن يحيى القاسمي يقتضي بأن مذهبه وعقائده عقائد الإمام الهادي وابنه المرتضى وهي التي ارتضاها الله لعباده، وتبرأ إلى الله من كل ما نسب إليه خلاف ذلك، ولعله لُبّس على الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان(ع) لكثرة أعدائه[1] في ذلك العصر، وقد كان عليه السلام كثير التشكي من المحرفين لكلامه......إلخ).

وقد رأيت نقل ما جاء في كتاب التحف شرح الزلف (ص / ط٣) للإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -أيده الله تعالى- لمناسبته، قال فيه: "وقد ذكر

[1] - أي الإمام الحسين بن القاسم(ع).

الولد العلامة الصفي أحمد بن محمد الشامي في كتابه (تاريخ اليمن الفكري) ما ذكرناه من سيرة الإمام القاسم بن علي العياني وولده الحسين، فقال: (ومع الإحترام والتقدير لآراء شيخنا العلامة مجد الدين أطال الله عمره، وقوله: (ولعله لبس على الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان لكثرة أعداءِه في ذلك العصر)، وقد سبق نقل كلام أحمد بن سليمان عن صاحب الطبقات ، وهو واضح وصريح يشهد بأنه قد رأى كتاب المهدي والجواب عليه بنفسه) انتهى.

فأقول وبالله التوفيق: لكنه ليس بواضح ولا صريح في أنه لم يُزَوَّر ذلك الكتاب على الإمام الحسين، وأنه كتب على لسانه، وإن كان قد رأى الإمام أحمد الكتاب والجواب، ولقد نزّه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان الإمام الحسين عليهم السلام في كتاب حقائق المعرفة، وقطع بعدم صدور ذلك عنه، ونقل المؤلف الصفي ما ذكر عنه في الحكمة الدرية، وفيها دسٌّ كثير على الإمام أحمد بن سليمان، ولهذا لم أعدّها من مؤلفاته، وقد تبرأ عمّا فيها من الدس شيخنا الحافظ فخر آل محمد عليهم السلام عبدالله بن الإمام الحسن بن يحيى القاسمي المؤيدي رضي الله عنهم في إجازته لي، وكذا غيره من الأعلام، وذلك واضح لمن نظر فيها بعين التحقيق، والله ولي التوفيق.

قال الصفي: (فإن أستاذنا الجليل لم يُوفّق حين استشهد بالآية الكريمة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[التوبة:٣٢]، وكيف وممن شنّع على المهدي العياني الإمام أحمد بن سليمان...إلى قوله: لكن لهوى النفوس سريرة لا تعلم..إلخ).

وقد علّقت عليه بقولي: أقول وبالله التوفيق: بل لم يوفق و لم يسدد الولد الصفي المؤلف سامحه الله تعالى في تجاهله لما هو أوضح من أن يوضح، وأبين من أن يبين من أن المراد بالاستشهاد بالآية الكريمة هم أعداء كل ذي شأن من الأنبياء والمرسلين، والأئمة الهادين، وأعلام الدين.

أما الإمام الأعظم المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليهم السلام فقد صرّح في حقائق المعرفة بتنزيه الإمام الحسين بن القاسم، وقطع بعدم صدور ذلك الكتاب عنه،

وقال ـــ بعد حكايته لذلك المكتوب ـــ ما لفظه: (ونحن ننفي عنه هذا الكلام ونقول: هو مكذوب عليه ولا يصح عنه)..إلى آخر كلامه عليه السلام، ولعل الصفي لم يطلع على حقائق المعرفة، أو اطلع عليه وأغمض عنه، فما أحقه بقول الشاعر:

نعرف الحق ثم نعرض عنه ونراه ونحن عنه نميل

وما أحقّه بأن يوجه إليه ما استشهد به:

لهوى النفوس سريرة لا تعلم كم حار فيها عالم متكلم

فيا عجباً من إنكاره علينا بتنزيهنا أئمة الهدى بأدلة كالشمس المضيئة، وتنزيهه للفرقة الغوية المطرفية بالأهواء الردية، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولا يخفى تهافت كلامه وتناقضه، فقد أنكر هذه المؤلفات أولاً، ثم أثبتها ثانياً، ثم ادعى أنه شاركه فيها غيره ثالثاً، وأن لعلها لوالده الإمام القاسم رابعاً، ثم تردد في ذلك خامساً، ثم صرح تصريحاً أنه لم يطلع عليها سادساً !!!.

فأين النقد؟! وأين الدراية والرواية؟! هذا، وقد كان الإتفاق بعد هذا بالمؤلف العلامة الصفي حرسه الله تعالى في شهر رمضان الكريم سنة ١٤١١هـ، وأوضحت له الخطأ الواضح فيما صدر، فاعتذر واعترف، ووعد أنه سيتدارك ذلك بالكتابة، ونحن بانتظار إنجاز ما وعد، وإن كان قد طال الأمد، والله ولي التوفيق، انتهى كلامه أيده الله تعالى.

١٢-السيد العلامة الكبير محمد بن إبراهيم الملقب حورية المؤيدي رحمه الله تعالى:

وجدت له كلاماً علق به على ما ذكر في الحكمة قال فيه:

(الإمام الكبير، الغطمطم الشهير، الذي ذبّ عن مذهب الآل كل شبهة ومقال، لإرضاء ذي العزة والجلال، وصنف التصانيف العجيبة، وأتى بكل منقبة، ترفعه إلى أعلى الرتب، وأبرز كل غريبة، ومذهبه مذهب [الأئمة] القدماء في الأصول، استدلّ بكل منير

من معقول ومنقول، وقد روى عنه الإمام الأعظم المنصور بالله عبدالله بن حمزة، والسيد حميدان بن يحيى القاسمي -رضي الله عنهم- الكثير الطيب في جميع مسائل الأصول.

فهو منزه عن مثل هذه الرذائل، ولا ينبغي تصدير مثل هذه المسائل، عمن هو دونه فكيف به -رضي الله عنه- وهو معدود من معجزات الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسَلَّم-...إلخ كلامه.

كتب الإمام المهدي عَلَيْه السَّلام

اعلم -وفقنا الله وإياك-: أن الإمام المهدي -عَلَيْه السَّلام- قد أغنى المكتبة الإسلامية، بالكتب والرسائل في شتى فنون العلم، وله يد طولى، وبسطة علمية كبرى في العلوم.

فقد حاز درجة الإجتهاد والإمامة وسنه (١٧) عاماً، وعرض نفسه للإختبار، ونصبها على أعين البادين والحضار.

وقد ألف -عَلَيْه السَّلام- مؤلفات كثيرة، وصنف مصنفات عديدة، قيل إنها تبلغ خمساً وسبعين (٧٥) مؤلفاً بين كتاب ورسالة.

وإليك تعدادها وذكر من نسبها أو نقل عنها أو وجودها:

١-تفسير غريب القرآن: (لدينا منه نسخة من سورة الحمد إلى مريم).

٢-كتاب المعجز الباهر في العدل والتوحيد لله العزيز القاهر: وهو ضمن المجموع الذي بين يديك.

٣-كتاب التوحيد والتناهي والتحديد (جزآن): وهو ضمن هذا المجموع.

٤-الرد على الملحدين وغيرهم من فرق الضالين: ضمن هذا المجموع.

٥-كتاب شواهد الصنع والأدلة على وحدانية الله وربوبيته: ضمن هذا المجموع.

٦-كتاب الرد على عبدة النجوم: ضمن هذا المجموع.

٧-كتاب الطبائع: ضمن هذا المجموع.

٨-كتاب التوكل على الله ذي الجلال والرد على المشبهة الضلال: ضمن هذا المجموع.

٩-كتاب الفرق بين الأفعال والرد على الكفرة الضلال: ضمن هذا المجموع.

١٠-كتاب الولاء والبراء مما سأل عنه محمد بن يقضان: ضمن هذا المجموع.

١١-كتاب الأدلة على الله: ضمن هذا المجموع.

١٢-كتاب الأكفاء في الكفاءة في النكاح، لدينا نسخة مصورة منه.

١٣-كتاب الرؤيا: ضمن هذا المجموع.

١٤-كتاب الرد على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين: ضمن هذا المجموع.

١٥-كتاب التوفيق والتسديد: ضمن هذا المجموع.

١٦- كتاب السبيلين العقل والنفس: ضمن هذا المجموع.

١٧-كتاب تفسير الصلاة: ضمن هذا المجموع.

١٨-كتاب الرد على الدعي: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

١٩-كتاب الرد على أهل التقليد والنفاق: ذكره السيد حميدان ونقل منه.

٢٠-كتاب الرحمة وابتداء الله لعباده بالنعمة، ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢١-كتاب تثبيت إمامة أبيه: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢٢-كتاب مهج الحكمة: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢٣-جواب من سأله عن معنى قوله: (إن أدلة المعقول أقطع للملحدين من أدلة المسموع): ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢٤-رسالته إلى شيعة أبيه: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢٥-رسالته إلى شيعة جده القاسم بن إبراهيم -عَلَيْه السَّلام-: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢٦-كتاب الدامغ: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢٧-كتاب الأسرار: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢٨-كتاب الإمامة: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٢٩-كتاب مختصر الأحكام: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٣٠-جواب عبدالملك بن غطريف: ذكره السيد حميدان ونقل عنه.

٣١-التحدي للعلماء والجهال والرد على الزنيم وغيره من الضلال.

٣٢-كتاب نبأ الحكمة: ذكره الإمام الحجة/ مجدالدين المؤيدي -أيده الله تعالى-.

٣٣-كتاب الرد على من أنكر قتل حاتم.

٣٤-مختصر في أصول الدين.

٣٥-كتاب الصفات: ذكره الإمام المهدي -عَلَيْه السَّلام- في كتابه تفسير الغريب.

٣٦-الموعظة.

٣٧-كتاب الدليل على حدوث الأجسام.

٣٨-أجوبة مسائل في التوحيد.

وقد سلك الإمام المهدي -عَلَيْه السَّلام- في كتبه طريقة وأسلوباً خاصاً، يدل على عقلانية الإمام -عَلَيْه السَّلام- وفطنته وذكائه وألمعيته، وحسن تعبيره، وقدرته العلمية على الرد على الخصوم.

وردوده -عَلَيْه السَّلام- على الملل الكفرية، وأهل المذاهب الشركية الردية، من الفضائية والدهرية والفلكية والمنجمة والطبائعية والجوهرية وأهل الكمون والظهور وغيرهم من الفرق، تدل على قوة استدلاله بأدلة يستلزمها الخصم، وترده إلى الحق وهو راغم.

ومن خلال كتبه نستطيع معرفة مذهبه وعقائده.

النسخ المعتمدة

وقد اعتمدت في هذا المجموع على ثلاث نسخ:

الأولى: من مكتبة السيد العلامة محمد بن يحيى الحوثي -حفظه الله تعالى- فيها سبعة من كتب هذا المجموع وهي:

المعجز، والتوحيد، والرد على الملحدين، وشواهد الصنع، والرد على عبدة النجوم، والطبائع، والتوكل على الله ذي الجلال.

والثانية: من مكتبة الأخ عبدالله زيد الحوثي وفيها الكتب المتقدمة إلا كتاب التوكل على الله ذي الجلال.

والثالثة: من مكتبة السيد محمد عبدالعظيم الهادي وفيها من الكتب:

الفرق بين الأفعال، والولاء والبراء، والأدلة على الله، والأكفاء، والرؤيا، والرد على من أنكر الوحي، والتوفيق والتسديد، والسبيلين، وتفسير الصلاة.

فهذا ما تيسر العثور عليه من كتبه -عَلَيْه السَّلام- وما عثرنا عليه فستتم طباعته إن شاء الله تعالى.

وفي الختام: نسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن ينزه ألسنتنا عن أعراض الأئمة الطاهرين، وأن يحشرنا مع محمد وآله الطاهرين، آمين رب العالمين.

إبراهيم يحيى عبدالله الدرسي

الحمزات - صعدة

٢/ شهر رجب/ ١٤٢٤هـ



كتاب المعجز الباهر في العدل والتوحيد لله العزيز القاهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين[1]، وحسبنا الله ونعم الوكيل، أسأل الله التوفيق لهدايته، وأسترشده إلى طاعته، وأسأله النجاة برحمته، وأعوذ به من خذلانه، وأهرب إليه من عصيانه، وأومن به وأتوكل عليه، وأفوض أمري جميعه إليه، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن وعده ووعيده حق، وقوله سبحانه صدق، وأنه عدل في جميع أفعاله، وصادق في جميع أقواله.

وبعد يا أخي فقد سألت عن أفضل ما سأل عنه سائل، أو قال به من الناس قائل: عن الدليل على الله إلهنا وربنا وخالقنا والرد على الزنادقة الملحدين، الكفرة الفجرة الجاحدين، أهل الحيرة والعمى المتلددين الضالين، البكم العمي أشباه النعايم العجم، التي لا تعقل من الأمور إلا ما رأت وجاهرت، ولا تعرف إلا ما شاهدت ونظرت، ولا تميز إلا ما سمعت وأبصرت، ولا تفرق بين الباطل والحق، ولا تميز المحال من الصدق، وأولئك فهم أكثر الأنام، وأشباه سائمة الأنعام.

فكان مما سألت عن الدليل على هذه الفضائية الكفرة، الأنجاس الأرجاس الفجرة، وقد ظفرت إن شاء الله بما طلبت، ووفقت بمن الله إلى ما سألت وأردت، فأسأل الله أن يزيدك إلى هداك هدى، وأن يجعلك راشداً وسديداً، فقليل من الناس من يستدل على الحق بأدلة، ويجتهد في فكاك الشبه المضلة، إذ كانوا عن الله ذاهلين، ولسبب النجاة جاهلين، ولو طلبوا ذلك من أهله لوجدوه، ولو سألوا عن مغرسه لما عدموه.

---

[1] - من هنا إلى باب الرد على من جحد الله وقال بقدم الهواء وغيره من الأشياء ساقط من (أ) وزيادة من (ب).

[الرد على الفضائية في قولهم بقدم الهواء]

واعلم هداك الله وألهمك الله لرشدك وهداك وسددك، أن الفضائية اللُّعَناء، أهل الكفر والحيرة والعمى، اختلفوا بغير برهان، ولا هداية ولا بيان، فتكلمت كل فرقة بوحي شيطانها، وقالت في الله بخذلانها، وتكمهها وعصيانها؛ فأجمعوا كلهم على الجهل، وتكلموا بالمحال والخبل، فزعموا -لعنهم الله- أن الفضاء الهواء المكان الذي فيه الأشياء قديم.

ثم اختلفوا بعد ذلك فيه، فقال أكثرهم : هو شيء قديم ليس بخالق ولا مخلوق ، إلا الفرق الثلاث المشبهة الهلاك فزعمت فرقتان من هذه الثلاث أنه هو الله العلي الأعلى، تبارك الله عن قولهم وتعالى.

ثم اختلفتا في ذلك في عمايتهما، وتكمهما في جهالتهما، فزعمت إحداهما أنه جسم طويل عريض عميق تحويه الجهات الست، وهو جسم لا كسائر الأجسام المجسمات، تعالى عن ذلك رب الأرضين والسماوات.

وزعمت الفرقة الثانية : أنه ليس بجسم من الأجسام وأنه ليس له نهاية ولا له حد، ولا له غاية ولا أمد.

إلا الفرقة الثالثة فهي من الزنادقة فجحدوا وأبطلوا صنع الله له وهم استحقوا في حكم الله العذاب، وخرجوا من الإسلام، لجحدهم لصنع ذي الجلال والإكرام، وسنذكر إن شاء الله فساد ما نطقوا به من المحال، وفاحش ما أتوا به من المقال.

فأول ما نذكره من حده بعمى فكره الضال فقال: ما الفضاء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هو الهواء، المكان الذي فيه الأشياء، والموجود عندنا فهو كل ما سمي وقصد، والعدم فيستحيل أن يوجد، فلو كان الفضاء عدماً لما استحق ذكراً ولا اسماً، وأيضاً فإن لحده طرفاً ، والعدم لا يستحق وصفاً.

وإن أمسك عن السؤال ، وجحد فعل الله بالمقال.

قيل له ولا قوة إلا بالله: أخبرنا عن المعدوم هل يوصف أو يحس ، فيدرك أو يعرف؟

فإن قال: نعم، جعل العدم وجوداً واستغني بجهله عن مناظرته، وإن رجع عن ضلالته وكفره وعمايته فقال: لا يوصف العدم ولا يعرف.

قيل له: فأخبرنا هل بين الأرض والسماء مسافة أم لا؟

فإن قال: لا، كابر لبه، وأنكر عقله، ولم يناظره بعد ذلك إلا مثله.

وإن قال: نعم [بينهما] مسافة، [رجع] صاغراً.

ودليل آخر: يقال له: أخبرنا أعلى المكان من السماء والأرض أقريب، أم بعيد، أم ليس بقريب ولا بعيد؟

فإن جحد المعنيين أكذبته نفسه دون إكذاب غيره.

وإن قال: إنه قريب فهذا ما لا يقول به عاقل.

أيضاً فإنه مع كذبه وادعائه لقربه، قد وصفه وأقر به.

وإن قال بعيد أقر به صاغراً؛ لأن البعد موجود غير معدوم، والقرب والبعد معروفان، ولا تكون الصفة إلا لموصوف، ولا المعرفة إلا لمعروف، فإن [بقي في فريته] ومريته، وشكه وحيرته فقال: إنما البعد صفة للسماء.

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أنا لم نسألك عن بعد السماء ولا عن قربها وإنما المسألة في الأجواء.

ودليل آخر: يقال له أخبرنا عن المكان المتصل بالأرض [هل] هو المكان المتصل بالسماء أم لا غير؟ فإن قال: هو هو جعل الأرض سماء، والسماء أرضاً.

وإن قال: بل المكان المتصل بالأرض غير المكان المتصل بالسماء.

قيل له ولا قوة إلا بالله: فإذا كانا مكانين متغايرين فقد أقررت [باختلافهما] إذ كان كل واحد منهما غير صاحبه، والعدم لا يوصف بصفة ولا صفتين، ولا يكون جزءاً ولا جزئين.

ودليل آخر: يقال له: أخبرنا عن المكان المتصل بالسماء أهو متصل بها أم لا؟

فإن قال: لا ، بان كذبه، وإن قال نعم، قيل له: فقد أقررت بأنه شيء، لأن العدم لا

يوصف بالإتصال والإنفصال.

ودليل آخر: يقال له: هل الموضع المتصل بالسماء مرتفع أو متضع؟

فإن قال: متضع وليس بمرتفع كذب.

وإن قال: بل هو مرتفع شامخ بعيد.

قيل له: قد أقررت بسموه وارتفاعه، ونفيت ما سألناك عنه من اتضاعه، والعدم لا يوصف بارتفاع ولا اتضاع.

ودليل آخر: يقال له: أخبرنا عن المكان الذي سواهما أهو عندك مفترق أو مجتمع؟

فإن قال: بل مجتمع قيل له: فالعدم عندك مجتمع.

ودليل آخر: يقال له: أخبرنا عن الهواء أمسموع عندك أم مبصر؟

فإن قال: مسموع ، كذب وأقر بغير الحق.

وإن قال: بل مبصر؛ قيل له: والعدم يبصر.

ودليل آخر: يقال له: أخبرنا عن المكان أمتحرك أم ساكن؟

فإن قال: لا متحرك ولا ساكن، بان خلله؛ لأن الموجود هو ما وصف من الأشياء وقد بينا صفاته، وإذا صح وجوده لم يوجد إلا لابثاً، واللبث هو السكون والهدو والمقام.

ودليل آخر: يقال له: أخبرنا عن الفضاء أهو ضعيف أم قوي؟

فإن قال: إنه قوي كذب، لأنه يضعف عن حمل الذرة فما دونها، وإذا ضعف فالضعيف موصوف بالضعف وما وصف فهو شيء.

ودليل آخر: يقال: أخبرنا عن الجسم الموجود، والشبح المحدود، كم حدوده؟ فإن كان جاهلاً لم يجب، وإن كان عالماً أجاب، فقال: الجسم تحويه الجهات الست الفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام، فيقال له: أخبرنا عن هذه الجهات أهي شيء أم لا شيء؟

فإن قال: شيء صدق، وإن قال: لا شيء بان خلله، وصح عماه وجهله؛ لأن الجهات ست والعدم ليس بواحد ولا اثنين، ولا جهة ولا جهتين.

ودليل آخر: يقال له: أخبرنا عما يحاد الأرض من المكان أهو عندك أسفله أم أعلاه؟

فإن قال: ليس بأسفله ولا أعلاه كذب وأحال، وكان من أجهل الجهال.

وإن قال: بل أعلاه كذب في المقال.

وإن رجع إلى الحق فقال: بل أسفل المكان محاد الأرض وأعلاه يحاد السماء، قيل له: يا سبحان الله فشيء له أسفل وأعلى يكون عندك عدماً.

وهذا الرد على من قال بإبطال صنع الله الجليل فهو مما لا تنكره العقول، وإنما هلك فيه من هلك لأنه خلق لطيف فيه من تدبير الله ما يدل على حكمة صانعه، وذلك أنه أصل حياة المخلوقين، ودليل على جميع صنع الله في العالمين، وإثبات السماوات والأرضين؛ فلو عدمه الحيوان لهلك، ولما بقي بعد عدمه، فسبحان المدبر الخالق المصور عما يقول الجاهلون، وينسب إليه الضالون.

[صفات الله ذي الجلال]

وأما الفرقتان اللتان زعمتا أنه قديم وهو الله السميع العليم، فتعالى الله عن قولهما، وتقدس عن كفرهما، بل هو الخالق البارئ المصور، الحكيم العالم المدبر، الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، العليم القدير، الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوءاً أحد، فهو لا إله إلا هو، بعيد عن مشابهة المخلوقين، جليل عن مماثلة المربوبين، ليس له حد به يحد، ولا له أجزاء تعد، ولا له غاية ولا أمد، ولا له صفة من الصفات، ولا يدرك بالأوهام الجائلات، ولا يمثل بالمصنوعات، ولا يشبهها في شيء من الحالات، بل متفرد قديم حي صمد، لا يدركه أحد، ولا يحويه أمد، ولا يقع عليه عدد، ولا يبيده أبد، ولا يدركه بصر، ولا يلحقه نظر، ولا يلم به فكر، ولا يقع عليه الوهم، ولا يجوز عليه العدم، ولا تختلف عليه الهمم، ولا يغيره زمان، ولا يشغله شأن عن شان، ولا تختلف عليه الأصوات، ولا يغشاه النور ولا الظلمات، ولا يقع عليه حس، ولا ظن ولا نفس، ولا يعتريه مرية ولا شك ولا حيرة، ولا تمييز ولا فكرة، ولا يخاف الفوت، ولا يذوق الموت، ولا ينسى ولا يضمر، ولا يعتقد

ولا يفكر، ولا يوصف بالبداء، ولا الضلال ولا الهدى، ولا يسهو ولا يغفل، ولا يلهو ولا يعجل، ولا يحار ولا يجهل، ولا يحتاج إلى [مثل]، ولا يخطي ولا يزل، ولا يمل ولا يكل، ولا ينام ولا ييئس، ولا يسام ولا...، ولا يحب ولا يبغض، ولا يريد ولا يعرض، ولا يسقم ولا يمرض، ولا يأمر بالفجور، ولا يشتغل عن التدبير، ولا يقضي بالفساد، ولا يظلم العباد، ولا يأمر بالفجور، ولا المظالم ولا الشرور، وليس بمفترق ولا مجتمع، ولا متحرك ولا ساكن، ولا شبح محدود، ولا جسم معمود، ولا عدد معدود، ولا حركة ولا سكون، ولا لون ولا طعم، ولا رائحة ولا محسة، ولا طول ولا عَرْض، ولا جسم ولا عَرَض.

ولا داخل في الأشياء ملابس، ولا حايل ملامس، ولا حس ولا محس، ولا ملموس ولا لامس، ولا بذي يمين ولا شمال، ولا خلف ولا أمام، ولا فوق ولا تحت، ولا زوال ولا انتقال، ولا طباع ولا افتراق ولا اجتماع، ولا تحير ولا احتيال، ولا بذي كيد ولا احتيال، ذو العظمة والجلال، والجود والإفضال، والجلال والإكرام، والحلم والإنعام، والحكمة والسلطان، والنور والبرهان، الواحد الأزلي، القيوم العلي، الخالق للظلمات والنور، والظل والحرور، الحكيم المدبر، العليم المقدر.

عجزت عن دركه الأبصار، وضلت عنه الظنون والأفكار، و لم تحوه الأقطار، و لم يحط به الليل والنهار، و لم تعتقده القلوب والإضمار، و لم تخف عليه الأسرار، و لم يحتجب عن الأبصار بحجاب، ولا ببعد ولا اقتراب، ولا أنوار ولا ظلمات، ولا أرضين ولا سماوات.

وسنعود إلى ذكر هاتين الفرقتين المشركتين بالله المشبهتين:

[الأدلة على حدوث الهواء]

فإن سأل منهم سائل فقال: ما الدليل على حدث الهواء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على حدثه: أنا وجدناه جسماً مجتمعاً، ولا بد لكل مجموع من جامع، ومفتطر صانع.

ودليل آخر: أنا وجدناه جسماً ضعيفاً، ثم وجدنا هذه الأجسام الثقال مثبتة فيه،

فعلمنا أن الضعيف عن حمل حبة الخردل أعجز عن حمل غيرها من السماوات والأرضين، والخلق أجمعين، ولا بد له من مضعِّف أضعفه، وأدق خلقه وألطفه، وإلا فما الذي جعله ضعيفاً، دون أن يكون قوياً، وما الذي جعله مواتاً دون أن يكون حياً، وما الذي جعله ساكناً دون أن يكون متحركاً مستمراً، وما الذي خالف بين حركاته وسكونه، وخالف بين أعراضه وعينه.

والقديم فيجب أن يكون مؤتلفاً، ويستحيل أن يكون مختلفاً، وإلا فما الذي خالف بين صفاته، وفرق أحواله إلى ذاته.

ودليل آخر: ومنهم مقرون بالقرآن قول الله عز وجل: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام:١٠٣]، والهواء فهو يبصر ويدرك.

ودليل آخر: قول الله سبحانه: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ**﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله سبحانه: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا(١١٠)**﴾ [طه].

فقال عز وجل: لا يحيطون به، والهواء فيحاط بعلمه.

وسنذكر إن شاء الله من الدليل على حدثه ما فيه مقنع لكل مسترشد، وقطع لكل معاند ملحد؛ **فنقول ولا قوة إلا بالله:**

إن الهواء أول ما خلق الله عز وجل والله أعلم وأحكم، ثم نقول: إن الله ألبسه الظلمات، والهواء فلم يخل من الزمان طرفة عين منذ خلقه الله عز وجل، ولم يكن الزمان في حال خلق الله للهواء ليلاً ولا نهاراً، وإنما دلنا على أنه لم يخل من الزمان أنا نظرنا إلى كل مخلوق فإذا هو لا يخلو من الحركة والسكون، وإذا الحركة والسكون لا يوجدان إلا في أقل قليل الأوقات، ولا تكون الحركة إلا في وقت ولو قل وكذلك السكون، والدهر هو عرض خلقه الله مع الهواء فلم يسبق أيهما الآخر أصلاً طرفة عين فما دونها.

ثم أتت الأخبار بأن الله خلق بعده الماء والرياح والنار، ثم خلق جميع الخلائق من هذه الأصول، فانظر أي القولين أولى بالحق والصواب، وأقرب إلى شهادة الألباب، وأبعد من

الشك والإرتياب، أَقَول من قال إنه قديم بغير دليل؟ أم قول من شهدت له حِكَمُ العقول، ورجعت إلى قوله بالقبول، لصنع الواحد الحكيم الجليل، لا تجد لذلك دفعاً، ولا بعده مقنعاً، ولا تملك له أبداً مدفعاً، إلا بالمكابرة والجدال، والزور والجحد والمحال، والحيرة والمرية والضلال، فانظر إلى أولى المعنيين بالحق ، فهما غير متقايسين في الصدق، فاقبل أصدقهما، وأوضحهما دليلاً وأحقهما، وفي ذلك من الدلائل ما لا يدفعه عاقل، غير أنا نميل إلى الإختصار والإيجاز.

[حدود الهواء وتناهيه]

فإن سأل فقال: فهل له حدود يتناهى إليها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: حدوده انقطاعه وعدمه.

فإن قال: فهل له جهات؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ليس له جهات تحويه؛ لأن بعضه جهات لبعض فأعلاه جهة لما دونه، وأسفله جهة لما فوقه، ووسطه جهة لجوانبه.

فإن قال: فإذا قد حددته فقد غايرت بين حدوده، وإذا غايرت بين حدوده فقد جعلتها أماكناً وإذا جعلتها أماكناً فقد أبطلت نهايته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أني ذهبت إلى شيء لم تذهب إليه، واعتمدت على ما لم تعتمد عليه، وذلك أنك ظننت أني حددته بجهات غير حدوده وهذا محال؛ لأني قد نفيت ذلك في مسألتك عن الجهة، وإنما معنى قولي: له حدود أريد بذلك أن منقطعه من أسفله غير منقطع أعلاه، ومنقطع جوانبه غير وسطه، وليس لجوانبه وراء، ولا لأسفله تحت، ولا لأعلاه فوق أصلاً.

فإن تردد في حيرته فقال: فإذا كان له أعلى فكيف لا يكون له فوق، وإذا كان له أسفل فكيف لا يكون له تحت؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه لو كان له فوق لكان للفوق فوق إلى ما لا نهاية له، ولو كان لأسفله تحت لكان للتحت تحت إلى ما لا نهاية، وهذا محال.

فإن قال: ومن أين أبطل ذلك عندك؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: بطل من أجل الدلالة التي ذكرنا لك، وأما قولك إني غايرت بين حدوده، فلعمري لقد غايرت بين أسفله وأعلاه، و لم أقل لك له جهات سواه.

فإن قال: فكيف يكون شيء محدود له أسفل وأعلى ووسط وأجزاء لا جهات له ولا يحويه شيء غيره؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لا يستنكر ذلك من فعل أحكم الحاكمين، وإله العالمين، وأعز الأكرمين، وأعظم الأعظمين، وأرحم الراحمين، ورب العالمين، وفاطر السماوات والأرضين، ومسبب الخيرات، وأقدم الموجودين، ورب الأرباب، وسبب الأسباب، وأحب الأحباب، وخير الأصحاب، حرز من لا حرز له، وكنز من لا كنز له، وأنس من صحب، وخير من أحب، وأرأف معبود، وأحمد محمود، وأحصل مقصود، وأصح موجود، وأقرب مصمود، وأفضل مطلوب، وأول الأوائل، وأفضل الأفاضل.

وأفضل فاضل، وأوصل واصل، وأقدم القدماء، وأحكم الحكماء، وأعلم العلماء، وأحسن الخالقين، وخير الرازقين، أصدق الصادقين، وأسرع الحاسبين، وأقرب الأقربين، ومنجح الطالبين، ومنجى الهاربين، وأحب المحبين، وأشفع الشافعين، وأصنع الصانعين، ومفزع الفازعين، ومقنع القانعين، ومرجع الراجعين، وأسمع السامعين، وأصدق المخبرين، وخير الخابرين، ومجيب المضطرين، وخير الغافرين.

فإن رجع إلى مقالته فقال: أخبرني فهل يحويه شيء أم لا؟ وهل لأعلاه فوق من الأشياء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ليس يحويه شيء أصلاً فما لأعله فوق من الأشياء.

فإن رجع إلى السؤال بجهله، ومكابرة حجة عقله، فقال: وما أنكرت من أن يكون العدم فوقه وحواليه وتحته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله الجليل: كلامك هذا متناقض عند أهل العقول؛ لأنك قلت يحويه العدم والعدم لا شيء، ولا شيء لا يحوي شيئاً، لأن الذي يحوي هو مكان، والمكان

موجود بأبين البيان، فأوجبت أن العدم شيء من الأشياء، وأنه مكان للهواء، وهذا فما لا يقول به من عقل ووعى.

فإن رجع في حيرته وتردد، وكابر معقوله وألحد، فقال: ما العدم الذي وراء الهواء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا من أحول المحال، وأفحش ما قيل له من المقال، وأفسد الفساد وأضل الضلال، لأنك سألت عن لا شيء، وليس عن العدم سؤال، ثم لم ترض أن سألت عن المحال، حتى زعمت أن للهواء وراء، وقد أبطلناه غاية الإبطال، فسؤالك عن الباطل زور وخبل، وتحقيقك للمحال ضلال وجهل، وتحكيمك للظنون لعب وهزل.

* * * * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين[١]

باب الرد على من جحد الله وقال بقدم الهواء وغيره من الأشياء[٢]

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: فإن سأل بعض الملحدين أهل الحيرة المتمردين وقال: ما الدليل على حدث الهواء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على حدثه أنه لم يَخْلُ من الزمان طرفة عين، ووجدنا الزمان محدثاً وهو حينئذ سكون الهواء، فعلمنا أن ما لم ينفك من المحدث و لم يوجد إلا بوجوده أن سبيله في الحدث كسبيله.

فإن قيل: وما الدليل على حدث الزمان؟

---

[١]- زيادة في (ب).

[٢]- من هنا إلى باب الدلالة على حدث الأجسام ناقص في (ب) وزيادة من (أ).

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على حدثه أن كل ساعة لها أول وآخر ، وكل ليلة ، وكذلك كل يوم وشهر ، فكلما حدثت ساعة انقطعت ، فهذا دليل على حدث ما مضى من الزمان فقد انقطع وفني ، وما وقع عليه الانقطاع والفناء فقد تناهى ، بأبين البيان ، وأوضح البرهان.

فإن قال: **وما أنكرت من الزمان أن يكون الزمان الذي هو سكون الهواء قديماً لم يزل على ما نرى ساعة تبقى بعد ساعة وساعة قبل ساعة إلى ما لا نهاية له؟**

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن قولك هذا لا يخلو من أحد وجهين؛ إما أن تكون عنيت به الزمان الذي انقطع ومضى وتصرم وفني، وإما أن تكون عنيت غيره.

فإن كنت عنيت غيره؛ فليس كلامنا إلا فيه، وإن كنت عنيته فكيف لا يتناهى عند من عقل من أهل النهى شيء قد وقع عليه الانقطاع والفناء، وما انقطع وفني فقد تناهى.

ودليل آخر: إما أن تكون عنيت بقولك: كل ما فني ومضى من الزمان الذي هو سكون الهواء، وإما أن تكون عنيت ما بقي منه الآن.

فإن كنتَ تريد ما مضى منه وغبر فقد أجبتَ نفسك من حيث لم تشعر.

وإن كنت عنيت ما بقي من الدهور ، وما هو يمر على الخلق ويدور، من الساعات والأيام والليالي والشهور، فها هو اليوم تمضي ساعة حادثة ويُحْدث غيرها ، فكلها حدثت ساعة ، فثبتت ساعة وتناهت، فهذا دليل على ما مضى من سكون الهواء، ولا يزال ذلك أبداً بإبقاء الله تبارك وتعالى، وسنزيد إن شاء الله بياناً ونوضح لك من ذلك هدىً وبرهاناً، ونسأل الله أن يوفقنا.

فنقول إن شاء الله: ما تقول أيها السائل عن حدث الهواء أهو في ذلك عندك ساكن أم لا؟

فإن قال: ليس بساكن كابر عقله، واستغني عن مناكرته بجهله ، بأن الهواء لابث غير زائل ، لا يمتنع من لبثه عاقل، ولا يكابر فيه عالم ولا جاهل.

وإن أقر بسكونه قيل له: أخبرنا أكله ساكن أم لا؟ فإن قال: إلا بعضه، كذب كذباً

بيناً، وإن قال: بل هو ساكن كله؛ فللكل نهاية وغاية لا تخلو من السكون، والسكون يدل على تناهيه وتحديده ، إذ لا يخلو منه ، ألا ترى أن الشيء إذا لم يخل من صفته فذلك دليل على حدوده ، كمثل اللون والحركة والسكون والمحبة وغيرهنّ من الأعراض ، والكلية والأبعاض.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون الساكن ساكناً إلى ما لا نهاية له؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا محال باطل، لا يقبله من الناس عاقل ، لأن ما صح حدثه فهو كله محدث، ثم نقضت قولك بقولك: لا نهاية له؛ لأن الكل دليل على أنه لم يبق منه شيء حتى حدث بعد عدمه ، فبطل ما ادعيت من قدمه.

ودليل آخر: أن العقل لا يقع إلا على الكل والبعض ، والطول والعرض، ولا يخلو الهواء من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون ساكناً كله، وإما أن يكون بعضه ساكناً وبعضه متحركاً، وإما أن يكون لا ساكناً ولا متحركاً.

فإن قلت: إنه لا ساكن ولا متحرك جحدته، وأبطلت ما بالقدم وصفته؛ بل إن كنت من المشبهة فقد عبَدْتَه.

وإن قلت: بعضه ساكن وبعضه متحرك؛ فقد حددته وناهيته، وقسمته وجزيته، وأجملته وبعضته؛ لأنه إن كان على ما وصفت فهو على ضربين وجزئين موصوفين متناهيين محدودين ، وحالين مختلفين متغايرين معروفين.

فإن قلت: إنه ساكن كله فقد أقررت صاغراً؛ إذ وصفته بالسكون فحددته إذ لم يبقِ منه السكون شيئاً حين جرى عليه، و لم يذر منه قليلاً ولا كثيراً حتى وصل إليه؛ فانظر أي القولين أولى بالحق.

باب الدلالة على حدث الأجسام[1]

---

[1] - من هنا إلى آخر كتاب المعجز تتفق فيه (أ)، و(ب).

ودليل آخر: يقال لمن قال بقدم الأجسام: أخبرنا ما أعظم الأجسام وأجلها؟ فلا بد أن يقول: الأرض والسماء.

فيقال له: أهما في الهواء أم لا؟ [فإن][1] قال: لا، كذب، وإن أقر بذلك صدق، ووجد الأجسام لا تنفك من الهواء، وما لم ينفك من المحدث و لم يوجد إلا بوجوده فهو مثله مكون بكونه.

فإن قال: وما أنكرت من أن تكون الأرض منحدرة سفلاً إلى ما لا يتناهى، وكذلك السماء مصعدة.

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال باطل فاسد، وذلك أنهما مخلوقتان.

فإن قال: وما الدليل على ما ادعيت من حدثهما؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على حدثهما [أنهما][2] لم تنفكا قط من الهواء الذي بينهما، وقد أوضحنا حدث الهواء فيما تقدم من كلامنا، وما لم ينفك من المحدث و لم يكن قبله فسبيله في الحدث سبيله.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون الهواء حدث بعدهما ، و لم يكن معهما ولا قبلهما، ولا هو في القدم مثلهما؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن الأرض لم تخل من التحت، و لم تخل[3] من التباعد والتباين ، و لم تخل السماء من الإرتفاع ، و لم تخل الأرض من الإتضاع، وفوق الأرض فهو الهواء، وكذلك هو تحت السماء ، وهي المسافة بينهما، وهو سبب تباعدهما، وهو الفرق بينهما.

وأيضاً فإنك مقر بأزلية تباينهما، وهذا محال لما بيّنا من كونهما ووجودهما بوجود

---

(١)- زيادة في (ب).

(٢)- ساقط من (ب).

(٣)- و لم يخلوا جميعاً.

هذا الفضاء.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكونا في حال أزليتهما غير مفترقين ثم افترقا؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه حجة عليك لا لك، احتججت بها على نفسك ؛ لأن حدث الإفتراق دليل على المفرق، وافتراقهما بعد اجتماعهما دليل على مفرقهما بعد جمعه، وتنقلهما دليل على صنعه.

ودليل آخر: أنك قلت: افترقتا والافتراق لا يكون إلا في مكان كما وصفنا، وكذلك الإجتماع، ووجود المكان دليل على حدثهما، إذ لم يخل من هذا المكان المحدث الذي بينا حدثه فيما مضى من كلامنا، وإذا لم يسبقه المحدَث -أعني الهواء- و لم يكونا قبلهما، فسبيلهما في الحدث سبيله.

ودليل آخر: أنك قلت: افترقتا والافتراق لا يكون إلا بعد الاجتماع، وإذا كان للاجتماع آخِر فله أول، ويستحيل آخر بلا أول.

ودليل آخر[1]: ألا ترى إليهما إذا كانا لم يزالا مجتمعتين[2] ثم افترقتا فقد بطل ما مضى من كثرة سكونهما واجتماعهما.

ولا يخلو هذا الباطل الذي بطل (وهو سكونهما من أن يكون بطل)[3] كله أو بطل بعضه.

فإن قلت: بطل بعضه؛ فهذا محال، لأنك أقررت بحركة افتراقهما بعد سكون اجتماعهما، وإذا تحركتا فقد بطل كلما مضى من سكونهما[4]، وإذا بطل جميع السكون والساعات الحادثة فقد صح أن لهما عدداً، وإذا صح بأن للساعات عدداً محدثاً وصح بعد

---

[1]- زيادة في (ب).

[2]- في (أ): مختلفتين والصحيح ما في الأصل.

[3]- ما بين القوسين ساقط في (ب).

[4]- في (ب): من كثرة سكونهما.

حدوثه انقطاع جميعه، والأرض والسماء [عندك][(١)] لم يسبقا سكونهما هذا الذي ذكرنا حدث ساعاته وانقطاعها بعد حدوثها.

[احتياج الأجسام في بقائها إلى الأوقات]

ودليل آخر: أن جميع الأجسام من الأرض والسماء وغيرهما من الرياح والماء وجميع ما خلق الله سبحانه وبرى، ودبر وذرى، لا يوجد إلا في وقت وساعات، لأن الأجسام لا تنفك من السكون والحركات، وكل متحرك أو ساكن لا ينفك من أقل قليل الأوقات، وما لم ينفك من الوقت والزمان ، فهو مثله في الحدث والبرهان؛ لأنا قد أوضحنا [لك][(٢)] حدث الأزمان، فانظر كل علة من العلل، وعرض من الأعراض، فلن تجده إلا في جسم من الأجسام، وما لم يوجد إلا بوجود الجسم فلم يسبق الأجسام، وكيف يسبق ما لم يوجد إلا فيه، ولا يستقيم إلا به وعليه، وما لولا هو لما وجد أبد الأبد، ولما رآه من الخلق أحد، مثل اللون لا يوجد أبداً إلا في جسم، فإذا صح حدث الجسم المنفرد بذاته، فعرضه الذي لا يقوم بنفسه، ولا يوجد إلا متعلقاً به، أجدر أن يكون محدثاً، وأحرى بأن يكون مصنوعاً مدبراً.

ثم انظر إذا أردت أن تعرف حدث جميع الأشياء فلن تجده إن شاء الله إلا على ما ذكرنا متحركاً أو ساكناً، ثم انظر إلى الحركة والسكون فلن تجدهما أبداً إلا في وقت ولو قل الوقت.

ثم انظر [إلى حدث الوقت ثم انظر إلى انقطاعه، ثم فرق بين][(٣)] يومك وأمسك، وافرق بين ما تأمل من البقاء وبين الماضي السالف من عمرك الفائت الذي قد مضى، فإنك تجد كل يوم من أيامك السالفة الماضية الذاهبة من عمرك الفانية قد تضمنها الفناء،

---

(١)- ساقط في (ب).

(٢)- زيادة في (ب).

(٣)- زيادة في (ب).

وكذلك تضمن غيرها.

ثم انظر أيضاً أوقع عليها كلها أم لا؟ فإنك إن نظرت وجدت كل ساعة من الساعات والأزمنة الماضية الخالية لم ينقطع آخرها إلا بعد انقطاع أولها، و لم يحدث آخرها إلا بعد حدوث أولها، وكل أول من الزمان حدث وصح حدثه فلم يحدث آخره حتى في أوله، وما لم ينفك من الحدث والفناء فقد تناهى منه كل ما مضى، وبلغ غايته وانقضى، فلم يوجد الزمان إلا على هذين الحالين المتناهيين، الحدوث والفناء، وما صح حدثه ومبتدأه وصح فناه ومنتهاه، و لم توجد الأجسام جميعاً إلا بوجوده فسبيلهما في الحدث كسبيله.

ودليل آخر: لما نظرنا إلى الزمان والهواء فأمكن في المعقول أن ينفردا من الأجسام، علمنا إذ ذلك أنهما كانا قبل الأشياء؛ ثم نظرنا إلى الأشياء فإذا هي لا تنفك منهما، ولا يجوز في المعقول أن تكون قبلهما، فعلمنا أن الأشياء محتاجة إليهما مبنية في الشاهد عليهما.

فلما علمنا أن الأشياء لم تكن قبلهما و لم توجد إلا بوجودهما رجعنا إلى الطلب لحدوثهما والإستدلال على صنع الله فيهما، فنظرنا إلى أجلهما وأوضحهما وهو الهواء هل ينفك طرفة عين أو أقل منها من الزمان؟ فإذا هو لا ينفك منه أصلاً فرجعنا نطلب الدليل على حدث هذا الذي لا ينفك منه شيء من الأشياء ، فوجدنا والحمد لله في ذلك ما كفانا، ووضح لنا فشفانا، وهو ما ذكرنا، ولولا خشية التطويل والإكثار ، لشرحنا من ذلك ما لا يدفعه عاقل أبداً بإنكار.

ثم علمنا أن الله خلقهما جميعاً معاً إذ لم ينفك من الزمان الهواء، ثم نظرنا إلى الزمان فإذا هو عرض من أجل الأعراض، دلنا الله به على حدوث جميع الأجسام، وإبطال دعاوي الطغام، أهل التَكَمُّه في الإظلام، وأشباه عجم الأنعام.

ولما نظرنا إلى هذا الغرض الجليل لم يكن بد له من جسم، فإذاً جسمه هذا المكان ، فيا لمن قال بقدم الطينة الويل، كيف تكون قديمة مع ما بينا من صنع الله الجليل.

فانظر أيها المسترشد إلى ما ذكرنا، فلن تجده بخلاف ما قلنا، ولن يقدر أحد من الملحدين على فساد ما به دنّا، وعلى الله اعتمدنا ، وهو حسبنا وولينا ، وخالقنا ومصورنا، وإلهنا ومدبرنا ، ومخترعنا ومقدرنا ، ورازقنا ومعمرنا ، وآمرنا وزاجرنا ، وواعدنا وموعدنا ، وموفقنا ومسددنا ، ومميتنا ومحيينا، وممرضنا وشافينا، ومطعمنا وساقينا، والذي نرجوا أن يغفر لنا ذنوبنا ، ويعفو عن هفواتنا، ويتجاوز عن سيئاتنا وقبيح فعالنا، وعظيم جرمنا، وسيئ أعمالنا، وأن يبارك لنا في قصر أعمارنا، ونزع أرواحنا من أجسادنا، وألا يخرج أنفسنا إلا من بعد رضائه عنا في سبيله بعد اجتهادنا، ونسأله أن يتفضل بذلك علينا وأن يجعل آخر محنتنا في أعظم ما كلفنا وأزكى ما به أمرنا، وأن يجعل عند ذلك ذكره آخر كلامنا، واليقين به آخر[1] اعتقادنا، والبذل لأجسادنا في سبيله، والغضب له آخر أعمالنا، ولقاه آخر آمالنا، وثوابه آخر سرورنا، وألم الموت آخر محنتنا، والأحداث أول راحتنا، والطاعة أكبر همنا، والعداوة لأعدائه آخر حقدنا، والموالاة لأوليائه آخر ودّنا، وأن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يجعلنا من رفاق نبيه وأحبائه وجيرانه وأوليائه، وأن ينجينا من عذابه وأن يوفقنا لثوابه، فلا قوة لنا إلا به، فما هي إلا مدة سنسأل فيها عن النعيم إن لم نجتهد في الطلب غاية الإجتهاد، ونشمر قبل رحلتنا وطلب الزاد.

فيا عجباً لمن يشتغل عما له خُلِق بالدنيا، وقد وعد بالموت والفناء، ووعد بعد ذلك بالثواب الجزيل إن عمل، أو بالعقاب الجليل إن غفل.

ويا عجباً كيف آثر ما هو عنه زائل على ما هو أحد يوميه إليه راحل، ويا عجباً له كيف يطيل أمله وهو ينتظر دون ذلك أجله! ويا عجباً له كيف يعمر دار غيره ويهدم داره! ويا عجباً له كيف يُحَكِّم على عقله هواه ، ويؤثر على آخرته دنياه! ويا عجباً له كيف يشيد محل رحلته ، ويترك محل إقامته! ويا عجباً له كيف يصلح مال غيره ويفسد

---

[1] في (ب): خاتم.

ماله! ويا عجباً له كيف يجمع ما ينفع غيره ويترك ما ينفعه! ويا عجباً له كيف يجمع ما هو عنه هالك ، وما هو لغيره تارك!!

وسنعود إلى بيان صنع الله وحكمته ، [وما هو أكثر من الأدلة برحمته][1] **فنقول:**

[الأدلة على حدوث السماوات والأرض]

إن أعظم الدلائل على الله سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه، ما فطر من الأرضين والسماوات العلا، وصنع منهما تبارك وتعالى.

فإن سأل سائل عن بيان صنع الله فيهما وتدبيره وحكمته وتقديره؟

فجوابنا له في ذلك وبالله نستعين: ما شاهدنا من إثبات السماوات بلا عمد، وإثبات الأرضين، ففي ذلك أدل الدلائل على رب العالمين.

ودليل آخر: أنا نظرنا إليهما فإذا هما موصولتان مجتمعتان، ولا بد لكل توصيل من مُوَصِّل، ولا بد لكل تفصيل من مُفَصِّل، ولا بد لكل مجموع من جامع، ولكل مصنوع محدَث من صانع، وهو الله رب العالمين.

فإن قال: وما أنكرت من أن تكون الأرض لا نهاية لها، وكذلك السماء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن ما صح حدثه فقد صح منتهاه، ولا بد لكل مخلوق من غاية يتناهى إليها، وصفة لا يوجد إلا عليها، إذ لا بد للمخلوق من تحديد محدد والإحاطة بعلمه، ولا بد له من منقطع يدل على قاطعه، وحدود تدل على محدده وصانعه[2]، وسنبين من ذلك إن شاء الله تعالى طرفاً نكتفي به عن التطويل من صنع الله العظيم الجليل.

وكذلك أنا نظرنا إلى الأرض فإذا هي مختلفة الألوان والأقدار؛ فعلمنا أن لها صانعاً خالقاً باين أجناسها ، ولو كانت قديمة لاتفقت ولما تفاوتت ولا اختلفت؛ لأن القديم لا

---

(1)- زيادة في (أ).

(2)- ناقص من (ب).

فرق بينه في حال من الأحوال، والمحدث فقد فرق بينه ذو الجلال.

والدليل[١] على نهاية جميع المصنوعات من الأهوية والأرض والسماوات: أنها لا تخلو من أحد وجهين؛ إما أن يكون صانعها قد فرغ من صنعتها وقطعها، وإما أن تكون ناقصة بعدما ابتدعها.

فإن كان الصانع قد أتم صُنْعَه ، وفرغ من العالم وقَطْعَه، فقد صح تناهيه لانقطاعه، وحدده الصانع بعد ابتداعه.

وإن كان هذا العالم محتاجاً إلى التمام فناقصه ذو الجلال والإكرام، وما كان ناقصاً عن الكمال فهو مقطوع، وما كان له مُنقَطَعٌ فهو مصنوع، والله محدثه وصانعه، ومحدده وقاطعه.

فإن قال: فكيف تَثْبُتُ الأرضُ على ثقلها بغير عمد يعمدها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: قد قيل في ذلك: إنها ثبتت من قِبَل الإعتدال، ثم هذا نقول[٢] من أحول المحال؛ لأنا نجد ما كان ثقيلاً لا يثبت بغير عمد وإن كان معتدلاً.

وقيل أيضاً: إنها على لجج البحار، ويستحيل كون الأرض على الأنهار، لما طبعت عليه من الإنحدار، وقلة اللبث والقرار.

وقيل: إنها لم تزل تهوي بما عليها من أجل قوّتها وثقلها.

وهذا من أضعف المقال، وهو قول الزنادقة الجهال، الكفرة الفجرة الضلال، أنها لم تزل تهوي بمن عليها، وهذا مما لا يقول[٣] به أحد يعقل ولا يعي، ولا يتكلم بهذا إلا من سلب عقله، وعظم موته وجهله، وحل هلاكه وخبله؛ لأنها لو كانت تحرك على عظمها وجلتها لهلك من على ظهرها، ولما فرق بين الحركة والسكون، إذ كانت حركتها لا

---

(١)- في (ب): ودليل آخر.

(٢)- في (ب): وهذا القول من أحول المحال.

(٣)- في (ب): هذا فما لا يقول به أحد.

ترى فجعلوا السكون حركة، والحركة سكوناً، والظنون عقولاً، والعقول ظنوناً، فزادهم الله عمىً وخبلاً وضلالة وغيّاً.

فيا لهم الويل الطويل، والعذاب والخزي الجليل، أما علموا -لا علمهم الله رشداً، ولا وفقهم لخير أبداً- أن الحركة هي الزوال، وأن السكون هو اللبث، وشتان بين الهدوء والجمود، والحركة والجثة، أوَما علموا أن حقيقة الحركة هي زوال الجسم واختفاقه، وحقيقة السكون تخلف الجسم ولبثه واعتقابه؟

أوَما علموا أيضاً أن الثقيل كلما ثقل كان أعظم لزواله، وأسرع لهويه وانتقاله، فقد رأينا بعقولنا وشاهدنا بأبصارنا الحجر أسرع هوياً في الجو من الطير والتراب، ورأينا التراب أسرع انحداراً من الريش، فكيف لحقت الحجر الأرض والأرض أثقل منها، والثقيل أسرع مضياً وانحداراً ، وأقل لبثاً وقراراً ، وأجدر بالسقوط والإنحدار، وأبعد من اللبث والقرار.

ثم نظرنا إلى الريشة فإذا هي أخف الأشياء ورأيناها تلحق الأرض على ضعفها وقلة انحدارها وهويها.

ودليل آخر: أن الجسم إذا هوى سفلاً أو من السفل علواً أو من غيرهما من الجهات لا يخلو في حركته من أن يكون قطع أماكناً متناهية، أو قطع أماكناً لا نهاية لها، أو لم يقطع [بحركته أماكناً][1].

فإن قلت: إنه لم يقطع أماكناً؛ جعلته ساكناً لأن المتحرك لا يتحرك إلا في مكان ولا بد لتحركه من المكان أن][2] يقطع مسافة متناهية.

وإن قلت: إنه قطع أماكناً لا نهاية لها فهذا محال، لأن قولك قطع أماكناً يوجب نهاية الأماكن، لأن القطع جرى عليها، وإذا قطعت فقد تناهى قاطعها.

---

[1]- زيادة في (أ).

[2]- زيادة في (ب).

ثم قولك: لا نهاية نقض لإقرارك الأول وهو قولك في القطـع، وإذا صـح تنـاهي الأماكن بقطع الجسم لها فقد صح أيضاً تناهي حركته، وغايتها، إذ لا توجد الحركـة إلا في المكان المقطوع.

وإن رجعت إلى الحق فقلت: بل قطع أماكناً متناهية، علمت أنه إن شاء الله على مـا وصفنا، وأنه بأيقن اليقين على ما قلنا.

ألا ترى أن الأرض والرياح إذا كانتا بزعمهم لم تزل حركتهما تقطع مكانـاً بعـد مكان، لا يخلوان من المكان طرفة عين ولا أقل منها، وإذا كانتا غير خاليتين من المكـان و لم توجد حركتهما إلا فيه لم يخلو من أن تكونا قطعتاه أو لم تقطعاه.

فإن لم يجز عليه القطع منهما فقد عدمت حركتهما وصـح سـكونهما، لأن الأرض بزعمهم إذا هوت فلا بد أن تقطع بهويها ما عبرت، وإذا صـح أنهـا لا توجـد إلا في الآخر، أو لا تقطع إلا ما أتت عليه من الهواء، أو كانت حركتها لا توجد إلا في المقطوع عند سيرها فقد صح تناهي المكان لقطعها له، وصح نهايته إذ لم تنفك من المكان المعبور، و لم توجد إلا بوجوده عند الهواء والمسير، وفي ذلك والحمد لله من الأدلة والبراهين أكثر مما ذكرنا من التبيين، فما طلبنا[١] من ذلك شيئاً يسيراً، إلا وجدنا بمنّ الله كثيراً.

وإذا صح تناهي الأرض بالأدلة الواضحة وقد صح أنها لم تثبت على ثقلها إلا بلطف مدبرها وخالقها، ومصورها وجاعلها ومخترعها، ومفتطرها وصانعها، والقول في السماء كالقول في الأرض عندنا فنسأل الله أن يوفقنا وأن يغفر ذنوبنا.

[المعارف نظرية وليست ضرورية]

والمعارف عندنا من أراد طريق النجاة فليست إلا بالتسليم للمعقول، وجهاد النفـس بالقبول[٢]، والاعتماد بأمر علام الغيوب، وإكذاب خواطر القلوب، لأن العاقل إذا ورد

---

[١]ـــ في (ب): فما بينا.

[٢]ـــ في (ب): بالعقول.

عليه شيئان أحدهما ظن والآخر يقين وجب عليه قبول أصدقهما، وإبطـال أفسـدهما بأحقهما، فإن الحق لا يشبه المحال، والهدى لا يماثل الضلال، والعلم لا يقـاس بـالجهل، والظن لا يمثل بالعقل، والصحة لا توازن السقم، والدليل أولى من الوهم، وصحة الخـبرة أولى من وساوس الحيرة.

فيجب على المتعبد أن ينظر الأمر من المتنـاهيين المختلفـين، المتغـايرين المتبـاعدين المتنافرين، فليستمع قولهما، وينظر دلالتهما، ثم ينظر اختلافهما فلن يشقيه ضدان أبـداً، فليأخذ بأوضحهما دليلاً، وأنورهما سبيلاً، ويجاهد نفسه على قبوله أشد الجهاد، ويحرس قلبه من الفساد، ولا يبرح صابراً مصطبراً، متيقضاً من السهو متفكراً، فلن يشتبه الحـق والباطل عنده إن عقل، ولن يهدى إلى الرشد إن غفل.

فرحم الله عبداً نظر لنفسه في أوان المهل، قبل حضور ما وعد به من الأجل، فلعمري لو لم يكن لنا من النظر إلا ما في أنفسنا من الآيات والعبر، لكان لنا في ذلك كافية، وأدلة واضحة شافية، وبراهين جليلة باهرة، وآيات عظيمة قاهرة، وأنوار مبصرة زاهرة، مـن خلق الذكر والأنثى من نطفة من مني تمنى، لا سمع فيها ولا بصر، ولا عقل ولا شعر ولا بشر، ولا حياة ولا حكمة، ولا إرادة ولا همة؛ فبينما هو كذلك إذ هو بشـر سـوي، حكيم عالم عاقل حي سميع بصير قوي، أجزاء محكمة متقنة مفصلة، وآيات محبوكة متسقة موصلة، ومفاصل مجموعة معتملة، وحكمة بالغة معتمدة، مأسورة مشدودة مؤكدة، تدل على حكمة صانعها، وتشهد بالفطرة لفاطرها، وتبين لناظرها، لا يمتنع عاقل حكيم من التصديق بأن تأليفها بعد العدم يدل على مؤلفها، وتصريف فطرتها دليل على مصرفهـا، وإتقان ما لم يكن متقناً منها دليل على متقنها، وتفصيل أجزائها دليل علـى مفصلهـا، وتوصيل آلائها دليل على موصّلها.

فكفى لعمري بوجودها بعد عدمها دليلاً على صانعها، وكفى بصنع أدواتها دليـلاً على علم الصانع بها، وكفى بوجود الأرزاق دليلاً على الرزاق الواحد الخلاق، وكفى بما نشاهد من النعم المنزلة من السماء المبسوطة لنا ولأنعامنا دليلاً على المنعم علينا، وكفى بما

نشاهد من الإحسان في الأرزاق دليلاً على المحسن علينا.

فلعمري لفي أقل من هذا ما دل على الله تبارك وتعالى، فيا لها نعماً عظمت، وأياديا جلت وجسمت، ويا لها فضائل كثرت وزادت على كل من ند، والحمد لله الواحد الحميد، العدل الخالق المجيد، فلن نذكر من حكمته إلا قليلاً، فسبحان الله بكرة وأصيلاً، والحمد لله كثيراً ، والله أكبر كبيراً.

ولا تكون نعمة صح حدثها إلا من منعم، ولا كرم من بعد العدم إلا من متكرم، ولا حكمة بالغة إلا من حكيم، كما لا يكون العلم إلا من عليم، ولا الحلم في الشاهد إلا من حليم، ولا يجعل الشيء للشيء والمعنى للمعنى إلا عالم بفاقة المخلوق إلى ما جعل وبنى.

[الحكمة في خلق الخلق وتسهيل أرزاقهم على حاجاتهم]

ألا ترى إلى ما بث الله من الخلق وما بسط لهم بعد خلقهم من الرزق الذي لولا هو لهلكوا ودمروا، ولما تناسلوا ولا كثروا، ولما ثم بقاء ولا صبروا، فلعلمه بفاقتهم رزقهم، ولإنفاذ الحكمة خلقهم، ولحسن التدبير فطرهم، وبالطاعة والرشد أمرهم، وعن الفواحش زجرهم، وللكفر حذرهم، وبالثواب وعدهم، وبالعقاب على المعصية أوعدهم؛ فسبحان من لا تحصى آياته، ولا تنقطع أبداً دلالاته، فلو لم يكن لنا من الآيات إلا ما ذكرنا من صنع الله في الحيوانات لكان ذلك عليه دليلاً، ولكان علماً عظيماً جليلاً، من النطف الحقيرة خلائقاً مبثوثة كثيرة لا يحصيها إلا خالقها ومبتدعها ورازقها، وما جعل من ذكورها وإناثها لتكثير نسلها وإحداثها، ثم جعل في الذكور من الشهوة للإناث ما جعلها سبباً للجعل والإحداث، وجعل النسل في أصلاب الذكور، لتمام الحكمة والتدبير.

ثم جعل لذلك النسل مسالكاً إلى أوصال الإناث فاتصل بإذن موصله، وانفصل من الأصلاب بمشيئة الله رب الأرباب، فأحسن الصور في الأرحام بإكمالها بعد أخذها من الأصلاب، وإنزالها، ثم أخرجها من بطون الأمهات، وركبها للأغذية واللذات، فجعل لتلك النسول قبل إخراجها أغذية لعلمه بفاقتها، وجعل لتلك الأغذية من ألبان أمهاتها المركبة لهم في أجسادها، لعلمه بضعف الأطفال عن غيرها مما تغتذي به بعد كبرها،

فجعل غذاء الصغير بلطفه غير غذاء الكبير لما علم من طفوليته وضعفه، ثم ألهم هذه النسول رضع أغذيتها ليتم بذلك ما أراد من حياتها.

فيا عجباً لأطفال البهائم العجم التي لا تعي ولا تعقل كباراً فكيف إلا صغاراً، كيف اهتدت لأماكن أغذيتها ! أجل إن ذلك لمن غيرها لضعفها وصغرها؛ حتى كأن قد علمت ذلك علماً يقيناً، أو جبرت عليه؛ أو قيدت قوداً إليه، ولما علم الله عز وجل ما ركب من خلقه وجبل، وما نزل من الأرزاق وجعل، علم أن تلك الأغذية لا تتم إلا بالوصول إلى الأجساد، ومباشرة البطون والأكباد، فجعل سبحانه لذلك مسلكاً فأوصله، وركبه لعلمه بفاقتهم وجعله.

ثم بسط الرزق ونزله؛ فكم من مخلوق عجيب الخلقة خلقه، ومرزوق لا يحمل رِزْقَه رَزَقَه، فالحمد لله الذي تفضل علينا بنشأته وخلقه، وبسط لنا الكفاية من رزقه.

ثم علم عز وجل بما خلق وفطر، وجعل من الحكمة ودبر، وعلم بفاقة المخلوق إلى مخارج الأغذية التي لولا مخارجها لما لبث المخلوق حياً، ولا بقي من الدهر شيئاً إلا وقتاً يسيراً، ثم تصير نعمته عليه تهلكة وتدميراً، فجعل سبحانه لما علم بمولجه مخارجاً لفاقة المخلوق إلى مخارجه.

[حجة العقل والرسول على المتعبدين]

ثم جعل للمتعبدين عقولاً لتكون لهم عليه دليلاً؛ فسبحان من دلنا إلى معرفته، وجعل لنا العقول برحمته، ثم جعل لنا حواساً خمساً، عياناً وسمعاً وذوقاً وشماً ولمساً؛ فجعل العيان لدَرَكِ الهيئات، والأسماع لدرك الأصوات، والذوق لدرك المطعومات، والشم للروائح المختلفات من الخبائث والطيبات، وجعل اللمس لدرك أعراض المجسمات ، من الحر والبرد واللين والخشونات، وجعل الأجسام وما فيها من المفاصل للحركات، ودليلاً على حكمة فاطر السماوات، وجعل العقول لتمييز الأمور، ومعرفة الخيرات والشرور.

ثم لم يكلنا إلى ذلك دون أن أرسل إلينا الرسل والنبيين، مذكرين لنا من الغفلة ومخبرين لما خلقنا له من النعيم والفضل من الله والكرم والتعبد للفرق بين المطيعين

والعاصين إذ لم يكن من حكمة الحكيم أن يساوي بين المحسنين والمسيئين.

فيا خالق الخلق ويا باسط الرزق أسألك أن تجعل آخر حياتي وحضور وفاتي على أكمل ما يكون من طاعتك واتباع مرضاتك، والغضب لك، حتى تبلغني بفضلك ما له خلقتني، (وأن تختار لي بعلمك وتقبضني على أيقن يقيني)[1] وتوفاني يا مولاي على شهادة ألا إله إلا أنت الحق اليقين، الصمد الواحد المبين، وأن ترزقني الحياة ما كانت الحياة خيراً لي، وأن تمنن علي بالوفاة في وقت طلبتي للنجاة وسلوك سبيل الهداية حتى تتم نعمتك علي، عندي ولَدَيَّ، فقد علمتَ يا مولاي ندمي على ما هو من غفلتي، فاسألك يا مولاي سؤال من عرفك، واستدل عليك فأيقن بك، أن تقيلني ما كان من عثرتي، وأن تغفر لي ما علمت من خطيئتي، وأن تجاوز عن زلتي فها أنا يا مولاي مستقيل إليك، ومتوكل في كل أموري عليك، طارح لنفسي في يديك؛ فإن عفوت يا مولاي وغفرت، وعدت بفضلك فقد نجوت، وإن لم تغفر لي ما سلف، فَمَن غَيرُك يا مولاي يغفر لي، وإن لم تهدني فمن غيرك يهدني أو يوفقني أو يرشدني، وإن لم تنظر إلي، وإن لم تجب دعائي فمن أدعو، وإن لم تنجني فكيف أنجو، وإن لم أرجك فمن أرجو، وإن لم أحبك فمن أحب، وإن لم أطلب منك فمن أطلب، وإن لم أهرب إليك فإلى من أهرب، وصلى الله على محمد [النبي الطاهر البر الزكي وعلى أهل بيته الأبرار الأخيار الطيبين][2] وسلم تسليماً.

قال في النسخة (ب): بخط مالكه الفقير إلى ربه الحسين بن علي بن صلاح أعانه الله ، حرر آخر شهر رجب سنة (١٠٣٢هـ).

* * * * * *

---

[1]- ما بين القوسين ساقط من (ب).

[2]- زيادة في (ب).

كتاب الرد على عبدة النجوم

باب الرد على عبدة النجوم وغيرهم من فرق الملحدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حسبي الله وكفى ونعم الوكيل.

والحمد لله الذي ابتدأنا بالهدى، واستنقذنا من الضلالة والردى، نحمده على ما كثر من الدلائل عليه، والدواعي التي دعت أولياءه إليه، فمن استدل بها عليه نَظَرَه، ومن قصر عن فهمها لم يره، فأي دلائل على الله ما أدلها، وأعظم قدرها وأجلها، لقد بهرت عقل من عرفها من المؤمنين، ودلت من أيقن بالله من المستدلين، واضطرت العقول إلى رب العالمين، فدلائل الله عليه منيرة لا تطفى، وشواهد صنعه ظاهرة لا تخفى، تدل من فكر في صنع الله وتدبيره، ومعجز فطرته وتقديره، ولا يكفر[1] بدلائل الله وتبصيره من اشتغل عن وعظه وتذكيره ، وأقبل على لهوه وفجوره، وأنى يظفر بدلائل الله من أقبل على اللهو والمحال، وقل خوفه من الكبير المتعال.

كلا لن يظفر[2] بذلك من اشتغل عن آخرته بدنياه، وصد عن الله واتبع هواه، ولن يكون ذلك بالله من العارفين، ولا إليه من الهادين، ولا عنده من المقبولين، ومن لم يكن لله من العارفين لم يكن أبداً من المطيعين، ومن قصد إلى دين الله ورغب في طاعته وهو مختار لترك طلب الأدلة إلى معرفته ، ورضي بجهله وغفلته ، كان داخلاً في الجهل بمعصيته.

ومن كان بالله جاهلاً، وعن دلائله غافلاً، لم يكن عنده من المؤمنين، ولا به من الموقنين، إذ رضي بالجهل والنقصان، واشتغل عن المعرفة والإيقان، فهو في صفات الله متحير جاهل، وعن الدلائل عليه مستوهل ذاهل، إن عسف النظر في ذلك ارتطم في الضلال، وإن رضي بجهله فهو من أجهل الجهّال، لا يملك لقلبه جنة من الشيطان، ولا يؤمن عليه الدخول في محظور ولا عصيان، وإن عبد الله عبده بغير خشوع ولا إيمان، وإن

---

[1]- في (ب): ولا يظفر.

[2]- في (ب): كلا لن يكلفوا بذلك.

جاهد على الطاعة نفسه لم ينفعه عند الله عمله وحرصه، إذ كان مطيعاً بزعمه من لم تكثر دلائله عليه، ولم يركن حقيقة الركون إليه، وكيف يركن إلى ما هو عنه متحير جاهل، وعن العلم بدلائله زائل، فليس العمل إلا بمعرفة الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه؛ فالحمد لله الذي جعل الدلالات عليه للمستدلين بما صنع من خلقه المصورين، وبعد:

فإني لما نظرت الجهل قد شمل كثيراً من الأنام، وقَلَّت معرفتهم لذي الجلال والإكرام، حداني ذلك على أن أضع كتاباً للمتعلمين، ومن أراد معرفة الله من العاملين، وأراد التخلص من العذاب المهين، فنسأل الله التوفيق في ذلك بمنه، ونعوذ بالله من خذلانه، ونسأله التسديد بعونه، فإنه لا يوفق إلا من هداه، ولا يصيب الرشد إلا من خافه واتقاه.

ألا ورحم الله عبداً حذر على نفسه من الدنيا، فإن محبتها أصل كل فتنة، والركون إليها أول كل محنة، تصد من أحبها عن ذكر الرحمن، وتشغل من نالها عن الخشوع والإيمان، وتدعو إلى طاعة الشيطان، فكل ما قضى من حوائجها حاجة طاشت به إلى أخرى، وأعقبته عند الله فقراً، فهو عن الموت غافل مغرور، وبلهوها جذل مسرور، وعن الله ذاهل مغمور، فهي تقوده إلى النار والعذاب، وتبعده عن رب الأرباب، فهو من الموت على ميعاد، وهي إلى تصرم ونفاد؛ فنسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك لنا في قليل حياتنا، وأن يحضرنا عفوه عند وفاتنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من عرفه حق معرفته، وأيقن به وتخضع لعبوديته، ورجا عفوه عما سلف من خطيئته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفوته من بريته، شهادة من صدق بنبوته، وتقرب إلى الله بمحبته، واشتاق إلى لقائه ورؤيته.

وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، شهادة أرجو بها عفوه يوم النشور.

وأشهد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- كان خير البرية بعد

نبيها -صَلَّى اللهُ عَلَيْه-، وأشهد بإمامة ولديه الحسن والحسين ابني رسول الله الفاضلين، وأشهد أن الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما وسار بسيرتهما، واحتذا بحذوهما، واقتدى في دينه بهما، اللهم يا مولاي فاكتبني بذلك مع الشاهدين، واشهد عليّ بالبراءة من الجاحدين، ووفقني لسبيل الراشدين، واسلك بي طريق المهتدين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على مولاي وسيدي خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين، وعلى مواليّ وسادتي أهل بيته الطاهرين الأخيار الأبرار الصادقين.

قال الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عليهما السلام-:

[الطريق إلى معرفة الله تعالى]

ثم نقول من بعد توحيد خالقنا، والقول بالحق في الله سيدنا: **إن سأل سائل** مسترشد، أو قال قائل متعنت ملحد: كيف السبيل إلى معرفة الله جل جلاله، وظهرت نعمه وإفضاله؟ وبم يعرف؟ وما معرفته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أما السبيل إلى معرفة الله القدير؛ فالفعل المميز للأمور.

وأما قولك: بم يعرف؟ فليس يعرف إلا بما أظهر من صنعه وتدبيره ، ومعجز فطرته وتقديره.

وأما قولك: وما معرفته؟ فمعرفته اليقين بإلاهيته، والإقرار والتصديق بربوبيته.

[هل معرفة الله تعالى اختيار أم اضطرار؟]

فإن سأل سائل عن معرفة الله سبحانه وظهر دليله وإيقانه فقال: أَمَعرفة الله اضطرار أم اختيار؟

فالجواب له في ذلك: أن معرفته اختيار، ولو كانت معرفته ضرورة كمعرفة الأرض والسماء وغيرهما من الأشياء لما كان بين معرفة الجاهل والعالم فرق، ولكان الخلق كلهم بالله عارفين، ولما كانوا أبداً جاهلين، ولكانوا جميعاً به موقنين، وعلى معرفته مجمعين، وهذا محال عند أهل العقول؛ فأما من كان من الجهال وأهل الحيرة والضلال فلن يزال ذلك في الشك متردداً حائراً، وعن اليقين بالله نائياً جائراً، إذا رضي بتعطيل ما ركّب الله

من عقله، واستغنى عن المعرفة بجهله، وأنه وإن كان بالله جاهلاً، وعن اليقين به غافلاً فليس بمعذور في ترك طلب الدليل، والنظر والبحث عن الخطب الجليل، فإن عطل ذلك لم يكن معذوراً، وإن كان عن الله حائراً مغموراً، إلا أن الله عز وجل قد جعل له عقلاً وفكراً، وتمييزاً وذكراً، واضطره إلى درك صنع عجيب لا يخلو في الفعل من أحد أوجه، من أعطاها لم يضطر إلى حقيقتها إذ جهلها، وسنذكر إن شاء الله ما يصح لذوي الألباب، ونستدل به على الله رب الأرباب.

[الحكمة في الخلق وتراكيب حياتهم]

وذلك أنا نظرنا إلى أنفسنا إذ هي أقرب الأشياء إلينا فرأينا كل جارحة من جوارحنا قد جعلت لسبب ومعنى، ولا يجعل الشيء لصلاح الشيء إلا عالم حكيم بما صنع وبنى.

من ذلك ما شاهدنا في جميع الحيوانات منا ومن غيرنا من عجيب تصويرها، وإحكام صنعها وتدبيرها[1]، وإصلاح منافعها وتعميرها، وما جعل الله لها من تفصيل أجسامها وتوصيلها، وشد أسرها وتعديلها، وإثبات مصالحها التي لولا هي لهلكت ودمرت، ولما تناسلت ولا كثرت.

ومن ذلك ما جعل فيها من العقول لاجتلاب المنافع، ونفي المضار، والمفاصل التي جعلها للحركة والمجيء والإياب والإدبار، وما جعل من الحواس الخمس، من العيان والسمع والشم والذوق واللمس، وجعل كل حاسة لشيء بعينه، لما أراد من ثبات الدليل وتبيينه، إذ لا يُحَصِّل الشيء للشيء إلا حكيم، ولا يدبر ويصرف إلا عليم.

ومن ذلك ما جعل من الذكور والإناث، وأبان في ذلك من الجعل والإحداث، فجعل كل زوج من ذلك يصلح للآخر بتقديره، لما أراد سبحانه من خلق النسل وتكثيره.

ثم جعل للنسل معايش في صدور الإناث بلطفه، لما علم من فاقة الطفل وضعفه، وهذا ومثله فلا يتم إلا بعلم من عليم، وتدبير من صانع حكيم.

---

[1] في (ب): تقديرها.

ثم جعل سبحانه للأطفال بعد كبرهم معايش غير معايشهم في حال صغرهم، ليتم بذلك ما أراد من تعميرهم، فبسط لهم الكفاية من رزقه، بعد إكمال تصويره (وخلقه، وجعل في الأجساد مداخل للأغذية لعلمه بفاقتهم إليها، وجعل لهم مخارج لها إذ فطرهم عليها)[١].

فلما نظرنا إلى عجيب ما صنع وافتطر، وبين من حكمته وأظهر، صح عندنا بأيقن اليقين أن الحكمة لا تكون إلا من حكيم، لأن الحكمة لا تهيأ إلا لعليم، لأن الجهل ليس[٢] معه نعمة، ولا يتم للطبائع التي ادعى الملحدون علم ولا حكمة، لأن الموات لا يكون حكيماً ، ولا يكون سميعاً ولا عليماً، ولا يكون المصلح المنعم إلا رحيماً فمن أنكر ذلك قيل له، ولا قوة إلا بالله.

ما تقول: هل فيما ذكرنا حكمة تدل على الواحد الجليل؟

[لا تكون الحكمة إلا من حكيم عالم]

فإن قال: ليس في ذلك حكمة؛ خرج من المعقول ، وبان كذبه لجميع أهل العقول؛ لأن جميع الحكم تقصر عما ذكرنا، ولا تماثل حكمة مولانا وسيدنا، ولو جاز كون حكمة من غير حكيم، وعلم ورحمة من غير عليم، لجاز كون رسول من غير مرسل، وأمر وناه من غير ناهٍ ولا آمر، ولو جاز ذلك لسُمِع كلامٌ مِنْ غير متكلم، ولوُجِدَ تعليم من غير معلم، وتفهيم وبيان من غير مبين مفهِّم، ولو جاز ذلك لجاز أن يوجد ثواب وعقاب من غير مثيب ولا معاقب.

ولا يخلو الفعل فيما ذكرنا من صنع الله في الحيوانات، وما ركب في الأجسام من الآلات والأدوات، والآيات المحكمات النيرات، من أن يكون شاهداً على أنها من حكيم، أو شاهداً على أنها من غير حكيم، أو غير شاهد على شيء من ذلك.

---

[١]- في (ب): ساقط ما بين القوسين.

[٢]- في (ب): لا يتم معه.

فإن كان شاهداً على أن الحكمة من غير حكيم أمكن أن يشهد على علم من غير عليم، وحلم موجود[(١)] من غير حليم، وإن شهد بذلك لم يسم عقلاً وخرج من الصحة فعاد[(٢)] جهلاً، لأن العقل لا يجوز عليه شيء من المحال، ولا يقبل ما فسد من المقال.

وإن لم يشهد على شيء من ذلك خرج من تمييز الأمور، ولم يفرق بين الخيرات والشرور، وإذا خرج العقل من التمييز فهو زائل فاسد، وما كان من العقول فاسداً لم يكن عدلاً ولا شاهداً.

وإن شهد على أن الحكمة لا تكون إلا من حكيم صح ذلك، لأن الحكمة لا تهيأ إلا من عليم، وإن رجع إلى مكابرته، وتردد في شكه وضلالته فقال ليس في ذلك حكمة.

[بيان معنى الحكمة]

قيل له ولا قوة إلا بالله: هل تعرف الحكمة أم لا؟ فإن قال: إنه لا يعرفها أصلاً، وادعى في معرفتها جهلاً، كان لما ذكر من الجهل أهلاً.

وإن قال: إنه يعرف الحكمة قيل له: ما الحكمة في ذاتها؟ وما حقيقة صفاتها؟ فإن كان جاهلاً بها بطل ما ادعى من معرفتها، وإن كان عالماً أجاب، وقصد إلى الحق والصواب، فقال: الحكمة ما أتقن من الأمور، وبعد من الفساد والشرور.

فإذا قال ذلك قيل له: ويحك ما أجهلك، وأعظم كفرك وأغفلك، تقول إن الحكمة ما حسن من الأفعال، وبعد من الجهل والضلال؛ ثم تزعم أن ليس فيما ذكرنا حكمة من أعاجيب الصنع الجليل، وما بيّن الله من الدليل، وأقام على ذلك من شواهد العقول، لأن الحكمة لا تهيأ إلا بالحلم، ولا تتم إلا بالعلم من ذي الجلال والإكرام.

[لا يكون فاعل الحكمة إلا حياً قديماً]

ودليل آخر: لا يخلو صانع هذه الحكمة من أن يكون حياً قديماً، وإما أن يكون

---

(١)- في (ب): محمود.

(٢)- في (ب): فصار.

حيواناً، وإما أن يكون مواتاً؛ فإن كان حيواناً فهو كسائر الحيوانات، في العجز عن دفع الآفات، ونوازل المحن المحدثات، وسلب ما يجب من الحياة، وبيان الصنع فيه والدلالات.

وإن كان مواتاً فهو كسائر الجمادات من التراب والحجارة وغيرهما من الموات، والأجسام الجامدة المغفلات، ويستحيل أن يكون ذلك وما جانسه من المدبرات، خالقاً لشيء من الحيوانات.

وإن كان حياً مدبراً قديماً؛ فقد صح ذلك لأنه لو كان ميتاً لما كان حكيماً، ولما كان قديراً ولا عليماً.

[ملازمة الحركة والسكون للأجسام]

ودليل آخر: أنا قد أحطنا بجميع الأشياء علماً، وأدركناها عياناً وفهماً، فلم نجدها إلا على حالين محدثين ومدبرين بمشيئة الله مصنوعين، وهما الحركة والسكون، اللذان لا ينفك منهما شيء موجود، وإذا صح حدثهما، وصح أن جميع الأشياء لم تنفك منهما، ولم تكن قبلهما ، فهي في الحدث مثلهما، وسبيلها سبيلهما.

والدليل على أن جميع الأشياء لا تنفك منهما ولا توجد قبلهما: أنها لا توجد إلا زائلة متحركة، أو مقيمة ساكنة؛ فإن زالت فزوالها حركة، وإن أقامت ولبثت فالسكون هو لبث وإقامة.

والدليل على أن الحركة والسكون معنيان ، وشيئان غير الأجسام متغايران: أنا نجد الحركة تكثر من الشيء الواحد فلا يكثر لكثرتها، ويقل تارة فلا يقل لقلتها، ويزول تارة فلا يزول لزوالها، ولا تبطل لبطلانها مثل حركة النجم التي لا تحصى لكثرتها ، والنجم واحد محدود ، وحركته معدوم[1] ما مضى منها وهو بعينه باق موجود.

ونجد السكون كذلك يكثر أيضاً حتى لا يحصى والساكن معروف بحدوده وأقطاره، موجودة في محله وقراره، مثل الحجر التي لا تحصى ساعات سكونها، فكم من ساعة لا

(١)ـ في (ب): يعدم.

تحصى قد سكنت، وكم من يوم وليلة قد لبثت، فتلك الساعات قد عدمت، والحجر موجودة ما برحت.

والحركة والسكون على الجملة دهور وأزمان، وعلى التصنيف صنوف وأفنان، وكل ذلك دليل على حدث الأجسام، وبيان على فساد دعاوى الدهرية الطغام، وأشباه عجم الأنعام، وأهل التكمه في الإظلام، وسندل إن شاء الله على فساد قولهم، ونوضح من حدث الدهر ما عموا عنه بجهلهم.

[الدليل على حدوث الماضي من الأزمنة]

فإن سأل سائل منهم فقال: ما الدليل على حدث ما مضى من الدهور والأيام والليالي والشهور؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على حدث ما مضى من الدهر وأزمانه، أنه لم تحدث ساعة إلا بعد حدوث ما قبلها وبطلانه.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون ما مضى من الساعات ساعة قبل ساعة إلى ما لا نهاية له؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن ما مضى من الساعات لا يخلو من أحد وجهين : إما أن يكون عدم وبطل [بعد][1] حدوثه، وإما أن يكون [الآن][2] موجوداً كله.

فإن قلت: إنّ ما مضى من الحركة والسكون موجود فهذا محال؛ لأن ما مضى من الساعات التي هي السكون والحركات فقد عدم كله بعد حدوث كل ساعة منه، وإذا عدم كله بعد حدوثه فهو محدث؛ لأن الساعات التي مضت والأزمان التي بطلت على حالين : حال وجدت فيه بعد عدمها أوجب حدوثها، وحال عدمت فيه بعد وجودها.

---

(١)- في (ب): ساقط.

(٢)- في (ب): ساقط.

فأما الحال الذي كانت فيه موجودة فهو حدوثها إذ حدثت، وأما الحال الذي عدمت فيه فهو وقتها إذ تصرمت قبله بعد حدوثها فعدمت، وإذا صح عدم جميع ما مضى، وتصرم بعد حدوث كله وانقضى، فقد صح ما قلنا به من ذلك إذ هو في الحدوث كذلك، وإذا صح حدوث الدهر الذي هو كثرة الحركات والسكون اللذين لم تنفك الأجسام كلها منهما فسبيله في الحدث سبيلهما، وفي هذا ما قطع أهل الإلحاد والجحود، ودمغ إن شاء الله أهل الكفر والعنود.

وسنزيد بعون الله بياناً، ونوضح إن شاء الله صنع الله لسائلنا بعد إيضاح جملة الدهر وكليته وكرور أيامه وساعاته، وتبيين صنوفه وأفنانه، ومجاله من الصنع وبيانه؛ **فنقول**:

إن الحركة أولاً ما نحتاج إلى ذكره إذ هي مشتملة على حدث السكون وغيره، وذلك أن مجال الحركة في صنوف من الأجسام وأماكن من الموات والحيوان، وذلك مثل حركة النجوم والبروق والسحاب، ومثل حركة الأشجار والرياح الهواب، ومثل حركة أمواج البحار، وجري خف التراب والأنهار، وغير ذلك مما يتحرك من الجمادات في الليل والنهار، ومن الحركة ما يحل في الحيوانات وسنبين إن شاء الله حدوث جميع الحركات، وما يحل منها في كل حيوان أو موات.

فأول ما نبدأ بذكره حركة الحيوان:

[الدليل على حدوث حركات الحيوانات]

فإن سأل [سائل][1] فقال: ما الدليل على حدث حركة الحيوانات؟ وما تنكرون من أن تكون حركات قبل حركات إلى ما لا يتناهى من الأوقات؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دلنا على حدث ما عنه سألت، وفساد ما ظننت وتوهمت، أنا قد بينا لك حدوث الحيوانات فيما تقدم من كلامنا، وأوضحنا نهاية الأوقات في أول قولنا.

---

(1)ـــ في (ب): زيادة.

ودليل آخر: أن حركة الحيوانات الأوائل المتقدمة التي زعمت أنها غير متناهية لا تخلو من أن تكون الآن كلها موجودة، أو هي الآن معدومة، فوجود ما مضى من حركات الأولين محال؛ لأنهم إنما تحركوا قبل موتهم في قيامهم وقعودهم، وإقبالهم وإدبارهم، وتنقّلهم وسيرهم، والقيام والقعود فغير موجودين بل يكونان عند جميع الخلائق معدومين.

وإذا صح عدم جميع الحركات التي ذكرنا تولدها من أجسام الحيوانات ، فقد صح تناهي أجسامهم ، لأن أجسامهم لم تنفك من حركاتهم ، وللحركات نهاية وغاية، (لأن الحركة على حالين؛ حال وجدت فيها كلها بعد العدم)[1] وحال عدم فيه جميعها فانتفى عنها العدم.

ودليل آخر: أن جميع الحيوانات لم تنفك أصولها من الحياة، ثم قد وقع الموت على جميعها فهي على حالين محدثين، حال أحييت فيه بعد موتها فحييت كلها، وحال أميتت فيه فماتت جميعها، وإذ لم تنفك من الحالين المحدثين فهي محدثة مثلهما إذ لم توجد و لم تكن قبلهما، وسبيلها في الحدث[2] سبيلهما إذ تضمنا أصول الحيوانات فلم يخرج منهما، فكيف لا تتناهى الأصول وقد حوت الحياة جميعها، ثم تضمنها الموت بعد حياتها.

[إبطال كون العالم ثابتاً في الأزل]

فإن قال: وما أنكرت أن تكون طينة العالم قديمة لم تزل (ميتة ثم حييت وانتقلت عن سكونها فتحركت؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا قدمها الذي ذكرت لأنها إذا كانت ميتة كما زعمت ثم حييت بعد موتها فذلك دليل على محييها، لأن الحياة من أكبر النعم وأجلها وأعظمها ولا بد لكل نعمة من منعم، ويستحيل أن يكون الكرم من غير متكرم، إذ في الحيوان من الحكمة ما لا يتم إلا لعالم، كما يستحيل أن يكون الكلام المحكم من غير متكلم.

---

[1]ـــ ما بين القوسين زيادة من (ب).

[2]ـــ في (ب): التناهي.

ودليل آخر: إذا كانت الطينة بزعمك لم تزل ميتة ثم بطل موتها فقد بطل قدم الموت، والقديم لا يبطل.

فإن قال: وما أنكرت من بطلانه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن بطلان موتها يدل على حدوثها، وذلك أنها بزعمك قد أقامت ميتة دهوراً طويلاً وإذا كانت كما زعمت فللدهور نهاية وغاية، لأن الدهر محدث، وما لم ينفك منه فهو مثله في الحدث، لأن الدهر قد انقطع كل ما مضى منه، و لم ينقطع إلا بعد حدوث كل ساعة من ساعاته.

ودليل آخر: أن الطينة إذا كانت لم تزل ساكنة ثم تحركت فقد انقطع آخر سكونها، و لم ينقطع آخره إلا بعد انقطاع أوله، وإذا صح انقطاع أول السكون وآخره فقد انقطع كله، وإذا انقطع كله فله نهاية وغاية، وإذا صح أن لسكونها أولاً وآخراً قد انقطعا ، فقد صح حدوث السكون ، وإذا صح حدوثه فقد صح حدث الطينة إذ لم يسبقه و لم يوجد إلا بوجوده.

وكذلك إن سأل عن الدليل على حدث ما مضى من حركات السحاب والبرق والرياح والأنهار ، والنجوم والجمادات من الأشجار.

فالدليل على حدوث ذلك: أنا نراه لا يكثر إلا بعد قلته، ولا يزيد إلا بعد نقصانه، فإذا نظرنا في ذلك علمنا أن ما مضى من الحركات لا يحصى، وأنه كائن بعد حدوثه عدماً)[1] وما صح حدوثه وصح عدم جميعه فقد تناهى لأنه على حالين متناهيين محدثين وهما الحدوث والفناء ، والحركات لن تنفك منهما.

فإن ادعى أن قبل الحركات سكوناً قديماً **قيل له** ولا قوة إلا بالله: أليس يعلم أن السكون قد انقطع آخره وأوله بعد حدوثهما، وبطلان جميع دهورهما، فهذا دليل على

---

[1]- ما بين القوسين ساقط من (ب).

حدوث جملة جميع الحركة والسكون، وقد زعم بعض الملحدين أن الفلك مدبر قديم، وأنه لا أول لحركته ولا غاية ولا بدء لها ولا نهاية، وأن النجوم لم تزل تحرك ولا تغير، وتطير أبداً وتدبر وسنبين من فساد قولهم إن شاء الله تعالى ما فيه مقنع لذوي الألباب، ودلالة شافية على الله رب الأرباب، فاسمعوا رحمكم الله بقلوب سوية، وألطفوا النظر فيما نقول بعقول جلية.

[الدليل على حدوث حركات النجوم والفلك]

فنقول ولا قوة إلا بالله: إن النجوم في أنفسها محدثة مدبَّرة، ومخلوقة بمشيئة الله مقدَّرة، ومبرية مصنوعة مصورة، وذلك أنا نظرنا في جميع حالاتها فإذا هي تدل على صانعها من قبل أجسامها وحركاتها.

فأول ما نبدأ إن شاء الله تعالى بذكر حركة الفلك ومسيره **فنقول:**

إن النجوم لا تخلو في جريها من أحد أربعة أوجه لا خامس لها: إما أن تكون جرت فوق الأرض في جو السماء قبل أن تجري في الفلك تحتها، (وإما أن تكون جرت تحت الأرض قبل أن تجري فوقها)[1]، وإما أن تكون لم تبدأ بالحركة قبل أن تجري فوقها، وإما أن تكون من تحتها ولا من فوقها، وإما أن تكون بدأت بهما معاً في حال واحد.

فإن قلت: إنها بدأت بالحركة من فوق الأرض قبل أن تجري تحتها ناهيتها وأقررت بحدثها من الفوق قبل التحت، وجعلت بدئها بالحركة من أحد المكانين قبل الآخر.

وإن قلت: إنها بدأت بالحركة من تحتها قبل أن تحرك فوقها ناهيتها أيضاً وجعلت الحدث كان من التحت قبل الوصول إلى الفوق.

وإن قلت: إنها جرت في الفوق والتحت معاً أحلت ، لأن النجم لا يوجد في الفوق والتحت معاً في حال واحد؛ لأن الفوق غير التحت والتحت غير الفوق، فكل نجم مما ذكرنا لا يخلو من أن يكون سار من الفوق إلى التحت أو من التحت إلى الفوق، أو لم

---

[1]- ما بين القوسين ساقط.

يسر من أيهما.

وإن قلت: إن النجوم لم تبدأ بالحركة من فوق الأرض ولا من تحتها جحدت حركتها وأبطلتها وادعيت عدمها ؛ لأنه لا يوجد إلا فوق الأرض في جو السماء ، أو تحت الأرض في بعض الهواء؛ فهذا والحمد لله دليل واضح على بدء حدثها وجريها ، وإبطال ما قيل به من قدمها، والله المستعان ، وهو حسبنا وعليه التكلان.

ودليل آخر: أنا نجد النجوم على حالين وهما الطلوع والأفول ولا تخلو من أحد وجهين فيما مضى من الأزمنة، إما أن تكون تطلع وتأفل، وإما أن تكون لم تطلع و لم تأفل.

فإن قلت: لم تطلع و لم تأفل؛ جحدت حركتها.

وإن أقررت بالطلوع والأفول لم يخل من أحد ثلاثة أوجه: إما أن تكون طلعت قبل الأفول، وإما أن تكون أفلت قبل الطلوع، وإما أن يكونا جميعاً في حال واحد.

فإن قلت: إنها بدأت بالطلوع قبل الأفول أقررت بحدث الحركة من الطلوع قبل الغروب.

وإن قلت: إنها بدأت بهما معاً في حال واحد أحلت، وأقررت بالحدث وناقضت، وجعلت الطلوع أفولاً، والأفول طلوعاً، ولزمك أن تجعل الليل نهاراً والنهار ليلاً، والوجود عدماً والعدم وجوداً، والباطل حقاً والحق باطلاً.

ودليل آخر: أن الذي مضى من الحركة على حالين، طلوع قبل غروب، وغروب قبل طلوع، وللقَبْلِ والبَعْدِ نهاية وغاية، لأنهما يدلان على الزيادة بعد النقصان، والنقصان يدل على القلة قبل الكثرة، لأن الحركات لم تكثر إلا بعد قلتها، ولا تزيد إلا بعد نقصانها، والزيادة بعد النقصان تدل على نهاية الزائد الذي كان ناقصاً قبل زيادة ما زاد فيه.

ودليل آخر: إما أن يكون ما مضى من طلوعها أكثر مما مضى من غروبها، وإما أن يكون ما مضى من الغروب أكثر مما مضى من الطلوع، وإما أن يكونا سواء سواء.

فإن قلت: إن الطلوع أكثر من الغروب، أو الغروب أكثر من الطلوع فيما مضى جعلتهما متناهيين إذا كانا متفاوتين.

ألا ترى أن الطلوع إن كان أكثر بمدة فللمدة نهاية وغاية، لأن النجم إذا كان ما مضى من طلوعه أكثر بمدة تشيا عند غروبه ، وإذا تشيا فللتسوية نهاية وغاية وإذا كان ممتشيين مرة ومختلفين أخرى فقد صح تناهيهما إذ لم يخلو مما ذكرنا.

ودليل آخر: أن الذي مضى من حركة النجوم هما الحالان اللذان ذكرنا وما مضى من الأشياء فقد نفد وتقضى، وما نفد فقد انقطع، وما انقطع فقد تناهى، ألا ترى أن الذي مضى طلوع وغروب، وكل فقد عدم وتناهى.

ودليل آخر: أن حركات النجوم لا تخلو من أحد وجهين إما أن تكون موجودة، وإما أن تكون معدومة.

فإن قلت: إنها موجودة أحلت ؛ لأن حركتها في الأيام التي مرت على القرون الأوائل غير حركتها في الأيام التي مضت علينا، لأن الدهور التي كانت فيها أصولنا هي غير الدهور التي فيها اليوم فروعنا ، لأن تلك أيام عدمت، وهذه أيام حدثت، وهذا مما لا يقول بغيره عاقل.

وإن قلت: بل ما مضى من الحركات معدوم فقد أقررت بالحق، وما عدم فقد تناهى.

فإن قال[1]: وما أنكرت من أن تكون الحركات تحدث وتعدم إلى ما لا نهاية له؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين، إما أن تكون عنيت ما هو الآن يحدث ويدور، وإما أن تكون عنيت ما مضى وفني بعد حدوثه، فذلك متناهي؛ لأنه على حالين متناهيين في الحدوث؛ ثم الفناء، وما يصح فناء كله بعد حدوثه كله فله نهاية وغاية.

---

[1]ــ في (ب): فإن قلت.

وإن كنت تريد بقولك: لا نهاية له ما هو الآن يدور من الحركات؛ فليس يعقل تناهيه وانقطاعه إلا من المسموع، وقد أخبر الله في كتابه بانتثار الكواكب وانكدارها، وسقوطها حيث يريد وانحدارها.

ودليل آخر: إما أن يكون ما مضى من جري الشمس في المنزلتين اليمانية والشامية موجوداً، وإما أن يكون معدوماً.

فإن قلت: إنه موجود، أحلت لأنها جرت على المنزلتين دهور مضت قبل حدوثنا بأزمنة ما لا يحصيه إلا خالقها.

وإن قلت: إنما مضى من جريها معدوم، تناهى جريها لما قدمنا من بيان تناهي المعدوم؛ لأن الذي مضى من جريها على حالين حال في المنزلة اليمانية وحال في المنزلة الشامية، وللحالين الماضيين النافذين نهاية وغاية.

وأيضاً فقد يدل حدث حركات النجوم في المشرق والمغرب أنها ذات عدد والعدد على وجهين متناهيين وهما الشفع والوتر، ولا يخلو ما فني وعدم من هذه المرار، وحساب الحركات والتكرار، من أن يكون شفعاً أو وتراً، وللشفع والوتر نهاية وغاية، لأن الشفع هو الأزواج، والوتر هو الفرود من الحساب، وقد عدم الجميع مما مضى وتضمنه العدم والفناء.

فإن قال: وما أنكرت من أن تكون قبل هذه الحركة ساكنة ثم وجدت بعد سكونها القديم متحركة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من قدم السكون الذي ذكرت لأنها لا تخلو في حال سكونها من أحد وجهين : إما أن تكون سكنت دهوراً كثيرة، وإما أن تكون سكنت دهوراً قليلة، وللكثير والقليل نهاية وغاية، وقد قدمنا الدليل على حدث الدهر وغايته وانقطاعه بعد حدوث ساعاته، والحركة والسكون فهما حالان محدثان لا ينفك الجسم منهما، وهما حقيقة الزمان وما كان مضطراً إلى حالين محدثين لا نجد من أحدهما بداً، ولا عنهما معاً بداً، فلا بد له من بَانٍ بَنَاهُ عليهما ، واضطره في الشاهد إليهما.

فإن قال: ما أنكرت من أن تكون النجوم تحركت قبل هذه الحركة التي دللت على انقطاعها بحركة لم تزل من طباعها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنها لا تخلو من أن تكون تحركت في بعض الجهات أو لم تحرك في شيء منها.

فإن قلت: لم تحرك في شيء منها، جحدتها، لأنها لا توجد إلا في أماكنها من الأهوية ومن غيرها.

وإن قلت: إنها تحركت في بعض الجهات؛ فالجهات معروفة وهي الفوق والتحت والمشرق والمغرب واليمن والشام.

فإن قلت: إنها لم تزل تهوي وتحرك سفلاً مما لا نهاية من الأجواء.

أو قلت: إنها تحركت في حال أزليتها علواً مصعدة مما لا نهاية له من الهواء.

أو قلت: إنها تحركت من المشرق مما لا نهاية له أو من المغرب إلى المشرق مما لا نهاية له، أو من اليمن مما لا نهاية له، أو من الشام إلى اليمن مما لا نهاية له أيضاً.

فالجواب لك في ذلك وبالله توفيقنا: أنا أنكرنا ذلك لأنها لا تخلو في مسيرها من أي الجهات كانت حركتها من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها، من أن تكون قطعت بحركتها أماكناً متناهية، وإما أن تكون قطعت أماكن لا نهاية لها، وإما أن تكون لم تقطع بحركتها شيئاً.

فإن قلت: إنها قطعت بحركتها أماكن لا نهاية لها، أحلت وناقضت، لأنك قلت: قطعت بحركتها أماكن فأوجبت نهاية الأماكن بقطع النجوم لها، لأن المقطوع متناهي، ثم نقضت قولك بقولك لا نهاية لها، فأوجبت نهاية الحركة إذ لم تكن الحركة إلا في الأماكن المقطوعة المتناهية لأن القطع للأماكن لا يكون إلا ببدء الحركة.

وإن قلت: إنها قطعت أماكن متناهية أوجبت نهاية الحركة، لأن الحركة لم تكن إلا في مكان، والمكان مقطوع ، والمقطوع متناهي.

وإن قلت: إنها لم تقطع بحركتها شيئاً، لم تخل من أحد وجهين، إما أن تكون حركتها

هذه كاختلاج العروق في أماكنها، أو سيراً من مكان إلى مكان.

فإن كانت حركتها من مكان إلى مكان، وقولك لم تقطع شيئاً محال، لأن السائر منها لا يكون إلا قاطعاً بحركته للهواء، وإذا تحركت النجوم وسارت، فلا بد أن تقطع ما عبرت.

وإن قلت: إن حركتها كاختلاج العروق في محلها، فقد حددت الحركة وناهيتها، لأنك زعمت أنها كانت تختلج في مواضعها، ثم انتقلت عن الإختلاج فانقطع منها؛ لأنها لما زالت عن ذلك المكان بطل اختلاجها، وثبتت حركتها وجريها، وإذا انقطع اختلاجها فقد تناهى، لأن الحركة أتت بعد انقطاع أوله وآخره.

وأيضاً فإنه لا يخلو ما انقطع من اختلاجها من أن يكون عدم جميعه أم لا؛ فلا نجد بداً من أن نعلم علماً يقيناً أن جميع ساعات الإختلاج قد بطلت وعدمت جميعاً بعدما حدثت.

والجواب في حدث حركات الرياح وهبوبها كالجواب في حركات النجوم في طلوعها وغروبها ، وقطعها للأماكن المتناهية بمسيرها ، وبيان الحدث في حركتها وتسخيرها، وإذا صح حدث الحركة والسكون صح أن صانعهما ومحدثهما بخلافهما، وأنه ليس بمتحرك ولا ساكن؛ لأنه لو كان متحركاً أو ساكناً لكان محدثاً وأنه لا يعقل ولا يعرف شيء من الأشياء إلا بأن لهذه المحدثات صانعاً بخلافها.

[ذكر بعض الصفات التي يستحقها الله تعالى]

وأنه عز وجل أولى بكل ما حسن من الصفات، وأحق بالتنزيه عن شبه المحدثات ، ومن أكرم صفاته العلم، والعلم فهو ذاته.

والدليل على أنه عالِم: أنا وجدناه مصلحاً حكيماً، والحكمة لا تتم للجهال[1].

أيضاً فإن الجاهل ممنوع من العلم، والله ليس له مانع لأن الممنوع مصنوع، والله له

---

[1]ـ في (ب): للجاهل.

صانع، وإذا انتفى عنه أن يكون ممنوعاً ، أو يكون مدبراً مصنوعاً ، صح أنه لم يزل من الجهل ممتنعاً، وإذا لم يزل برياً من الجهل والنقصان ، فعلمه قديم بأبين البيان، وإذا كان علمه قديماً أزلياً ، وكان من تأليف الغير إليه برياً ، صح أن علمه هو ذاته.

وكذلك قدرته وحياته؛ لأنه سبحانه لم يزل قادراً حياً ، سميعاً بصيراً قوياً، وسمعه وبصره فهما علمه، وعلمه فهو قدمه سبحانه، وقدمه وعلمه حياته، وحياته قدرته، وقدرته ذاته، وذاته حقيقته، وحقيقته وحدانيته، وحقيقة حكمته التي هي من صفات الذات هي علمه سبحانه بجميع المعلومات، وحقيقة حكمته عز وجل في صنعه للمحدثات هي إتقانه لما صنع من المحكمات التي لا تهيأ إلا بالحكمة الأزلية ، والصفة السابقة الأولية.

وحقيقة عدله: إحسانه، فمن وصفه بالإحسان فقد عدّله، ومن نسب إليه القبيح فقد جوّره.

وحقيقة رحمته لأوليائه ثوابه، **وحقيقة غضبه على أعدائه** عقابه.

وحقيقة كرم ذاته عظمته، وعظمته قدرته، وحقيقة كرم فعله نعمته.

وحقيقة عدله في البلوى تكليف ما يطاق.

وحقيقة عدله في التكليف إظهار الحسن من أفعال عباده، وإظهار الحسن خير من تركه.

وحقيقة عدله في الأمر بإظهار الحسن؛ لأن إظهار الحسن عاقبة حسنه من ثوابه.

وحقيقة عدله في خلق الكافر أنه لم يخلق كفره بل نهاه عنه وزجره، وأوعده على فعله وحذره.

وحقيقة حكمته في خلقه لمن علم بمعصيته أن خلقه لجسم العاصي وعقله وحياته بعد موته وإيجاده بعد عدمه حكمة جليلة ونعمة عظيمة، وفعل النعمة والحكمة خير من تركها.

وأيضاً فليس يجب على الحكيم أن يترك الحسن من فعله لعلمه بقبح القبيح من فعل غيره، وليس علمه بمعصية العاصي يدخله في معصيته، ولا علمه بخير المطيع يجبره على

طاعته، وليس يثيب ويعاقب على علمه، وإنما يثيب العبد أو يعاقبه بفعله؛ لأن العلم هو الله عز وجل وليس يثيب الله على نفسه وإنما يثيب العبد على حسن فعله وطاعته.

[الحكمة في عدم الإجبار على الأفعال، وفي الأمراض]

فإن قال قائل: فلم لم يجبر عباده على الطاعة كلهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه لو جبرهم على الطاعة لكانت الطاعة فعله لا فعلهم ولما استحقوا المدح على فعل غيرهم.

وحقيقة عدله في سقم عباده وإمراضهم وموتهم أن المرض والألم يدعو إلى الخوف من العذاب، والخوف يدعو إلى النعمة والثواب، ولو أمنوا الموت والأسقام وشفوا من الأمراض والآلام لعظمت ذنوبهم ولهلك بسبب الأمان أكثرهم ولقل خوفهم وهاهم اليوم مع قصر أعمارهم قد عظم هلاكهم وجل ظلمهم وضلالهم، فكيف لو أهملهم من ذلك وأنظرهم، ولكنه جاد علينا بذلك لعلمه بضعفنا، وأعاننا به على جهاد أنفسنا، لأنا وجدنا الخوف يمنع من اللذات ويشغل عن فعل السيئات، ويدعو إلى فعل الحسنات، ويدعو إلى الإقصار عن الموبقات.

والدليل على أن للصانع رسولاً أنه حكيم، والحكيم لا يهمل خلقه من الأمر بالخيرات، والنهي عن المنكرات، ولا يكون ذلك إلا كلاماً مسموعاً؛ فوجب أن يرسل إليهم رسولاً مسمعاً.

وحقيقة عدله في ذبح البهائم وإحلالها أن لها على ذلك ثواباً في آخرتها[1]، وليس ألم

---

[1] - كان حق العبارة : أن لها أعواضاً في آخرتها ، وذلك أن الثواب لا يكون إلا في مقابل أعمال المكلفين .

وتعني كلمة الثواب مجموع أمرين هما : التعظيم والمنافع ، والحيوانات لا تستحق التعظيم ، وحينئذ فلا تستحق إلا المنافع كالمآكل والمشارب. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

البهائم وأتعابها إلا دون ألم الأخيار وموتها.

وحقيقة عدله ونفي الجور عنه أنه غني عن الجور غير محتاج إليه، وأنه عالم بقبحه، وإذا كان عالماً بقبحه غنياً عنه لم يفعله.

[الأدلة على صحة البعث والنشور]

وحقيقة الدليل على البعث: أن الصانع حكيم، والبعث والحياة خير من موت الأبد.

ودليل آخر: أنه لم يخلق الخلق إلا لينفعهم بالبقاء، إذ لا منفعة في الهلاك والفناء.

ودليل آخر: أن موتهم بالكلية لا ينفعه ولا ينفعهم، وشيء لا ينتفع بفعله لا يكون من فعل حكيم.

ودليل آخر: أن بعثهم بعد موتهم لا يؤوده ولا يعجزه وإذا لم يعجز عن فعل الخير وجب عليه فعله.

ودليل آخر: أنه أمر ونهى فأطاعه قوم وعصاه آخرون، وقد وعد من أطاعه بالثواب وأوعد من عصاه بالعقاب، ثم انقضت آجال المطيعين و لم يثابوا وانقضت آجال العاصين و لم يعاقبوا، فعلمنا أن ثَمَّ داراً غير هذه الدار يثاب فيها المحسنون ويعاقب فيها المسيئون لأن المطيع يجب له الثواب، وكذلك يجب على أهل المعصية العقاب؛ لأن الحكيم لا يخلف الميعاد؛ لأنه غني عن إخلاف وعده ووعديه؛ ألا ترى أن المخلف لوعده إنما يخلفه لأحد ثلاثة أوجه:

إما لاجتلاب منفعة، أو دفع مضرة، أو عبث وسفه؛ فاجتلاب المنافع واللذات لا تكون إلا للمحدثات؛ لأن لذة المنفعة لا تصل إلا إلى كل شيء أو بعضه، والكل والبعض لا يكون إلا مخلوقاً محدثاً، ومربوباً مدبراً؛ لأن المحتاج المضطر لا بد له من مانع منعه من الغنى والسعة والجاه واضطره إلى الحاجة.

وكذلك الدافع عن نفسه للمضار يكون محتاجاً إلى الدفاع عن نفسه ملجأ مضطراً إلى الخوف من هلكته، ومن كان مضطراً معتقاً خائفاً لم يكن رباً ولا خالقاً؛ لأنه محل للخوف واللذات ملجأ إلى المحن النازلات غير آمنٍ من المهلكات، فهاتان صفتان

للمخلوقين يتعالى عنها رب العالمين وفاطر السماوات والأرضين وخالق الخلق أجمعين، ومجيب المضطرين، وأرحم الراحمين، وأعظم الأعظمين وأكرم الأكرمين.

وأما العبث والسفه فإنما تولد من الشهوات والهوى، والخالق تبارك وتعالى لا يشتهي ولا يهوى، لأن الهوى والشهوة عرض يحل في القلوب ويتعالى عنه علام الغيوب.

وأيضاً فقد نجد من المخلوقين الضعفاء المحتاجين من لا يخلف وعده، ولا ينقض أبداً عهده، مع ضعفه وحاجته، ومسكنته وفاقته، وقلة علمه وحكمته، فكيف بمن لا يضعف عن التدبير، ولا يهن عن التقدير، ولا يحتاج إلى ظلم عبده، وإخلاف وعده ووعيده، ومن هو أحكم الحكماء، وأعلم العلماء، وأرحم الرحماء، وأقدم القدماء، وأخبر الخابرين، وأقدر القادرين، وخير الغافرين، وأحسن الخالقين، وأرزق الرازقين، وأسرع الحاسبين، وأقرب الأقربين، ومن عظمت بينته، ووسعت رحمته، وبانت حكمته، وظهرت نعمته، وقامت حجته، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وقهر سلطانه، وعم إحسانه، وعظم شأنه، ووضح [تبيانه، وتبين][1] برهانه، وكمل عدله، وجل فضله، وكرم فعله، وبلغت رسله.

والحمد لله ولي النعم، والفضل والكرم، على بدي نعمه، وفضله وكرمه، وصلى الله على نبينا ومولانا محمد وآله وسلم تسليماً.

تمّ كتاب عبدة النجوم.

---

[1]ــ زيادة في (ب).

كتاب الطبائع

من كلام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عليهما السلام-

وهو الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطاهرين وسلم تسليماً:

[الدليل على حدوث السماوات والأرض هو اختلافها]

سألت يا أخي وفقك الله لطاعته، وخصك بأجزل كرامته، وحباك بأسنى هدايته، عن أولى مسائل المتعبدين، وأعظم مقاصد المهتدين، وأهلك مهالك الملحدين؛ **فقلتَ**: ما الدليل على حدث السماوات والأرضين، وهما أدل الدلائل على رب العالمين.

والدليل على حدثهما: أنا نظرنا إلى اختلافهما فلم تخلوا عندنا من أحد أوجه تدل على حدوثهما: إما أن تكونا خالفتا بين أنفسهما، وإما أن يكون اختلافهما من قِبَل قدمهما، وإما أن يكون اختلافهما دليلاً على حدثهما.

فإن قلت: إن اختلافهما من فعل أنفسهما فهذا محال؛ لما علمنا من موتهما، لأن الميت لا يقي نفسه فكيف بتدبيره لها، وإذا عجز الحي الحكيم عن تدبير نفسه وتعذر عليه تحسين القبيح من صورته فالموات أعجز من ذلك وأجدر بالعجز عن أن يكون كذلك.

وإن قلت: إن اختلاف أجناسهما وتغاير صفات أجسامهما من قبل قدمهما، فالقديم لا يوصف بالاختلاف، ولا يتضاد في شيء من الأوصاف؛ لأنه إن اختلف في شيء من أوصافه، وقع الفرق بينه لعلة اختلافه، وبطلان اتفاقه وائتلافه؛ لأن القديم صفة واحدة توجب الإئتلاف، ولا توجب المضادة والاختلاف؛ فلو كانت السماء والأرض قديمتين؛ لما كانتا في الأوصاف مختلفتين، إذ لا فرق بين قدمهما، فلما وقع التفاضل بين أجزائهما، والاختلاف بين صور أجسامهما، صح عندنا بأيقن اليقين حدثهما، إذ لا فضل لقديم على قديم مثله ولا يخالفه، إذ هو من شكله.

[الدليل على اختلاف المحدثات]

فإن قال بعض الملحدين بجهله، أو عارض بمكابرة عقله، وكذلك المحدث أيضاً لا يخالف محدثاً مثله، ولا يوجد في الأوصاف مغايراً له.

فالجواب في ذلك وبالله نستعين: أن اختلاف المحدثات أوجب من اختلاف القديم، لأن القديم لا فرق بين قدمه ولا مخالف بينه فيدل فيفضل بعضه على بعض، والمحدثات أضداد مختلفة، وفي الدلالة على الصانع مؤتلفة، واختلاف أجناسها دليل على المخالف بينها لنعلم أنه سبحانه بخلافها، وتصرف أحوالها دليل على مصرّفها؛ لأنا لما وجدنا السماء قد خصت بالسمو والارتفاع، وخصت الأرض بالهبوط والإتضاع، علمنا أن مختصاً خالف بينهما، ودل بذلك على حدوثهما.

ومما يدل أيضاً على حدوث الأرض، إذ هي أقربهما إلينا، وأيسرهما مشاهدة علينا، أنا لما نظرنا إليها وما أظهر الله من الدلائل عليها، فوجدناها على ضربين مختلفين وهما الكبر والصغر، فما الذي جعل بعضها كبيراً، وجعل منها شيئاً صغيراً حتى خالف بينهما، وما الخصيصة التي فضلت أحدهما بالكبر وخصت أحدهما بالقلة والصغر، أوَلستَ تعلم أن الخصائص تدل على المختص بها.

ودليل آخر: لما نظرنا اختلاف سهولها وجبالها وتضاد أحوالها وألوانها، دل ذلك على صانعها وجاعلها، إذا التفضيل لبعضها على بعض دل على المفضل بينها.

ودليل آخر: أنا نظرنا إلى افتراقها واجتماعها فوجدنا منها ما هو ملتئم مجتمع، ومنها ما هو مفترق منقطع، علمنا أن لها مفرقاً جامعاً، ومفتطراً خالقاً صانعاً، وإلا فما جعل المفترق مفترقاً، دون أن يكون ملتئماً ملتزقاً، وما خص أحدهما بالتباين والافتراق، وخص الآخر بالملائمة والإلتزاق.

ومما يدل على حدث الجسم الواحد في ذاته أنه متغاير مختلف في جميع صفاته، لأن حركة الشيء غير سكونه، ورائحته أبداً غير لونه، وصفاته غير عينه، فلا بد من صانع ألف بين المختلفات بلطفه، وإلا فما الذي خالف بين الموصوف ووصفه.

[الدليل على حدوث الأصول والطبائع]

وسألت عن الدليل على حدث أصول المناسلة وفروعها، وبيان الصنع في عللها وطبائعها.

والجواب في ذلك: أن الدليل على حدث أصولها وفروعها، أن الحكمة لازمة لجميعها، لأن كل طبيعة من طبائعها، قد جعلت لمصلحة من مصالحها، كلما[1] أصلحت الأجساد بآلات جوارحها فكل طبيعة من هذه الطبائع لا تشبه الأخرى، ولولا اختلافها على الحيوانات لهلكت، ولما تناسلت ولا كثرت، لأن الحيوانات في بدء نشأتها ركبت على ضعف بنيتها لنعلم بفاقتها وحاجتها أنها مضطرة إلى المنعم بقوتها، لتشكر فضل نعمه بحياتها، فتستحق المدح والثواب على شكرها.

والطبائع الأربع فهي أضداد متنافية، في صلاح الأجسام متكافية، لأن الحر والبرد ضدان، وكذلك الرطوبة واليبس مختلفان.

وكذلك الاختلاف دليل على حكمة صانعها إذ جَعَل كلَّ طبيعة تصلح لخلاف ما تصلح له الأخرى، وإلا فما الذي جعل البرد والحر مختلفين، دون أن يكونا جميعاً مؤتلفين، وما الذي خص [أحدهما بالتبريد والإجماد، و][2]خص الثاني[3] بالحرارة والإتقاد؟، وما الذي خالف بين اليابس والرطب فاختلفا دون أن يتفقا ويأتلفا؟، وما الذي خص أحدهما بالرطوبة واللين دون أن يكونا على اليبس مجموعين.

فالموجود من الأجسام كلها لا يصح وجوده إلا يابساً أو رطباً، حاراً أو بارداً، ولو بطلت الطبائع من الجسم لما كان موجوداً كما لا يصح وجود محدث عدمت حركته وسكونه، لأن الموجود صفة لا يصح مع بطلانها كونه، ولو عدم الحيوان طبائع الحركة، لكن ذلك له من أعظم التهلكة، وكذلك القول في الأشجار المغتذية إنها لا تتم إلا بطبائع

---

[1]- في (ب): كما.

[2]- زيادة في (أ).

[3]- في (ب): الآخر.

الأغذية وليست الطبائع بفاعلة للحكمة والتدبير، ولا هي بعالمة بعجائب التقدير، وإنما هي حكمة من حكم رب العالمين، ودلالة عليه لجميع المخلوقين.

وأصل الحكمة عند جميع أولي الألباب، فإنما هي إصلاح الأسباب بالأسباب، فلما وجدنا الأشياء تصلحه بطبائعها، دلنا الإصلاح على حكمة صانعها، لأن الطبائع جعلت لمنافعها، فعلمنا أن المتفضل عليها بنعمها حي عالم بضعف أجسامها، لأنه لو كان ميتاً جاهلاً بفاقتها لما اهتدى إلى إصلاح قوام حياتها؛ لأنا نجد الموت والجهل يوجبان الفساد، ولا يدركان تدبير أمور العباد.

[الدليل على أصول الفروع]

والدليل على أصول هذه الفروع: أن الموت وقع على الجميع، وللجميع نهاية وغاية، ألا ترى أن الفروع متشعبة من أصولها ، فإن الأصول في التدبير كنسولها، وإذا صح أن في هذه النسول من الحكمة مثل ما في الأرض، فلا بد لها من محكم ، وإذا صح أن عليهما نعمة فلا بد من منعم، وإذا كانا جميعاً محدثين فهما بغير شك متناهيان؛ لأن الموت وقع على أصولها كلها وللكل نهاية وغاية.

ألا ترى أن أصولها على معنيين يدلان على النهاية، ويخبران بالأصل والغاية، وهما الحياة والموت، وذلك أن الحياة حوتهم كلهم فلم تغادر منهم أحداً حتى حوته، ولم تترك من أجسادهم جسماً حتى حلته، ثم خرجت الحياة من الأجسام كلها، وانتقلت من فروعها وأصولها، فلم تُبْقِ الحياة جسماً حتى فارقته، ولم تترك جسداً حتى باينته، ثم تضمن الموت جميعهم، وحوى أصولهم وفروعهم، وإذا حواهما الموت فقد ناهاهم، وأوضح حدهم وغاياتهم؛ لأنه لم يقع على الفرع حتى تضمن أصله، ولم يُفنِ الفرع حتى أفنى الأصل قبله.

وإذا تناهت الفروع إلى أصولها، ورجع أكثرها إلى قليلها، فلا بد من النظر في الأصل الذي هو أقل من فرعه، والبحث على فعل الحكيم وصنعه؛ فإذا نظرنا في ذلك علمنا أن الغاية التي صحت، والنهاية التي سلفت، زوجان أصليان غير مولودين، ولا من الأصلاب

والأرحام موجودين.

والدليل على حدثهما كالدليل على حدث فروعهما، وذلك أن في كل واحد منهما حكمة في ذاته، ومصالح في جوارحه وصفاته.

ثم علمنا أن فيهما جميعاً صنعاً محدثاً من عجيب خلق الذكر والأنثى، وجعل كل واحد منهما لصاحبه غمداً، وقصد الصانع لاتفاقهما قصداً.

والدليل على أنهما كانا قبل حياتهما ميتين، وكانا قبل الحياة معدومين: أنهما إذا كانا حيين معمرين فلا يخلو ما مضى من أعمارهما من أن يكون كثيراً أو قليلاً، وللكثير والقليل نهاية تدل على الابتداء، لأن ما مضى من العمر فقد تناهى، لأن كثيره لم يكبر إلا بعد أوليته.

ودليل آخر أن حركاتهما فيما مضى لم تكثر إلا بعد قلتهما، وقلة الحركة تدل على أوليتها ، وتخبر بقضاء جميعهما بنهاياتها، وانقطاع أولها وآخرها بغاياتها، لأن آخر الحركة لم يعدم إلا بعد عدم أولها وانقطاع أكثرها وقلتها وفنائها بعد حدوثها كلها، والحياة مقرونة بالحركات، والسكون مقرون بالممات، فكانت حياتهما مدة، والمدة قد عدمت، وكانت لهما حركات فسكنت، وأعمار بعد حدوثهما انقطعت، فرحمة الله عليهما ورضوانه وصلواته وغفرانه.

وإذا صح أن لحياتهما أولاً لم يخلو من أن يخلقا في البدء طفلاً، أو يكون جعلهما تماماً كاملاً؛ فإن كانا في بدء خلقيهما طفلين ، وكانا إلى التربية واللطف محتاجين، فذلك دليل على خالقهما إذ جعلهما بعد صغرهما، وقواهما بعد ضعفهما، وكثرهما بعد قلتهما، وعلمهما بعد جهلهما، وأغناهما بعد فقرهما.

وإن كانا في بدء الأمر كاملين، وخلقا في البدء عاقلين، فإنهما في الكمال محتاجان إلى الأغذية وأنواع المصالح المختلفة من المآكل والمشارب الطيبة، واللباس وأظلة الأبنية، وذلك فما لا يقدران عليه، ولا يجدان السبيل أبداً إليه، إلا بالله المنعم الواحد الخلاق، المتفضل الرازق، لأنهما في بدء خلقهما لا يدريان ما أريد بهما، ولا يكون ذلك إلا بعد

تأديب مؤدبهما، وقبول إلهام معلمهما، لأنهما مع جهلهما وحيرتهما لا يعلمان المنافع والمضار إلا بعد طول تجربتهما، والتجربة ربما كان فيها الهلاك والتدمير، وبطلان الحكمة والتدبير، فمن أجل هذا أوجبت أن يكونا مُعَلَّمين، ولجميع أسباب الحكمة ملهمين.

والدليل على أصول هذه البهائم ونسلها، كالدليل على هذه الفروع وأصلها؛ فلعمري لو لم يكن لنا من النظر إلا ما في جوارحنا لكان في ذلك دلالة على الله سيدنا، ولكنا علمنا أن الفحص عن أصل هذا الخطب الجليل أولى بالحكمة عند أهل العقل، ولترك النظر هلك الملحدون، الفسقة الكفرة الجاحدون، الصم البكم المتلددون، الجهلة الفجرة المتمردون، ولترك الأدلة لم يعرفوه، وبعداوتهم جهلوه، فهم كالبهائم التي لا تعرف إلا ما جاهرت، ولا تميز إلا ما حاضرت، ولا تدرك إلا ما شاهدت ونظرت، فزادهم الله نأياً وبعداً، ولا وفقهم لخير أبداً.

[الحكمة في دوام التكليف بعد موت الرسول(ص)]

وسألت أكرمك الله عن دوام التكليف بعد الرسول، وذكرت أن يكون الجواب من المعقول.

والدليل على دوام ذلك: أن الحكيم لا يهمل خلقه من الأمر بالخيرات، والنهي عن المنكرات، لأنه إن تركهم على الضلالة و لم يهدهم و لم يأمرهم و لم ينههم فقد اختار لهم الضلالة على الهدى، ورغبهم في الغواية والردى، ومن اختار الضلالة فغير حكيم، ومن رضي للعباد بالجهل فليس برحيم، فمن هاهنا صح دوام التعبد لجميع العباد، إذ الإهمال يدعو إلى الفساد.

ودليل آخر: أن الحكيم إذا أظهر حكمته لم ينسخها و لم يبدلها إلا بخير منها أو مثلها، و لم يُرَ بعد القرآن بدله، و لم يُرَ خير منه ولا مثله.

ودليل آخر: أن الحكيم إذا ركب في عباده الاستطاعة والقوى، وفطرهم على منازعة الهوى، فلا بد من صرف ذلك في طاعة وهدى، أو في جهل وضلالة وردى، فالعقول تشهد أن الحكيم لا يأمر بصرف نعمه في الفساد، ولا يرضى لعباده بغير الرشاد، ولا

رشداً أرشد ولا هدىً أهدى مما نزل الله في الفرقان من الهدى.

ودليل آخر: أن من أخفى هداه وحكمته، فقد نزع عن أوليائه رحمته، ومن أخفى حكمته عن أوليائه، وخلع حجته عن أعدائه، فقد برئ من الحكمة والتدبير، إذ رضي بالجهل والتدمير.

ودليل آخر: أن دار البلوى لا يخلو أهلها من التشاجر في أحكامهم وأديانهم، واختلاف آرائهم وأهوائهم، وإذا كانوا من الصفة على ما ذكرنا، وكانوا من الاختلاف على ما به قلنا، فلا بد للحكيم من أحد وجهين؛ إما أن يختار لهم أحكامهم على حكمة، ويصطفي جهلهم على علمه، وإما أن يحكم علمه على جهلهم، وينفي بحكمه باطل حكمهم، وإذا لم يكن بد من كتاب يحكم بينهم ويبين لهم ما التبس عليهم فلا نعلم أبين من قوله، وما نزل من الهدى على رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وسَلَّم-.

وإذا كانوا من اختلاف الأهواء على ما قدمنا، وفي قلة الإتفاق على ما شرحنا، لم يؤمن أن يلبسوا بذلك على من يريد النجاة بجهلهم، ويبطلوا الحق بأسوأ فعلهم، فمن هاهنا وجب على الحكيم تبارك وتعالى أن يرسل في كل قرن من القرون رسولاً ليبين لهم ما فيه يختلفون، وينفي من الباطل ما لبّس الضالون.

[الحكمة في شرعية الإمامة وبيان موضعها]

وإذا كان ذلك واجباً عليه لحكمته، لم يؤمن أهل التمويه من بريته أن يلبسوا على الناس بدعوى رسالته، فمن هاهنا وجب أن يخص بالإمامة أهل بيت معروفين، وبصحة النسب عند الخلائق موصوفين مشهورين، ليكذب الناس مدعي ذلك من غيرهم، ويكون الطلب للإمامة في بعضهم أيسر من الطلب في كلهم، وأبين للمرتادين، وأهون على المتعبدين، من أن يطلبوه في الخلائق أجمعين، مع أنه لو كان ذلك في جميع الناس، لوقعوا في أعظم الالتباس، لكثرة دواعي الفاسقين، واغتيال الظلمة المنافقين.

ولما كان ذلك واجباً على الحكيم نظرنا في قوله فوجدنا قد افترض مودة ذوي القربى من رسوله ووجدنا أقرب القرابة لديه، وأسبقهم وأعظمهم عليه، وأجداهم في الجهاد بين

يديه، وأحبهم إلى الله وإليه، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين -عليه صلوات رب العالمين-.

ثم وجدنا أقرب قرابته، وأخصهم بنسبه وولادته، السبطين ابني الرسول الطاهرين -صلوات الله عليهما وعلى أبيهما وأمهما وعلى من طاب من ذريتهما-.

ثم وجدنا الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه- قد خصهما بنسبه وولادته فعلمنا أن ذريتهما أقرب قرابته مع دلائل تطول لو ذكرناها، ويتسع بها القول لو شرحناها، فهم أقرب قرابة الرسول، وأحقهم بنسبه عند جميع أهل العقول.

وإذا كان الإمام من هذين الحيين، وكان لا يوجد في غير آل السبطين، فلا بد له من دلائل يبين بها عنهم وإلا فلا فرق بينه وبينهم؛ فمن تلك الدلائل التي تنبه عن قرابته، وتُشهِره للناظرين عن أهل نسبته من أهل بيته، أن يكون أرجحهم عقلاً، وأحسنهم مقالاً وفعلاً، وأشهرهم حكمة وفضلاً.

[الحكمة في خلق المخلوقات الضارة]

وسألت -وفقك الله لمرضاته وأعانك على طاعته- عن حكمة الله في خلق هذه الضوار، من ذوات السموم والمضار.

واعلم يا أخي أن هذه الهوام في أنفسها حكمة جليلة، تدل على خالقها من تركيب آلاتها وأدواتها، وإحكام صنعة هيئاتها، وإصلاح جميع قوام حياتها، وإلهامها لمنافعها ومضارها، ولذات نعيمها ومسارها، فقد كُفِيَتْ أسباب أرزاقها، وسُهِّلَ لها جميع أرفاقها، لعلم الصانع الحكيم بضعفها عن اختيار الأرزاق، وتكلفها، فأغناها عز وجل من سعة فضله وكفلها بأنواع لطفه، وهي لا تحرث ولا تزرع، ولا يدخر أكثرها ولا يجمع، فكم فيها من عجيبة تضل فيها العقول، وحكمةٍ يقصر دون وصفها القول، وما عسى أن نذكر من عجائب أوصافها، ونشرح من خصائص ألطافها، أو نحصي من غرائب أصنافها، لعجزنا عن ذلك وضعفنا ، وجل صنع الحكيم عن وصفنا.

ألا ترى إلى الذرة وضعفها ، كيف عجزت الحواس عن وصفها ، وقصرت عن إدراك

مختلف أغراضها ، في تصرف إقبالها وإعراضها، ودرك فهمها لمعايشها ونفورها عن المهالك وخوفها وشهواتها لجميع لذاتها، وقوام روحها وتفصيلها، وحياتها وإصلاح خلقها وتعديلها، وتوصيل جوارحها وتفصيلها، قد جعلن لها أعماد تقلها عن السقوط ، وفصلت للإصعاد والهبوط، ولولا تلك الأعماد لما ارتفعت، ولولا تفصيلها لما انتفعت، ولسكنت عن التحرك وانقطعت، ولكن الحكيم جاد عليها برحمته، وامتنّ عليها بإظهار حكمته، وأتمها بفواضل نعمته.

وأما ما يسأل الآدميين من ضرر الهوام، فما هو إلا كسائر الآلام، وما السم إلا سقم من الأسقام، وعلة من علل الأجسام، ومحنة من محن ذي الجلال والإكرام، يعظم فيها الأجر للمسلمين، ويجل فيها ثواب المؤمنين، وتخويفٌ من رب العالمين، وموعظة لعباده الموقنين، وحجة ونعمة للفاسقين، وعقوبة للعجزة الظالمين، لأن الألم يدعو إلى ذكر الموت والفناء، ويُزهّد ذوي الألباب في دنياهم فيدعوهم الخوف إلى الإقصار، عما يولج في عذاب النار؛ فهذه حكمة من حكم رب الأرباب، يستحق الشكر عليها من ذوي الألباب.

مع أنه عز وجل يثيب المؤمنين على أمراضهم وأسقامهم أكثر مما يثيبهم مع صحتهم؛ فالحمد لله الذي جاد علينا بموعظته وجعل الرحمة في نعمته فيا لها محناً حسنت، ونعماً جلت وجسمت، وحكمة بانت وعظمت.

وإذا كان في البهائم لله حكمة، وكان عليها منه نعمة، وكان قد ألمها بأنواع من الآلام، وامتحنها بالموت والأسقام، فلا بد لها في الآخرة من نعيم لا يبلى، إذ كان إيلامه لها عدلاً، وإذ كان بالبهائم الخرس رحيماً، وكان في أمورها عدلاً حكيماً؛ فكيف بمن عرفه من أوليائه وأيقن بثوابه ولقائه وأحب وأبغض فيه، وهجر في بغضه مبغضيه، وصافى في محبته محبيه، ووالى فيه من يواليه، وعادى وناصب من يعاديه، فرحم الله عبداً اتصل بمولاه وذل له ولمن والاه ، وقطع فيه جميع من عاداه ، و لم يركن إلى متاع غرور دنياه.

[الرد على من قال إن البهائم تصير يوم الحشر تراباً]

وقد بلغنا عن بعض أهل الحيرة والعمى، ومن لم يعط من التوفيق عطية الحكماء، أنه زعم أن البهائم تكون بعد الحشر تراباً، ولا يجعل الله لها على ألمها ثواباً، وإنما يقول بهذا من جهل حكمة الواحد الرحمن، ولم يوقن برحمته حقيقة الإيقان، وقد قضى بالجور والعدوان.

ولو كان الأمر في البهائم على ما وصف الجهال، وقال به الكفرة الضلال، لم يخل في إماتته لها من أحد وجهين: إما أن يكون عدلاً في إماتتها مرتين، ويثيبها على بعثها ثوابين، بعد أن يحشرها في الآخرة حشرين، وهذا محال عند ذوي العقول، فاسد في الاعتقاد والقول.

وإما أن يكون جائراً كما زعموا فيعذبها عذابين بعد أن أحياها كرتين، فكيف يكون عدلاً إذا آلمها، وامتحنها بعد الحشر فأعدمها، ومن عذب في الآخرة والأولى بغير ذنب لم يكن عدلاً، فقذفوا الله تبارك وتعالى، وأخرجوه من الحكمة جهلاً.

ودليل آخر: إما أن يكون –تعالى عن قولهم– رحيماً في إماتتها، وإما أن يكون رحيماً في حياتها؛ فالرحمة لا تكون في الموت الأبيد، وإنما الرحمة في الحياة والتخليد.

ودليل آخر: إما أن تكون بعد موتها تنفعه وإما أن تكون تنفعها فهو غني عن موتها وحياتها وهي محتاجة إلى حياة أنفسها، والموت فغير نافع لها، وإذا اتسعت رحمته، فكيف تضيق على البهائم نعمته، وهو قادر على تخليدها، وغير عاجز عن مزيدها.

[الدليل على خلود العصاة في النار والحكمة في ذلك]

وسألت عن الدليل على دوام التخليد، والجواب في صدق الوعد والوعيد، أن الحكيم رؤوف بالعباد، وإبطال الجنة وأهلها من أكبر الفساد، والحكيم لا يقطع ثوابه عن أوليائه، كما لا يقطع عقابه عن أعدائه، لأنه إن قطع ثوابه فقد ظلمهم، وعبث في خلقه فأهلكهم، والله يتعالى عن العبث والفساد، ويجل عن ظلم العباد، لأن أهل الجنة صبروا على محن الحكيم، والصبر محمود عند كل رحيم.

وأيضاً فإن الحكيم لا يظهر الحكمة للعبث والفناء، ولكنه جعل ذلك للبقاء، وقد

أحسن أهل الجنة بالطاعة والإيمان ، فهل يجازي أهل الإحسان بغير الإحسان، أجل إنه لبعيد عن ذلك ، وأكرم من أن يكون كذلك.

وأيضاً فإنه شكور للمطيعين ، والشكور لا يقطع شكره عن الشاكرين ، ولا يهلك عباده المؤمنين، ألا ترى أن حكيماً من حكمائنا لو أنعم بنعمة ثم سلبها ، وانتزعها عن المنعم عليه وأذهبها ، لما سميناه مع هذا الفعل الدنيء حكيماً، ولا دعاه أحد أبداً كريماً، ولصار عند الخلائق مذموماً، ولكان عند الجميع لئيماً، ولما كان عندهم أبداً رحيماً، فكيف بأحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأشكر الشاكرين، وخير الغافرين.

فإن قال بعض الجهال الملحدين، الكفرة الفجرة الجاحدين: فلم زعمتم أنه لا يرحم أهل النار، ولا ينقلهم إلى دار الأبرار؟

قيل له ولا قوة إلا بالله العظيم: لأن إخراج الفاسقين من العذاب الأليم، إلى الجنة والثواب الكريم، يدعوهم إلى البطر والفساد، وإلى ما كانوا فيه من الكفر والعناد، والعبث والظلم للعباد، وذلك قول الواحد الرحمن ، فيما نزل من محكم القرآن: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(٢٨)**﴾ [الأنعام]، فكيف لا يستحق هؤلاء الفاسقون، ما صاروا إليه من العذاب المهين، مع ما علم الله من كفرهم وفسادهم، وفجورهم وعنادهم، حتى أنه علم أنه لو أخرجهم من العذاب، لعادوا لما نهوا عنه من الأسباب، فكيف يا أخي أكرمك الله بثوابه، ونجانا وإياك من عذابه، يرجى لهؤلاء أبداً توبة، أو ينتظر منهم إنابة، أو تنفع فيهم موعظة أو تذكير، مع ما سمع من قول العليم الخبير، ومتى يرجى لهم فلاح، أو صبر أو رجعة أو صلاح، إذا لم يزجروا أنفسهم عن اللذات، ويقطعوها قطعاً عن الشهوات، ويجاهدوها جهاداً عن المهلكات.

فإن قال قائل أو سأل من الملحدين سائل: فكيف لا يهلكهم ويفنيهم، ويميتهم في النار ويبليهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه لو أماتهم وأهلكهم لأخلف وعيده في تخليدهم، والحكيم لا يكذب في وعيده، فيكون ناقصاً عند جميع عبيده.

وأيضاً فإنه لو أهلكهم لكان الموت راحة لهم ، ولكان تخفيفاً عنهم وتخليصاً لهم من العذاب، وتفريجاً من كرب العقاب، فكيف يفرج الحكيم عن من قتل أنبيائه، وظلم رسله وأولياءه، وأعان على دينه أعداءه، واجتهد في إطفاء نوره، واستهزأ وتلعب بأموره، وأقبل على لهوه وفجوره، واشتغل عن وعظه وتذكيره، فكل هؤلاء الظلمة الفجار، الفسقة الأنجاس أهل النار، يظلم على قدر طاقته، ومبلغ قوته واستطاعته، فمنهم من فعل جميع الشرور، وركِب أنواع الظلمة والفجور، وقتل الأنبياء المرسلين، والأئمة الطاهرين، وأتباعهم الأخيار المؤمنين، ومنهم من خذل المرسلين، وأعان بخذلانه لهم القاتلين، ومنهم من كثر بداره ديار الفاسقين، وكثر جمايع الظالمين، وعمّر أسواق الجائرين، ومنهم من ظلم نفسه وأغواها، واختار الهلكة فأرداها؛ ثم يطمع أن يخلف الله وعده، ويظلم بإخلاف الوعيد نفسه، والحكيم لا يظلم نفسه بالمحال، وإخلاف صدقه في المقال، للكفرة الفجرة الضلال، العصاة للواحد الرحمن، العظيم المتفضل المنان، ذي العزة والكرم والإحسان، والقدرة والمحال والسلطان، والحكمة والجلال والبرهان، واللطف والبر والإيمان، من لا يعذب أولياءه، ولا يظلم في الحكم أعداءه، ولا يأخذ أحداً بغير كسبه، ولا يعذبه إلا بذنبه، ولا يعذب بصغائر الذنوب، ولا تخفى عليه خواطر الغيوب، ولا تحتجب عنه خفيات العيوب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

يتلوه كتاب: شواهد الصنع والأدلة على وحدانية الله وربوبيته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الذي لا يعذب من حمده، ولا يضل عن الهدى من أرشده، ولا يخيب رجاء من قصده، ولا يذل من نصره، ولا يضل سعي من شكره، ولا يَعْمَى عن الحق من بصَّره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله شهادة من أيقن بوحدانيته، وتعرض لعفوه ورحمته، وجوده وكرمه ورأفته، وأقر بذل ملكته، وتخضع لعظمة سطوته، وانقطع إليه بكليته، وأخلص قلبه لمحبته، وانقاد لأمره وطاعته، وتاب إليه من خطيئته، وأستعين به على نصيحته، وأرغب إليه في مودته، وإلهام رشده وحكمته.

وبعد: فإن الله جل ذكره تعرف إلى خلقه بإيجاد ما أوجد من بريته، وصنع ودبر بمشيئته، ثم أوصل إليهم العلم بربوبيته، بما أظهر لهم من أعاجيب فطرته، وشواهد صنعه وآياته.

باب الدلالة على الله عز وجل

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه[1]-: إن سأل سائل مسترشد، أو قال قائل ملحد فقال: ما الدليل على الله رب العالمين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أنا نظرنا الإنسان فإذا هو أقرب الأدلة على نفسه، فلم يخل عندنا من أحد ستة أوجه لا سابع لها:

[١] إما أن يكون خلق نفسه.

[٢] وإما أن يكون قديماً لم يزل .

[٣] وإما أن يكون حدث لعلة من العلل.

[٤] وإما أن يكون هملاً رَسْلاً لا من علة ولا من خالق.

---

[1]- في (ب): قال مولانا الإمام أمير المؤمنين المهدي لدين الله العالم الحسين بن القاسم -صلوات الله عليهما-.

[٥] وإما أن يكون متولداً لم يزل نطفة من إنسان وإنساناً من نطفة إلى ما لا نهاية له ولا أصل، ولا غاية ولا أول.

[٦] وإما أن يكون من خالق محدِث قديم حي قويم.

فإن قلت: إنه قديم لم يزل؛ فهذا محال لأنا وجدناه بعد العدم.

[إبطال كون الإنسان أحدث نفسه أو حدث بالعلة]

وإن قلت: إنه أحدث نفسه؛ فهذا محال لأنا وجدناه في حال كماله وبلوغه وحياته عاجزاً عن تحسين القبيح من صورته، فعلمنا أنه في حال طفوليته وموته وغفلته، ونقصانه وقلته، أعجز وأضعف، لأنه إذا عجز في حال الكمال فهو في حال الضعف أحرى بالعجز.

وإن قلت: إنه حدث من علة من العلل؛ فهذا محال لأن العلة لا تخلو في حال إحداثها له من وجهين: إما أن تكون مواتاً وإما أن تكون جسماً حيواناً؛ فإن كانت حيواناً فيستحيل تدبير الحيوان مثله إذ الحيوان مصنوع، عاجز عن الصنع ممنوع.

وإن كانت العلة مواتاً فيستحيل أن يصنع الموات إنساناً محكماً مدبراً مبقياً مصوراً حكيماً عالماً إذ الموات لا يعي نفسه فضلاً عن فعل الحكمة البالغة، والنعمة السابغة.

وإن قلت: إنه حدث بالتولد نطفة من إنسان، وإنساناً من نطفة إلى ما لا نهاية له ولا أصل ولا بدء ولم يزل شيء من شيء؛ فهذا محال لأنك قد أقررت بما شاهدت من حدثه ثم نقضت يقينك بالظن الكاذب فقلت: لا أصل للمحدث ولا بداء ، وهذا المحدث لم يزل شيئاً، فقولك محدث يقين، وقولك قديم ظن.

ودليل آخر: أنا نجد في هذا المحدَث آثار الحكمة بعد عدمها، ويستحيل أن تكون الحمكة الحادثة قديمة الأزلية.

ودليل آخر: أنا نظرنا الخلق فإذا هو قد أكمل وأحكم، وأنعم عليه وأكرم، فعلمنا أن الإحكام والإكمال لا يكون إلا من مكمل محكم، وأن الكرامة والنعمة لا تكونان إلا من مكرم منعم.

ودليل آخر: أنا وجدنا الإنسان فرعاً ولا بد لكل فرع من أصل، ويستحيل فرع من غير أصل.

ودليل آخر: أنا وجدنا الإنسان ينسب إلى ذكور وإناث، فإذا أصله على قسمين، وللقسمين نهاية وغاية.

ودليل آخر: يدل على الأصل والفرع من الحدود، أن الموت وقع عليهم فلم يخل من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون وقع على جميع آبائه الأول منهم والآخر، وإما أن يكون وقع على بعضهم، وإما أن يكون لم يقع على أول منهم ولا آخر.

فإن قلت: لم يقع على أحد؛ فأَوْجِدْنا جميع جدودك له الأحياء الأولين.

وإن قلت: بل وقع على بعضهم؛ فأَوْجِدْنا الأوائل الثاوين أهل العدم منهم.

وإن قلت: بل وقع على أولهم قبل وقوعه على آخرهم؛ فهذا يدل على أن الإنسان قد وقع عليه الموت.

ودليل آخر: لما وجدنا الإنسان فرعاً حياً، والجدود أصولاً أمواتاً، لم يخل الموت من أن يكون وقع على الأصل كله أو لم يقع، فلا نجد بداً من أن نقول: بل وقع على كل ذكر وأنثى من الجدود والجدات، وفي إقراره ما كفانا إن أنصف عقله.

ودليل آخر: إن قال: ما أنكرتم من أن يكون لم يمت من هذه الأصول إلا وقبلها أموات إلى ما لا نهاية له.

قيل له ولا قوة إلا بالله: أوليس قد تقدم فيما مضى من كلامنا أن قولك هذا محال، لأنه ظن، وحدوث الحكمة والنعمة والرحمة تدل على المحدث المحكم المنعم الرحيم بأيقن اليقين، وقبول العقول أولى من قبول الظن.

ودليل آخر: أنا قد بينا لك أيضاً أن قولك متناقض فاسد، لأنك أقررت بالحدث ثم نقضت ذلك بقولك قديم، والمحدث لا يكون قديماً، كما لا يكون القديم محدثاً.

ودليل آخر: لا يخلو قولك لا نهاية للأموات من أحد ثلاثة أوجه: إما أن تكون عنيت جميع الأموات، وإما أن تكون عنيت بعضهم، وإما أن تكون ظننت ذلك ظناً وتوهماً.

فإن كنت ظننت ذلك ظناً فاليقين أولى بالاتباع من الظن، والحق أولى بالتصديق من الباطل، والتعلق بالخبر أولى من المقام في الحير.

وإن كنت أردت[1] بقولك لا نهاية تريد بعضهم؛ فهذا محال إذ لا فرق بين أولهم وآخرهم في وقوع الموت عليهم، وانقطاع آجال جميعهم ، وتصرم الكل منهم.

وإن كنت عنيت بقولك لا نهاية جميع الأموات؛ فهذا محال لأن الموت وقع على الكل، وللكل نهاية وغاية، ألا ترى أن الموت قد حوى الجميع و لم يغادر منهم أحداً ، و لم يقع الموت على الفرع حتى تضمن أصله، لأنه لم يفن الفرع حتى أفنى الأصل قبله، و لم يفن بعض الأصل بل أفنى كله.

وإن قلت: إنه حدث من غير محدث ولا من علة هملاً رسلاً فهذا من أحول المحال، وأبطل الباطل، وأفسد المقال؛ لأنه إذا حدث من غير علة ولا محدث لم يخل من أن يكون حدث من العدم أو من نفسه.

[إبطال كون العدم أحدث الإنسان]

فإن قلت: إنه حدث من العدم فهذا محال بين الفساد، لأن العدم لا يوصف بالإيجاد، لأن العدم لا شيء، والفاعل لا يكون إلا موجوداً مدبراً، حكيماً مقدراً، لأن قولك لا يحدث شيئاً نفي للمحدث والمحدِث، لأن لا شيء عدم، والشيء وجود، والعدم ليس بعامد ولا معمود، ولا شيء سوى اللفظ مقصود، وإنما قولنا عدم نريد النفي لهذا الاسم، وإذا كان هذا المحدَث عدماً قبل حدوثه فالعدم لا شيء، ولا شيء لا يكون شيئاً بغير شيء، لأنك إذا قلت: معدوم بعدم بمعدوم نفيت الجميع إذ كله باطل محال، وعبث من صاحب المقال، وإلا فما الذي جعل وجود المعدوم أولى من عدمه ، وما جعل حدوثه أولى من تركه؟

فإن قلت: إن ذلك من أجل أنه متروك، فالمتروك متروك.

---

[1]- في (ب): عنيت.

وإن قلت: من غير الترك، فذلك الفاعل الحكيم، الجاعل المتفضل بالتكوين، الخالق بغير معين، الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، الواحد الأحد، المتفرد الصمد، الذي لا إله سواه، ولا أمد حواه، ولا عين تراه، ولا له مثل ولا نظير، ولا وزير ولا نصير، ولا شريك ولا مشير، إلهنا وسيدنا، وحبيبنا ومعتمدنا، وربنا وخالقنا، ومنشئنا ورازقنا، من لا تحصى آياته، ولا تنقطع دلالاته، ولا تعد نعمه، ولا يتناقض علمه، ولا يستجهل حلمه، ولا يدركه نظر، ولا يحويه قطر، ولا يكتنهه ضمير، ولا يحده مصير، ولا يعجزه تدبير.

[إبطال كون العلة أحدثت الإنسان]

ودليل آخر: لو حدث لعلة لم تخل تلك العلة من أحد وجهين: إما أن تكون جسماً، وإما أن تكون عرضاً.

فإن كانت جسماً : فالجسم محدث ضعيف عاجز.

وإن كانت العلة عرضاً : فالعرض أعجز من الجسم ؛ لأنه لا يوجد إلا بوجود الجسم، ولا يقوم إلا بقوام الجرم، وما لم ينفك من الجسم و لم يكن قبله فهو بغير شك في الحدوث مثله، وذلك أن الجسم لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون ساكناً، وإما أن يكون متحركاً، وأي المعنيين كان فيه فهو يدل على حدثه؛ لأنه إن كان ساكناً فسكونه على ضربين سكون ماض وسكون مستقبل؛ فالسكون الماضي يدل على مبتدأه، والسكون المستقبل فقد ناهاه، لأن ما مضى من السكون له آخر، وما كان له آخر فله أول، ويستحيل آخر بلا أول، لأن آخر السكون هو أقل قليل الأوقات، وما مضى منه فهو أوله الكثير.

وذلك السكون الماضي الذي هو بزعمهم قديم لا يخلو من أن يكون عدم كله أو لم يعدم؛ فإن قالوا: إنه غير معدوم؛ فهذا محال لأنه قد سكن من الدهور والأزمان ما لا يحصى من ألوف السنين، والألوف فقد عدمت، و لم يعدم آخرها إلا بعد عدم أولها، وإذا صح عدم الجميع فقد صح تناهي السكون الماضي، لأن العدم قد وقع على أوله وآخره، وإذا صح أن له أولاً فقد بطل قدمه وثبت حدثه، وإذا بطل قدمه وثبت حدثه فقد صح

حدث الجسم إذ لم يسبقه و لم يتقدمه.

ودليل آخر: قالوا لما نظرنا إلى الجبل ساكناً غير زائل علمنا أنه لم يسكن وقتاً إلا وقبل الوقت وقت إلى ما لا نهاية له؛ وهذا محال بين الإحالة عند من عَقَل لأن سكون الجبل على قسمين: قسم قليل وقسم كثير؛ فالقسم القليل موجود وهو المستقبل لأنك إذا نظرت سكونه انتظرت أن يسكن بالمشاهدة أقل مما سكن قبل ذلك فيما مضى من الدهور ؛ لأنه قد سكن فيما مضى ألوف سنين لا تحصى ، فأنت قد شاهدته لأنه موجود، و لم تشاهد الألوف لأنها عدمت كلها ، وذهب أولها وآخرها، وللكل نهاية وغاية.

وإذا صح تناهي السكون وانقطاعه ، وعدم آخر السنين بعد عدم ما قبلها فهو على ضربين معدومين، سكون قبل سكون، وسكون بعد سكون، وكل ذلك قد مضى، وتضمنه العدم والفناء، وما صحت نهايته وعدم أوله وآخره فله أول معدوم، وما كان له أول فهو محدث، وإذا صح سكون الجبل فالجبل محدث إذ لم يسبق سكونه بزعمهم.

ودليل آخر: إذا صح أن لسكون الجبل أولاً قد عدم لم يخل ذلك السكون الأول من أن يكون قليلاً أو كثيراً، فإن كان قليلاً فأقل السكون بعض ساعة، وإن كان كثيراً فالكثير من السكون لا يكثر إلا بعد قلته، ولا يزيد إلا بعد نقصانه، ولا يوجد إلا بعد عدمه ولا يوجد آخره إلا بعد عدم أوله، وأوله أقل القليل.

ودليل آخر: إذا كان الكثير من سكون الجبل لا يوجد إلا بعد عدم فالقليل أحرى بأن لا يوجد إلا بعد العدم، وإذا عدم جميع ما مضى منه فالعدم قد وقع على الكل، والفناء قد تضمنه، وحوى أوله قبل أن يحوي آخره، وإذا حوى الآخر الكثير، لم يكن ذلك إلا بعد أن مضى على الأول اليسير.

ودليل آخر: إذا قلت: لا أول لسكون الجبل سألناك هل له آخر؟

فإن قلت: ليس له آخر؛ جحدت الجميع. وإن قلت: بل له آخر بلا أول سألناك: هل قبل الآخر سكون أم لا؟ فإن قلت: ليس قبله سكون أوجبت حدثه، وإن قلت: قبله

سكون سألناك: أهو موجود أو معدوم؟ فإن قلت: موجود أحلت؛ لأنك لا تجد سكونه ألوف سنين في ساعة واحدة، وإن قلت: بل هو معدوم أوجبت عدم الجميع.

ودليل آخر: إذا قلت: لا نهاية للمعدوم سألناك: هل عدم كله أو بعضه؟ فإن قلت: لا كله ولا بعضه؛ جحدته ونفيته.

وإن قلت: عدم بعضه، سألناك: أين الباقي مما مضى من ألوفه؟

ودليل آخر: إذا قلت: لم يعدم من سكون الجبل شيء إلا وقد عدم قبله شيء إلى ما لا نهاية له سألناك: أتريد بقولك لا نهاية له الكل من المعدومات أم البعض؟ أم لم ترد كلاً ولا بعضاً؟

فإن قلت: لم أرد كلاً ولا بعضاً جحدته، وأبطلت ما بالقدم وصفته.

وإن قلت: عنيت وأردت بعضه، فالبعض قسم محدود متناهي.

وإن قلت: بل عنيتُ وأردتُ وذكرتُ بالقدم وقصدت الكل من المعدوم، فقد ناقضت قولك عند أهل العقول ؛ لأن الكل المعدوم قد تضمنه العدم، فلم يغادر منه طرفة عين ولا وهم.

ودليل آخر: إذا قلت إن العدم قد وقع على الماضي من سكون الجبل كله لم يخل هذا السكون المعدوم من أن يكون وجد جملة واحدة معاً في ساعة واحدة، أو وجد كثيره بعد قليله، وآخره بعد أوله أو وجد قليله بعد كثيره، أو لم يوجد أي ذلك؟

فإن قلت: لم يوجد شيء مما ذكرت، جحدت ما لا ينجحد، وما لا ينكره ممن عقل أحد.

وإن قلت: بل وجد قليله بعد كثيره، وكثيره بعد قليله، أصبت وجعلته عدداً معدوداً، متناهياً محدوداً، والعدد القليل والكثير لا يوجد الآخر منه إلا بعد الأول، ولا الاثنين إلا بعد الواحد، وذلك يدل على سبق قليله لكثيره، إذ لا توجد ساعة إلا بعد نقصانها، ولا تكثر إلا بعد قلتها.

وإن قلت: بل وجد جميع ما مضى في ساعة واحدة أقررت بحدثه وأحلت، لأن

الماضي من الأزمان ساعات لا تحصى ويستحيل أن تكون الأزمان الكثيرة ساعة يسيرة بل إذا صح أن العدم وقع على الكل منها صح منتهاه، إذ حده العدم وحواه، وتضمنه وغاياه، وأبطل الجميع وناهاه، وإذا ثبت في المعقول أن سكون هذا الجسم لا يكون إلا شيئاً بعد شيء، ولا سكن كثيراً إلا بعد سكونه يسيراً، صح ما قلنا به من مبتدأ السكون وصح بصحته مبتدأ حدوث الجسم إذ لم ينفك من هذا الحادث و لم يسبقه.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون تحرك قبل ذلك السكون بحركة لا نهاية لها؟

قيل ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنه إذا تحرك قبل السكون فسبيل الحركة سبيل السكون في الحدث.

ودليل آخر: إذا كان للحركة آخر ومنقطع، فلها أول ومبتدع، وذلك أن آخر الحركة التي قطعها السكون أقل القليل، وقد كان بزعمك أكثر الكثير، فخبرني عن هذا الكثير أعدم كله أم بعضه، أم لم يعدم منه كل ولا بعض؟

فإن قلت: لم يعدم، أحلت.

وإن قلت: عدم بعضه أحلت؛ لأن الحركة لا يوجد منها شيء بعد السكون، وإن قلت: بل عدم الكثير كله؛ ففي قولك عدم الكل ما كفى وللكل أبعاض لم يوجد آخر منها إلا بعد وجود أول ولا وجد كثير منها إلا بعد وجود قليل.

ودليل آخر: إذا قلت: إن قبل كل حركة سكوناً، وقبل كل سكون حركة إلى ما لا نهاية له، سألناك: هل تعني بقولك لا نهاية له كل ما مضى وعدم منهما؟ أم تريد بعض ذلك؟ أم لا تريد أيهما؟ فلا تجد مخرجاً مما ذكرنا.

قال[1] المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: إذا لم يكن الجسم كائناً ما كان من الأشياء لم ينفك من هذين الحالين، فهو محدث بأبين البيان، وإذا كانت

---

[1]- في (ب): قال الإمام المهدي لدين الله الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن علي -صلوات الله عليه-.

الأعراض لا توجد إلا في الأجسام وكان محالاً أن تكون قبلها، فسبيلها في الحدث سبيلها، لأنا نفينا أن تكون علة كون الإنسان وغيره من الحيوان جسماً أو عرضاً، لأنهما محدثان [قال الحسين بن القاسم][1] فلما بطل أن تكون علة كون الإنسان وغيره من الحيوان جسماً أو عرضاً أو عدماً صح أن له صانعاً قديماً، وهو الله رب العالمين.

باب الدلالة على صنع الله في الحيوانات

[الحكمة في خلق الإنسان والإنعام عليه]

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: أخبروني ما الدليل على الله عز وجل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إعلم أيها السائل أن أقرب الأدلة إلى الإنسان نفسه، وذلك أنا نجد الإنسان بعد عدمه، فنعلم أن له موجِداً أوجده بعد عدمه، لم يجد في نفسه حكمة، ونجد عليه نعمة ، ولا تكون الحكمة إلا من حكيم ، ولا النعمة إلا من منعم كريم.

فإن قال: وما الحكمة التي في الإنسان؟ وما النعمة التي عليه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أما الحكمة التي فيه فالصنع الذي لا يكون إلا من صانع حكيم، وأما النعمة فالرزق المبسوط الذي لا يصح إلا من رازق كريم، وذلك أنا نظرنا الإنسان فإذا هو نطفة من ماء مهين ميت قليل حقير، غير سميع ولا بصير، ثم وجدناه بعد ذلك إنساناً حياً حكيماً مدبراً سميعاً بصيراً موصلاً مفصلاً، قد جعل كل معنى منه لمعنى، ولا يجعل المعنى للمعنى ، إلا عالم بما صنع وبنى.

فأول ما نظرنا منه تكثيره بعد قلته، وقوته بعد ضعفه، وحياته بعد موته، وعلمه بعد جهله، فعلمنا بيقين أن هذه نعم محكمة لا تكون إلا من حكيم عليم، وتدابير لا تكون إلا من مدبر قديم، ورحمة لا تكون إلا من رحيم.

والدليل على ما ذكرنا من العلم والحكمة والرحمة، أن الرحمة هي الفضل والنعمة، وأن

---

(1)- زيادة في (ب).

الكرم هو البسط للمنافع عند الحاجة والفاقة، وأن ذلك لا يكون إلا من عالم حكيم، لأنه لم يعط عبيده ما أعطاهم إلا لعلمه بفاقتهم، و لم يتكرم عليهم بإيجادهم إلا لإتمام الحكمة في خلقهم، و لم ينعم عليهم إلا تفضلاً برزقهم.

وذلك أنا نظرنا إلى ما جعل فيهم من الحياة بعد موتهم فعلمنا أن الحياة من أكثر النعم، وأعظم الفضل وأكمل الكرم، ثم نظرنا إلى ما جعل فيهم من المفاصل المفصلة التي لا يصلح التدبير ولا يتم إلا بها ، فجعل المفاصل للحركة والمسير والقيام والقعود والإقبال والإدبار، و لم يكن ذلك ليتم إلا بما جعل من الأبصار، المضيئة المنيرة في الليل والنهار، الهادية في البر والبحار، ولولا تلك النواظر لما تم التدبير ، ولكان العمى من أعظم المهالك والتدمير.

ثم جعل الألسن الناطقة وجعل الأسماع الواعية، وجعل العقول المميِّزة التي لولا هي لهلك المخلوق فجعلها لاجتلاب المنافع ونفي المضار، ومعرفة الخيرات والشرور، واستخراج عجائب الأمور، ثم ركب الأجساد على النعم واللذات والمعايش المقرونة بالحياة ، من الأرزاق المبسوطة المنزلة المجعولة ، التي لا قوام لهم إلا بها ، ولا غنى لهم أبداً عنها.

وعلم أن تلك الأغذية لا تتم إلا بالوصول إلى أجسادهم ، ومباشرة بطونهم وأكبادهم، فجعل لها مداخل اضطرهم إليها وبناهم عليها.

وعلم أنه إن لم يجعل لذلك الغذاء مخارج قبل كونه في بطونهم وإلا هلكوا ودمروا ، و لم ينموا و لم يكثروا ، فقدم ذلك وجعله ، وركّبه وفعله ، لعلمه بفاقتهم إليه، فركبهم وبناهم عليه ، رحمة منه لهم وتفضلاً عليهم.

وعلم عز وجل أنهم لا ينمون ولا يكثرون ، إلا بما جعل في الإناث والذكور ، وما في تناسلهم من التدبير، وعجيب الصنع والتقدير، فجعل منهم إناثاً وذكوراً ، ليكون للنسل أصولاً ، وصنعاً عجيباً جليلاً، فجعل ذكور الأشياء قبل إناثها ، لما أراد من جعل الحيوانات وإحداثها ، ثم جعل في الذكور والإناث من الشهوة ما يكون سبباً للإحداث،

وجعل لذلك أماكناً غير مشتبهة يصلح بعضها لبعض بتقدير الحكيم ، المدبر الحي العليم، وجعل في تلك الأماكن مسالك لنطف الذكور ، إلى أماكن الحكمة والتصوير ، فالفصل من الأصلاب إلى الأرحام، بتدبير ذي الجلال والإكرام، نطف أقرها الله بقدرته وأثبتها بمشيئته إلى أجل معلوم، ووقت من الأوقات مفهوم، به أخرج تلك النطف بعد نطوفيتها وموتها أطفالاً صغاراً ، قد شق لهم أسماعاً وأبصاراً، وأخرجهم سبحانه من بطون أمهاتهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يقدرون للآفات والمضار دفعاً ولا منعاً، ولا يعقلون بصراً ولا سمعاً، ولا يهتدون سبيلاً، ولا يملكون عقولاً.

وعلم عز وجل أنهم لا يقومون ولا يحيون ولا ينمون إلا بما ركبهم عليه من الأغذية واللذات، وقوام الأجساد المجسمات، وأنهم يضعفون بصغرهم عن المآكل التي لا تصلح للأطفال، فجعل لهم قبل كونهم أغذية في أجساد أمهاتهم لعلمه بضعفهم وفاقتهم، وجعل في قلوبهن رحمة لهم فأحياهم بذلك وقواهم، وكفلهم به وأغناهم، وأنبتهم به وأنماهم، وأنعم بذلك وغذاهم، وشد أسرهم وقواهم، وأعطاهم العقول فهداهم، ثم أمرهم ونهاهم، بعد أن بصّرهم هداهم.

فأي عجب أعجب مما ذكرنا، وأي حكمة أكمل مما به قلنا، وأي نعمة أسبغ، أو أي حجة أبلغ، مما ذكرنا من صنع ربنا، وخالقنا وإلهنا ورازقنا.

فبينما نحن نطفٌ حقيرة أموات ، إذ نحن على غاية الكمال ، من توصيل الأجساد والأوصال ، والحياة بعد موتنا ، والتكثير بعد قلتنا، والعقول بعد غفلتنا، والحمد لله على ما امتن به علينا، وأسداه من النعم إلينا، ولا إله إلا هو جل جلاله، وظهرت نعمه وأفضاله، وسبحانه عن شبه المخلوقين، وتبارك عما يقول به العادلون، وينسب إليه الجاهلون.

فلما نظرنا إلى هذه الحكمة البالغة، والنعمة السابغة، علمنا أن الحكمة صفة حكيم لما فيه من بيان علم العليم، والصفة لا تكون إلا لموصوف فمن هاهنا صح ما به قلنا.

[شهادة العقل على إثبات الحكمة في خلق الحيوانات]

ودليل آخر: إما أن يكون العقل شاهداً على أن في هذه الحيوانات حكمة، وإما أن يكون شاهداً على أنه ليس فيها حكمة؟

فإن قلت: إن العقل يشهد على أن ليس فيها حكمة؛ فهذا من أكبر المحال، وأقبح ما نطق به من المقال، لأن كل حكمة موجودة ليس الأصل فيها إلا من الحيوان وهو في نفسه وخلقه وعقله وتركيبه أحكم من فعله وقوله.

وإن رجعت إلى الحق فقلت: بل هوفي الحيوانات ما لا ينكره عاقل، ولا يكابر فيه عالم ولا جاهل، لم يخلو العقل من أن يكون شاهداً على أن هذه الحكمة من صفة حكيم، أو شاهداً على أنها من صفة جاهل موات غير عالم، أو شاهداً على أنها من صفة معدوم؛ فهذا محال ؛ لأنك جعلت للعدم صفة وهي الحكمة ، فجعلت العدم حكيماً فأثبت موجوداً، والعدم لا شيء ، ولا شيء لا يوصف بالحكمة ولا الجهل ، ولا يوصف بالتدبير ولا العقل.

وأيضاً فقد أوجبت الحق بإثباتك الصفة إذ لا تكون الصفة إلا لموصوف، ثم نقضت قولك بإثباتك للمعدوم والعدم ليس بمجهول ولا معروف.

وإن قلت: إن الحكمة من صفة موات جاهل؛ فهذا ما لا يقول به من الحق عاقل، ولا يراه من الناس إلا غافل، لأن من صفة الموات الجهل، وبطلان الحكمة والعقل، وما كان من الأشياء جاهلاً وكان عن التدبير حائراً غافلاً، لم يكن حكيماً ولا عاقلاً، وما كان بالموت والغفلة موصوفاً، وكان بالعجز والجهل معروفاً، فيستحيل أن تكون منه حكمة بالغة، ونعمة جليلة سابغة، لأن الحكمة هي الإحكام، والكرم والتفضل والإنعام، وإذا بطل أن يكون ذلك من العدم المعدوم، وبطل أن يكون من موات غير عليم، صح الوجه الثالث وهو الله العليم الحكيم.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه الحكمة تولدت من طبائع قديمة حية مدبرة، وإما أن تكون تولدت من طبائع محدثة مصنوعة مدبرة، وإما أن تكون تولدت من العدم.

فإن قلت: إنها تولدت من العدم أوجبت أنها معدومة ونفيت وجودها، لأن العدم لا

يوجب وجوداً إذ هو غير موجود، ولا شيء سوى النفي مقصود.

وإن قلت: إن هذه الحكمة تولدت من طبائع محدثة، فالمحدث لأولها هـو المحدث لآخرها، وفي هذا إثبات الخالق لها.

وإن قلت: إن هذه الحكمة تولدت من طبائع قديمة ميتة، فهذا محال ، لأنها لا تخلو من أن تكون أوجدتها بعد العدم ، أو هي كانت موجودة معها في حال القدم.

فإن قلت: إنها كانت قديمة معها ثم انفصلت عنها؛ فهذا محال، لأنا قد بينا حدثها، وأوضحنا الدليل على حدوث فرعها وأصلها، فيما تقدم من قولنا، وأيضاً فإن في الحكمة آثار صنع العالم الحكيم.

وإن قلت: إن هذه الطبائع الميتة أوجدت الحكمة بعد العدم ، فهذا محال، لأنها لا تخلو من أحد وجهين: إما أن تكون أوجدتها بعلم، وإما أن تكون أوجدتها بجهل.

فإن قلت: إنها أوجدتها بعلم؛ فهذا محال ؛ لأن الميت لا يعلم شيئاً ، ولا يكون العالم إلا حياً.

وإن قلت: إنها أوجدت الحكمة بجهل ، فهذا محال ، لأن الجاهل الميت لا يعقل ولا يعي، ولا يحسن ولا يسيء، ولا يحكم التدبير، ولا يبرم الأمور.

وإن قلت: إن هذه الحكمة حدثت من علل قديمة حية حكيمة مدبرة ، فهذا هو صفة الخالق، والخالق ليس يسمى عللاً ، وإنما هو الله الذي لا إله إلا هو العليم الحكيم.

ودليل آخر: أن العلل الميتة محدثة لأن الموات ساكن، والساكن مقيم لابث، واللابث لا يخلو من أن يكون لبث وأقام وقتاً طويلاً، أو أقام وقتاً قليلاً.

فإن قلت: إنه لبث وأقام وقتاً قليلاً أوجبت حدثه من قليل من الأزمان.

وإن قلت: إنه مقيم لابث منذ وقت طويل قديم؛ فهذا محال أن يكون الوقت قديماً، لأن الأوقات هي للأزمان، والأزمان قد فنيت، ووقع الفناء على كل ما مضى منها فعدمت، و لم تعدم الأوقات والأزمان كلها إلا بعد حدوثها، و لم يعدم آخرها إلا بعد عدم أولها، وإذا كان للمقام والأوقات أول وآخر، فقد صح حدث الجسم المقيم، إذ لم

ينفك من المقام والأوقات، وما لم ينفك من سكون الساعات، و لم يكن قبلها، فسبيله في الحدث سبيلها.

[إبطال كون الأجسام قبل الزمان]

وإن قلت: إن الأجسام كانت قبل الزمان سألناك: أكانت متحركة أو ساكنة؟

فإن قلت: لا متحركة ولا ساكنة؛ جحدتها ونفيتها.

وإن قلت: إنها كانت قبل الزمان غير منفكة من حركة أو سكون لم تخل من أن تكون تحركت أو سكنت قليلاً أو كثيراً.

فإن قلت: إنها تحركت أو سكنت كثيراً فالكثير أوقات ودهور وأزمان وساعات، وفي ذلك إثبات ما قلنا به من أن الأجسام لم تنفك مما ذكرنا من الأزمان.

وإن قلت: إنها تحركت أو سكنت أوقاتاً قليلة، أوجبت أيضاً أنها لم تنفك من قليل الأوقات، فكأنها لم تنفك من المحدثات، ولم تكن قبلها موجودات، وإذا لم تكن قبلها و لم تتقدمها فهي محدثة معها.

[إبطال إحداث الشيء لنفسه]

وإذا صح حدث الأجسام كلها، وصح حدث حركاتها وسكونها، لم تخل من أحد أربعة أوجه: إما أن تكون أحدثت أنفسها، وإما أن تكون حدثت هملاً، وإما أن تكون حدثت من محدث قديم.

فإن قلت: إنها أحدثت أنفسها؛ فهذا محال لأنها كانت معدومة، فكيف تحدث أنفسها وهي غير موجودة، والفاعل لا يكون إلا موجوداً غير معدوم.

[إبطال إحداث العلة للأشياء]

وإن قلت: إنها حدثت لعلة لم تخل العلة من أحد وجهين: إما أن تكون جسماً، وإما أن تكون عرضاً، وقد بينا حدوث الجسم والعرض، ولو كانت المحدثات من محدثات، لكان في ذلك دليل على رب السماوات، إذ كل المحدثات لم تنفك قط من السكون والحركات، وإذا لم ينفك الكل من الحدث صح بذلك الخالق المحدِث.

ودليل آخر: لو كان كل محدث من محدَث لكان لذلك آخراً، وما كان له آخر فله أول، وما كان له آخر وأول فقد صح حدث الجميع.

ودليل آخر: إذا كان للمحدثات آخر لم يخل ما مضى من المحدثات من أن يكون الآن كله موجوداً، أو بعضه، أو كله معدوماً.

فإن قلت: عدم كله، أوجبت أنه عدم بعد حدثه، وصح عدمه كله بعد حدوثه كله.

وإن قلت: بل عدم بعضه، جعلته على قسمين: قسم قد عدم ، أفناه العدم بعد حدوثه، وأفقده بعد وجوده، وقسم حدث ثم هو الآن موجود كله.

وإن قلت: إنه الآن موجود كله فقد ناهاه الوجود، وللكل نهاية وغاية.

ودليل آخر: إذا لم يكن شيء من الأشياء المحدثة كلها تنفك من الحركة والسكون فقد مضى للحركات والسكون أزمنة تضمنها الفناء وفي ذلك من الكلام ما قد مضى، وفيه كفاية لمن اكتفى.

وإن قلت: إن الجمادات حدثت في البدء هملاً لا من علة ولا من محدث أوجبت عدمها، لأنها إذا كانت عدماً لم تخل من أن تكون وجدت من قبل العدم أو وجدت لسبب؟

فإن قلت: إنها وجدت للعدم، فهذا محال، لأن العدم لا شيء، فلا شيء لا يكون سبباً للأشياء ؛ لأن السبب لا يكون معدوماً ، لأن العدم نفى الأسباب.

[إبطال إحداث السبب للأشياء]

وإن قلت: إنها حدثت لسبب ، لم يخل ذلك السبب من أحد وجهين : إما أن يكون قديماً، وإما أن يكون محدثاً.

فإن قلت: إنه محدث فالمحدث مخلوق ، وليس كلامنا إلا في المخلوق ، لِمَ خُلِقَ؟ وما

سببه ؟ وما علته؟ وإن قلت: إن السبب الذي أوجد الخلق[1] قديماً أصبت ورشدت وعرفت الخالق.

[بيان الحكمة وممن تكون؟]

ودليل آخر: لا تعدو هذه الحكمة التي قدمنا ذكرها من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما أن تكون حكمة قديمة، وإما أن تكون حكمة محدثة.

فإن قلت: إنها قديمة فهذا محال، لأنا قد بينا حدثها.

وإن قلت: إنها محدثة لم تخل من أن تكون حدثت بإحداث الحكيم أو بالإهمال.

فإن قلت: حدثت بالإهمال، فهذا من أكبر المحال، لأن الهمل هو العدم، والعدم لا يوجب كون الحكمة ولا غيرها.

وإن قلت: بل حدثت بإحداث الحكيم صدقت، وكان ذلك كما ذكرت.

ودليل آخر: إما أن تكون عنيت بقولك الحكمة قديمة تريد قدم سببها الموجب لها، وإما أن تكون أردتها هي بالقدم في نفسها، فهذا باطل لما قدمنا من الدليل على حدثها، وإن كنت تريد سببها الذي أوجدها؛ فلعمري إن سببها قديم وهو خالقها وربها.

ودليل آخر: لم يختلف أحد في حدث ظهور تمام هذه الحكمة، وإنما اختلف في سببها وأصلها وكيفية ظهورها وبيانها، فأجمع الكل أن سببها شيء قديم؛ ثم اختلفوا فقال بعضهم: طبع موات، وقال بعضهم: رب حي.

ففسد قول الملحدين الكفار الملاعين لأن الموات لا يكون سبباً للحيوانات.

وفسد قولهم أيضاً لأن الموات ليس بحكيم ، والحكمة صفة للعليم.

وفسد قولهم أيضاً لأن الموات محدث كسائر المحدثات.

وفسد قولهم أيضاً لأن الجود صفة جواد ، والموات لا يعي ولا يعقل ، فكيف إلى أن

---

[1]ـ في (ب): المخلوق.

يجود ويتكرم ، والكرم والجود لا يكونان إلا من كريم متفضل رحيم.

ودليل آخر: إنما سميت الحكمة حكمة؛ لأنها محكمة، والحكيم فهو المتقن المبرم، والإتقان والإبرام فلا يكونان إلا بعلم وإحكام، والعلم والإحكام لا يكونان إلا من الحكيم العلام، والنعمة لا تكون إلا من المنعم لعلمه بفاقة المحكم إلى الإحكام، ولا يبرم المبرمات إلا عالم بحاجتها إلى الإبرام، وذلك كله فلا يكون إلا من ذي الجلال والإكرام.

ودليل آخر: لا بد أن تضاف هذه الحكمة إلى حكيم، أو تضاف إلى غير حكيم، فأيهما شهد بجوازه العقل جاز فالعقل يشهد بالجواز أن يضاف إلى الحكيم ولا يجوز في العقل أن تضاف الحكمة إلى غير حكيم.

ودليل آخر: لا بد أن تضاف هذه الحكمة إلى موات محدث، أو إلى قديم حي محدث؛ فالعقل يشهد بإضافتها إلى القديم المحدِث الحي، ولا يشهد بإضافتها إلى الميت المحدث أصلاً.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه الحكمة أحكمت وبسطت النعمة وأنعمت بعلم الحي أو بجهل الميت؛ فإن قلت بالجهل فالجهل لا يوجب خيراً، وإن قلت بالعلم فالعلم صفة عالم.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه الحكمة تمت بفعل قادر حي، وإما أن تكون تمت بفعل ميت عاجز؛ فإن قلت: بفعل الميت العاجز فالموت والعجز لا يتمان خيراً، وإن قلت: بل بفعل قادر حي؛ صدقت، لأن الفعل لا يتم إلا من الحي القادر.

ودليل آخر: إما أن يكون التوصيل والتفصيل من فعل موصل مفصل، وإما أن يكون من فعل ميت عاقل، فالميت العاقل لا يوجب توصل أوصال، ولا تفصيل مفاصل.

ودليل آخر: إما أن يكون جعل الشيء لمصلحة الشيء من فعل مصلح فاعل، وإما أن يكون من فعل ميت عاقل، فالعقل يشهد أن الإصلاح من المصلح الجاعل.

ودليل آخر: إما أن يكون الرزق للمرزوقين من الميت الغافل، وإما أن يكون من العالم الحي الرازق، فالعقل يشهد أن الرزق لا يكون إلا من الرازق الخالق، ويستحيل أن يكون

ذلك من غير خالق.

ودليل آخر: إما أن يكون الفضل من الميت، وإما أن يكون من حي فاضل، فالعقل يشهد أن الموات ليس بفاضل.

ودليل آخر: إما أن يكون الهدى من هادٍ ، وإما أن يكون من ميت ؛ فالعقل يشهد أن الميت ليس بهاد ، ولا مرشد ولا راشد ، ولا هدى أهدى من العقول المركبة في كل عاقل.

ودليل آخر: إما أن يكون التفهيم من مفهِّم، وإما أن يكون من موات فالموات لا يفهم فكيف إلى أن يفهم وليس بفاهم.

ودليل آخر: إما أن يكون التعليم من ميت جاهل ، وإما أن يكون من حي عالم، وقد وجدنا هذه الحيوانات معلمة للخيرات، ملهمة لنفي المهلكات، فالعقل يشهد أن التعليم حادث ، وأنه من معلم عليم ، إذ العقل يشهد أن التعليم من صفة عالم ويشهد أن التعليم لا يكون من فعل جاهل ميت عاقل ، وإن كان التعليم من غير عالم ، وكان من غير جاهل ، فهذا العدم بعينه والعدم لا يوجب شيئاً.

ودليل آخر: أنا نظرنا إلى جميع الحيوانات فإذا هي مهدية إلى كفالة أولادها وإلى طلب مناكحها ومآكلها ومشاربها ومنافعها ومساكنها ومصالحها ، مفهمة للنفور عن مضارها ومهالكها ، فعلمنا أن الهداية هي الأدلة ، والأدلة لا تخلو من أن تكون من عالم حي، أو من صنع ميت، والعقل يشهد أن الدليل لا يكون ميتاً، ويشهد أن الهادي لا يكون جاهلاً.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه العقول المركبة الدالة من مركِّب دال، وإما أن تكون من ميت، والعقل يشهد أن الميت لا يدل على خير ولا شر، ويشهد أن العقل من أجلّ العلوم والعلم لا يكون من فعل الأموات، والعقل يشهد أن العلم من فعل عالم.

فإن قلت: إن هذا العلم الحادث في الصدور، المحيط بجميع الأمور ، المميز بين الخيرات والشرور من فعل طبع ميت، فالعقل يشهد أن الميت لا يصنع العلم.

وإن قلت: إنه من فعل لا شيء؛ ناقضت قولك لأن لا شيء لا يصنع علماً ولا جهلاً، لأن لا شيء عدم، والعدم ليس بجاهل ولا عالم ولا حي ولا ميت، وإنما هو نفي، والنفي فهو كلامنا ونفينا.

وإن قلت: بل هو من فعل عالم صدقت ، وكان ذلك ضرورة كما ذكرت.

وإن قلت: إن هذا العلم لا من حي ولا من ميت ولا من شيء أصلاً ، لم تخل من أن تكون أوجبت بهذا القول عدمه أو قدمه؛ فإن كنت أوجبت عدمه أكذبك وجوده، وإن كنت أردت قدمه أكذبك حدثه.

ودليل آخر: إن كنت تريد بهذا القول نفي الخالق ، فكيف يثبت الخلق بغير خالق؟ فإن قلت: من أجل أن الخلق قديم، أحلت ؛ لأنا قد أوضحنا حدثه.

وإن قلت: من أجل عللٍ قديمة ، فقد أوضحنا لك أن العدم لا شيء، ولا شيء نفي، والنفي لا يوجب إثبات شيء.

وإن قلت: من أجل الحدث؛ فالحدث من المحدث إذ ليس إلا المحدث الفاعل أو العدم فلما انتفى العدم ثبت الخالق تبارك وتعالى.

باب الدلالة على نفي الصفات عن الخالق والدليل على قدمه

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عَلَيْه السَّلام-: فلما صح أن للأشياء خالقاً محدِثاً جاعلاً ، صح أنه بخلافها من جميع المعاني ، وصح أنه لا يشبهها في الذات ، ولا الفعل ولا الصفات؛ ألا ترى أنه لو أشبهها في بعض الشيء لكان ذلك البعض مثلها في الحدث ، والحدث لا يتعلق بقديم ؛ لأنه لا يوجد متعلقاً إلا في كله أو بعضه، وللكل والبعض نهاية ؛ لأن الكل محدود ، والبعض لا يتعلق إلا في متحرك أو سكان، والمتحرك والساكن محدثان ، ولو أشبهها في كل شيء لكان محدَثاً مثلها، ولو كان محدَثاً لما كان رباً؛ لأن المحدَث مربوب ، والمربوب مخلوق ، ولا فضل لمخلوق على مخلوق في معنى الحدث بعد العدم؛ فوجب أن الخالق لا يشبه المخلوق ، وفي ذلك من الأدلة ما يكثر لو شرحناه ويطول به الكتاب لو ذكرناه.

فإن قال قائل ملحد أو سأل سائل مسترشد: فما تنكرون من أن يكون الخالق مخلوقاً وخالقه مخلوق إلى ما لا نهاية له؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنك جعلت الكل مخلوقين ، ويستحيل أن يكون المخلوق رباً لمخلوق ؛ إذ هما سواء في الحدث لا فرق بينهما.

ودليل آخر: إما أن تكون هذه المحدثات أحدثتِ وفعلت بأمر قديم أو بأنفسها.

فإن قلت: بأنفسها؛ فهذا محال لأن المحدَث مربوب ، والمربوب لا فضل له على المربوبات ؛ إذ سبيله سبيل المحدثات.

وإن قلت: إن الأصل هو القديم ، أَثْبَتَّ الخالق سبحانه.

ودليل آخر: إذا كان الخالق آخر المخلوقات ، وكان محدَثاً بعد مُحْدَثَات ، لم يخل ما قبله من المحدثات من أحد وجهين: إما أن يكنّ كلهنّ مثله في الحدث، وإما أن يكون بعضهن محدثاً وبعضهن قديماً.

فإن قلت: كلهن محدثات أوجبت لهن محدِثاً قديماً بخلافهن أحدثهن وخلقهن.

وإن قلت: إن بعضهن محدث وبعضهن قديم أوجبت أنهن على قسمين: قسم محدث مخلوق ، وقسم خالق قديم ، والخالق لا يسمى قسماً ولا بعضاً.

ودليل آخر: إذا كان الخالق بزعمك مخلوقاً وقبله خالق قديم وخالق إلى ما لا نهاية له فقد جعلته آخر الخالقين المخلوقين، وفي هذا تناقض أن يكون المحدَث قديماً، والخالق مخلوقاً، وإذا كان لهم آخر فلهم أول، ويستحيل آخر بلا أول.

ودليل آخر: لم يقع كلامك إلا على مخلوقات ولا بد للمخلوقات من خالق قديم.

ودليل آخر: إما أن تكون عنيت بقولك لا نهاية تريد الكل من المحدثات، أو البعض، أو لم تعن كلاً ولا بعضاً وفي هذا ما كفى.

ودليل آخر: إذا كان هذا الخالق المخلوق آخر المخلوقات لم يخل من قبله من الخالقين المخلوقين من أن يكونوا الآن كلهم موجودين ، أو كلهم معدومين ، أو بعضهم موجوداً أو بعضهم معدوماً.

فإن قلت: إن الكل موجود فللكل نهاية وغاية، إذ لم يبق منهم شيء حتى هو الآن موجود لم يعدم منهم شيء، وإذا صح وجود الكل وصح حدث الكل صح المحدث الخالق لزوال القديم ، وهو الله الرحمن الرحيم الواحد الحكيم العليم.

وإن قلت: إن الكل معدوم الآن فللكل نهاية ؛ لأن ما صح حدثه كله وصح عدمه كله بعد وجوده وحدوثه، صح حدثه بعد العدم ومغيبه ، وهو الله خالقه وباريه.

وإن قلت: إن البعض موجود ، والبعض معدوم ، جعلتها مقسمة قسمين: قسم هو الآن موجود كله مخلوق ، وقسم كله قد عدم بعد حدوثه ومضى بعد إيجاد موجده ومحدثه، وكلا القسمين لم يخل من الحدوث والله محدثهما وخالقهما ، ومفني ما في بمشيئته ، ومبقي ما بقي برحمته.

وإن قال: إن قيل: كل شيء شيأ شيئاً.

قيل له: أتعني بقولك لا نهاية له كل ما هو الآن موجود أو كل ما هو الآن معدوم أو ما بعضه معدوم وبعضه موجود؟ فلا تجد مخرجاً إلا أن تقول: لم أعن شيئاً فتبطل جميع الأشياء، أو تقول: عنيت بالعدم بعض المعدوم فتنقض قوله لأنه إذا أوجب العدم على قسم ثم قال عنيت بعضه فقد نقض قوله لأنه لا فضل لبعض المعدوم على بعض إذ كله معدوم.

وكذلك إن عنى بالوجود بعض الموجود فقد نقض قوله لأن الوجود وجود كله والعدم عدم كله، وأينما ذهب لم يجد مذهباً ما يذهب إليه نهاية للأشياء.

ودليل آخر: أن هذه الأرباب المخلوقة التي زعمت محدثة، وإذا كانت محدثة فيستحيل قولك خلقت أمثالها ؛ لأن المخلوق لا يقدر على خلق مثله ، ويستحيل أن تكون الأجسام من فعله.

باب الدلالة على نفي الصفات عن الله فاطر السماوات

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: هل لله صفات.

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين: إما أن تكون أردت أن له صفات غيره بها علم وقدر، وإما أن تكون أردت أن له صفات هي هو؟

فإن قلت: إن معه صفات غيره، بها قدر وعلم؛ فهذا محال أن يكون معه في القدم غيره أو يكون أيضاً محتاجاً إلى غيره.

ودليل آخر: لو كان له صفات غيره لم تخل تلك الصفات من أحد وجهين : إما أن تكون متعلقة به، وإما أن تكون مباينة له منفصلة عنه.

فإن قلت: إنها متعلقة به جعلته محلاً وموضعاً، والمحل لا يكون إلا مكاناً ، والمكان لا يكون إلا جسماً.

ودليل آخر: لا يخلو من أن تكون متعلقة بجميعه فتكون له كل، وإما أن تكون متعلقة ببعضه فتكون جزئين ، جزء خلا من الحلول ، وجزء محلول ، والكل والبعض لا يكون إلا مفترقاً أو مجتمعاً ، والمفترق والمجتمع لا يكون إلا من الأجسام ، لأن المفترق مفصل لا بد له من مفصّل ، والمجتمع موصل لا بد له من موصّل، والمجتمع والمفترق لا يكون إلا متحركاً أو ساكناً، وقد أوضحنا حدث المتحرك والساكن فيما تقدم من كلامنا.

وإن قلت: إن له صفات هي هو أصبت في قولك؛ لأنه واحد ليس معه شيء يعلم به ولا يقدر ولكنه غني حكيم عالم قادر حي بغير معاني سواه.

فإن قال: من أين علمتم أنه حي؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دلنا على أنه حي أنا نظرنا إلى صنعه فإذا هو محكم متقن والإحكام لا يكون إلا من حكيم ، والحكيم لا يكون ميتاً ؛ لأن الميت لا يعقل ولا يتقن ولا يحسن ولا يسيء.

فإن قال: من أين علمتم أنه عالم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنا نظرنا إلى إحكام الصنع فإذا هو دليل على أنه من غير جاهل؛ لأن الجاهل حائر ، والفاعل لا يفعل إلا بعد علمه بالمفعول.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون فعل بجهل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنا نظرنا إلى الفاعل بالجهل فلم يخل عندنا من أن يكون أتقن الصنع وأحكمه بفكر وذكر بعد نسيان، وإما أن يكون فعل ذلك بعلم لم يسبقه سهو ولا نقصان.

فإن قلت: إنه فعل ذلك بخاطر فكر بعد جهل؛ فهذا محال ، لأن الخاطر من صفة مخلوق عاجز غير قادر ، لأن الذكر عرض عارض لا يكون إلا في جسم متحرك أو ساكن، كل أو بعض، وكذلك النسيان فهو عرض يحل في القلوب ، وذلك أولى ما ننزه عنه علام الغيوب.

وإن قلت: إنه فعل ذلك وهو عالم أصبت، وكان ذلك أحسن ما ذكرت، وكان الموصوف بالعلم أولى من وصفت.

فإن قال: من أين علمتم أنه قادر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنا نظرنا إلى الصنع فإذا هو مخترع من غير أصل ولا بداء، فعلمنا أنه من فعل قادر ؛ لأن العاجز لا يصنع الشيء من غير أصل ولا بداء ، وقد بينا في أول كلامنا حدث الأشياء من غير شيء، ولأن العجز عرض لا بد أن يكون في الكل والبعض ، أو في الطول أو في العرض.

فإن قال قائل: فكيف يعقل بعقل شيء ليس بجسم ولا عرض ، ولا له كل ولا بعض، ولا طول ولا عرض؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: يعقل بما أظهر من صنعه الجليل ، الذي لا تمتنع منه العقول، ولا يوجد إلى دفعه سبيل.

فإن قال: فكيف يعتذر بأن لا نراه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أنا لو رأيناه لما عبدناه، وذلك أن الإبصار لا يقع إلا على مفترق أو مجتمع ، و لم يستدل على الله إلا بالمفترق والمجتمع لأنهما محدثان ، ولا بد للمحدَث من محدِث وخالق أحدثه ، ولا بد أن يكون بخلافه من جميع المعاني.

فإن قال: فبم عرفته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: بما هو أولى وأحق من الإبصار ، وأصدق من جميع الأخبار.

فإن قال: وما ذلك؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ذلك العقل الذي لا يجوز عليه المحال، ولا يقبل ما فسد من المقال، فلو أدركنا صنع جميع الأشياء مشاهدة رأي أعيننا ، لما كان ذلك أبداً مثل العقل عندنا، فالحمد لله الذي هدانا إلى معرفته، وعلمنا ما نستدل به على حكمته، ووهب لنا التمييز برحمته، فلقد جاد علينا من العقول بما لا نؤدي شكره؛ فالحمد لله الذي ضمن قلوبنا نوره، ونسأل الله أن يجعله آمراً لنا بالخيرات، وزاجراً عن السيئات، وأن ينجينا به من الموبقات ، وينتقذنا به من المهلكات؛ فكم محجوج به لم ينتفع بضياء بهجته، و لم ينف به حندس ظلمته، و لم يخرج به من معصيته، و لم يطلب به رضاء الله في آخرته، وصرفه في أهلك مهالكه، وسلك به شر مسالكه، فلعمري ما أتينا من قبل عقولنا ولكن من سوء أفعالنا وظنوننا، فنسأل الله المغفرة لما تقدم من ذنوبنا.

باب الدلالة على التعبد

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: ما الدليل على التعبد.

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن الله ركب الاستطاعة في العباد والشهوة، فلم يكن بد من صرف الاستطاعة في خير أو شر، فتعبدهم بفعل الخيرات، وترك الفاحشات، إذ الحكيم لا يحب الفساد.

فإن قال: و لم ركب فيهم الاستطاعة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن الاستطاعة هي القدرة، والقدرة خير من العجز، والعقول هي العلم، والعلم أفضل من الجهل.

فإن قال: فلم كلفهم ما يستثقلون؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: للفرق بين المطيعين والعاصين.

فإن قال: و لم فرق بين المطيعين والعاصين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ليميز بين الخبيث والطيب، إذ ليس من صفة الحكيم أن يجعل المفسد والمصلح سواء في محل واحد.

فإن قال: فلم خلقهم وقد علم بإفسادهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن خلقه لهم حسن ، وفعلهم قبيح ، و لم يكن الحكيم ليترك فعل الحسن من صنعه لقبح فعل غيره.

فإن قال: فما الدليل على البعث؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على ذلك أن الحكيم لا يخلق الخلق ويظهر الحكمة إلا للبقاء؛ لأن الفناء بالكلية ليس من الحكمة ، وإذا لم يكن بد من أمر ونهي ، فلا بد من مأمور مطيع وعاصي، وإذا لم يكن بد من الطاعة والمعصية فلا بد من الثواب والعقاب، وإذا لم يكن بد من الثواب والعقاب و لم يكن ذلك في هذه الدار فلا بد منه في غيرها، وإذا لم يكن بد من التعبد و لم يكن ذلك إلا بأمر ونهي فلا بد من رسول.

فإن قال: فلم خلقهم في بدء المعنى؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن إظهار الحكمة من صفة الحكيم.

فإن قال: وبم تظهر الحكمة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن إظهارها حسن.

فإن قال: و لم يظهر الحسن؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن إظهار الحسن خير من تركه.

فإن قال: ومن أين كان إظهار الحسن خير من تركه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه لم يكن بد من أحد المعنيين : إما تركه وإما فعله فتركه ليس من صفة الحكيم، وفعله أولى بالحكمة.

فإن قال: فمن أين جاز الشرع؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: من قبل التعبد لأن الشرع هو نفس العبادة والبلوى التي بها يفرق بين من أحسن وأساء.

فإن قال: فمن أين جاز [أن] يتنبأ بعض الخلق دون بعض؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن النبوة ثواب وتفضل، والثواب والتفضل لا يكونان إلا بفعل الطاعة والصبر على المحنة.

فإن قال: فلم ختم النبوة بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعلى آله؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه لم يخرج من الحكمة، إذ جعله نذيراً لجميع الباقين، وحجة إلى يوم حشر العالمين.

فإن قال: و لم جاز أن يكون الميت حجة على الأحياء المتعبدين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنه أتى بالتعبد والآيات والقرآن الحكيم، والأئمة الهادون مترجمون عنه، والعقول شاهدة مع ذلك على المخلوقين ، وكل ذلك فلم يعدم لعدمه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم-.

[الكلام في الإمامة ولمن تكون]

فإن قال: فهل الإمامة أصل في المعقول؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم أصل الإمامة في المعقول ؛ لأن الحكيم قد علم بأن لا بد من الاختلاف بين المخلوقين فجعل في كل زمان إماماً حياً مترجماً لغوامض الأمور، مبيناً للخيرات من الشرور، ولا يعدم ذلك في كل قرن من القرون إما ظاهراً جلياً ، أو مغموراً خفياً.

فإن قال: وما الظاهر الجلي وما المغمور الخفي؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أما الظاهر فالسابق المنذر لجميع الخلائق، والشاهر لسيفه المصلح لله في عباده وبلاده، وأما المغمور فالمقتصد المحتج لله في جميع العباد، الآمر بالمعروف والناهي عن الفساد، بغير قيام ولا جهاد.

فإن قال: فهل الإمامة في أهل بيت دون غيرهم أم هي في جميع الناس كلهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: بل هي في أهل بيت معروفين، مخصوصين بالفضل مشهورين، معلومين غير مجهولين.

فإن قال: ومن أولئك؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أولئك نسل البتول، وأقرب قرابة الرسول.

فإن قال: فهل لهذه الخصيصة أصل في المعقول؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم أصل ذلك في العقول، وبعد ذلك في محكم التنزيل، ووحي الواحد الجليل.

فإن قال: وكيف يعقل أن تكون الإمامة في قوم دون سائر الأنام؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن الله عز وجل حكيم والحكيم لا يحب الفساد، ولا فساد أعظم من أن يجعل دينه في أيدي الخلائق وأمره ونهيه وحدوده وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده وحجته وأحكامه، فيهمل الكل ويلبس عليهم دينهم إذا جعل الإمامة في جميعهم، و لم يكن ذلك في قوم بأعيانهم، مخصوصين بذلك من دون غيرهم، حتى لا يختلف فيهم، فهذا في المعقول.

وأما في الكتاب فقول الله عز وجل يدل على أصل الإمامة، وكذلك في السنة المجمع عليها عند جميع الأمة.

فأما وجوبها في الكتاب فقول الله عز وجل لنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعلى آله-: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**(٧)﴾ [الرعد]، فبين أن لكل قوم هادياً؛ فاختلفوا في الهادي من هو؟ وممن هو؟ فبين الله ذلك بفضله فيما نزل من محكم قوله فقال عز من قائل: ﴿**قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا**(١٠) **رَسُولًا**﴾ [الطلاق]، فسمى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وعلى آله- ذكراً ثم أمر بسؤال آله فقال عز من قائل: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**(٤٣)﴾ [النحل]، وأهل الذكر فهم آل محمد -عليهم السلام-.

وفي ذلك ما يقول عز من قائل لنبيه المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم- فيما نزل من الفرقان إليه: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣]، فافترض مودتهم على الخلق فرضاً، وأمر نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وسَلَّم- بأن يأمر الناس بذلك أمراً.

فهذا في الكتاب المبين وفيه كفاية لجميع المسلمين ، غير أنا سنذكر أيضاً بعض ما ذكر الرسول مما لا تنكره العقول ، مثل قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله-: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

وأما في الإجماع: فأجمعت الأمة كلها على نبيها -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- أنه قال: ((الحق ما أجمعت عليه الأمة والباطل ما اختلفت فيه)) ووجدنا الناس كلهم مجمعين على إمامة أمير المؤمنين ونسله في أصل الإجماع.

وأصل الإجماع أن الناس أجمعوا كلهم على جواز الإمامة في آل الرسول، واختلفوا في غيرهم؛ فالحق ما أجمعوا عليه من جواز الإمامة في آل نبيهم، والباطل ما اختلفوا فيه من إمامة غيرهم؛ لأن الأمة خمس فرق وهم: الشيعة، والمعتزلة، والخوارج، والمرجئة، والعامة.

فأما الشيعة فقالت: الإمامة لآل علي دون غيرهم.

وأما المعتزلة والخوارج: فزعموا أنها في الناس كلهم، ومن أجازها في الناس فقد أجازها في أهل البيت إذ هم خير الناس.

وأما العامة والمرجئة؟ فزعموا أن الأئمة في قريش ومن أجاز الإمامة في قريش فقد أجازها في آل محمد -عليهم السلام- إذ هم خير قريش، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً.

كتاب الرد على الملحدين وغيرهم من فرق الضالين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، توكلت على الله

الحمد لله الواحد القديم الذي لا نهاية لقدمه، ولا إحصاء لنعمه، المتفرد بوحدانيته، المنعم على جميع بريته، الموصوف بحكمته، الموجد لجميع الخلق بقدرته، ونفاذ مشيئته، وتمام كلمته، العزيز الذي لا يضام، القوي الذي لا يرام، ولا يَسِن ولا ينام، ولا يدركه الطالبون، ولا ينجو منه الهاربون، ولا يتوهمه المتوهمون، ولا تشتبه عليه الأصوات، ولا يغشاه النور ولا الظلمات، ولا تدركه حواس المُحِسِّين، ولا يحيط به فكر المربوبين، ولا يخطر على قلوب المخلوقين، تقدس عن ذلك رب العالمين.

جار عن قصد السبيل من كَيَّفَه، وأخطأ ظن من اكتنهه، و لم يعرفه من وصفه بغير ما وصف به نفسه، وكفر به من حدّه بحد أو أيَّنَه، وشبّهه من بعّضه، وجار به من جمعه، ليس بمجتمع فيعرف بالتحديد، ولا بمفترق فيعرف بالتعديد، ولا متحرك ولا ساكن فيوصف بصفة العبيد، عز عن ذلك ذو العرش المجيد، والبطش الشديد، ليس بجسم فتدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تقع عليه الأفكار، ولا يشبه شيئاً من المصنوعات، فينال بالأوهام الجائلات، ولا تنال معرفته بحاسة من الحواس المدركات، فيدخل في صفة المحدثات المطيعات، ولا ذاته سبحانه في جهة من الجهات، فيوصف بصفات المحيبات المأينات[1]؛ فتبارك وتعالى من لا يوصف بشيء من هذه الصفات، وحده لا شريك له.

وأشهد ألا إله إلا الله شهادة عبد مقر بعبوديته، مصدق بربوبيته، ومعتقد لألوهيته، راج لعفوه ورحمته، هارب إليه من خوف عقوبته، معتصم به مستوهب لهدايته، ومؤمن به متمسك بطاعته، شهادة لا يخالطها شك ولا ارتياب، ولا يعترض دونها شرك ولا

---

[1] في (ب): فيوصف بصفات المحدثات المباينات.

إكذاب.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شهادة مقر بنبوته، معتقد لمحبته.

وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وأشهد أن وعده ووعيده حق، وقوله سبحانه صدق، وأنه عدل في حكمه، رؤوف بجميع خلقه.

وأشهد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه- كان خير البرية بعد نبيها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله- وأولاهم بمقام الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله- وأبرعهم علماً، وأكثرهم حلماً، وأطوعهم لربه، وأبذلهم في سبيل الله لنفسه، وأكملهم في جميع صفاته.

وأشهد بإمامة ولديه السبطين الإمامين الكريمين العالمين الحسن والحسين ابني الرسول، وسليلي البتول، وأن الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما، واحتذى بحذوهما، وكان في جميع صفاته مثلهما.

اللهم فمن شهد بمثل ما شهدت به فاكتبه مع الشاهدين، ومن لم يشهد بمثل ما شهدت به فاكتب شهادتي مكان شهادته.

والحمد لله على تمام نعمته، وإكمال حجته.

وبعد: فإني لما اطلعت على كثير من أقاويل الملحدين، وزخرف قول المتلددين، واختلاف أهواء الضالين، وباطل كلام المتحيرين[١]، واستغلاط الجاحدين الجهلة للمسلمين، وسرعة القلوب إلى الأوهام، وتقحمها في لجج الظلام[٢]، وشكها في زخرف الكلام، ووجود ما ذكرت في أكثر الأنام، وإن لم يُبْدُوا غير دين الإسلام؛ فنعوذ من ذلك بذي الجلال والإكرام.

حداني ذلك على تصحيح ما دنا به من الدين، وإبطال وساوس الشياطين، فكان أول

---

[١]- في (ب): المتجبرين.

[٢]- في (ب): الإظلام.

ما ينبغي لنا أن نذكره، ونبين لمن عقل خلله، ونحتج عليه بأبين الحجج، مَن جحد خالقه، وأنكر صانعه من الدهرية الكفرة، وغيرهم من الثنوية المتوهمين، الظانين بالله ظن السوء الجاحدين.

أجمعوا -لعنهم الله- على نفي خالقهم، وجحدان صانعهم، حيرة منهم -لعنهم الله- واستكباراً، واستعظاماً لكون الحق وإنكاراً، وتسهيلاً في الدين، ومعاندة للحق جهاراً، وإعلاناً بالسوء وإسراراً، فنعوذ بالله من قبول خواطر القلوب، والشك في دين علام الغيوب، ونسأله النجاة من موالاة الشيطان، والحيرة والمرية والجحدان؛ فكم من هالك أردى نفسه بالوهم، وتقحم في لجج الظلم، قد فارق الحق والهدى، واتبع الغي والردى، وتردد في الدين تردداً، وتشعبت به أوهامه فهو في بلية من نفسه فيما تدعوه إليه من تماديه في غيه، وصده عن رشده، قد ملكته فأهلكته بأهوائها، وتفرقت به السبيل بإغوائها، وزخرفت له ما أمرته من الأسواء، وردته فيما زينت له من الأهواء، ورغبته فيما دعته إليه من الإغواء، فهو غير مخالف لها فيما تدعوه إليه، ولا منكر عليها فيما تحضه عليه من ترهات المنى، وما ترغبه فيه من الركون إلى الدنيا، قد نسي الموت وما بعده من الحساب، بما دخل نفسه من الشك والإرتياب، فنعوذ بالله؛ فما أردأ الكافرين، وأبعدهم وأقصاهم عن رب العالمين.

باب الرد على الدهرية

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: (ما الدليل على حدوث الأشياء وأن لها صانعاً و)[1]ما الدليل على صنعة[2] الله في الإنسان؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على ذلك قول الله سبحانه: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ**

---

(١)ـــ في (ب) زيادة ما بين القوسين.

(٢)ـــ في (ب): وما الدليل على صنعه.

سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(١٤)﴾ [المؤمنون]، فأخبرنا سبحانه عما لا ننكره لما شاهدنا من ذلك بأبين البيان، وأيقن اليقين، محدثاً لا يخفى، بيناً نوره لا يطفى.

فإن قال: وما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء قديمة العين، حديثة الأحوال بالقوة الهيولية، وهي الأصلية في لغتنا؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك أشد الإنكار وذلك أن القديم لا يكون محدثاً، كما لا يكون المحدث قديماً، وقولك قديم نقضه بين إذا قلت: ثم حدث فيه حادث، لأن الحادث لا يجري في قديم، كما لا يجري القديم في الحادث.

ودليل آخر: أن المحدث فيه إبانة صنع محدثه، ومحال أن يكون للقديم صانع محدث.

ودليل آخر: يوضح فساد قولهم قديم العين حديث الأعراض، أن هذا القديم الذي زعمت لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون لم يزل ممتنعاً من الحدَث غير موجود بجميع صفاته، وإما أن يكون غير ممتنع من الحدث.

(فإن كان غير موجود الصفات قبل كونه و)[1]كان غير ممتنع من الحدث صح أن له خالقاً نقله من صفة إلى صفة حتى أبلغه الغاية التي أراد.

وإن كان لم يزل ممتنعاً من الحدث ثبت على امتناعه ودوامه، و لم يجز أن يتغير أبد الأبد عن صفة القديم؛ لأنه إن تغير إلى صفة الحدث استحال قدمه، ولا يجوز أن يكون القديم مواتاً[2] ولا مركباً ولا محدثاً[3] ولا موصوفاً بصفة تدل على حدثه، وهذا وجه قد تبين فساده بحمد الله.

---

[1]- ما بين القوسين ساقط من (ب).

[2]- في (ب): مؤلفاً.

[3]- في (ب): ولا محدوداً.

باب الرد على أصحاب الكمون

فإن قال: وما أنكرتم من أن تكون هذه الأشياء لم تزل موجودة بجميع صفاتها، وهي كوامن في أعيانها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لاستحالته وبطلانه، وهذا القول مكابرة العيان، لأنا وجدنا النطفة والعلقة معدومة، ثم كانت علقة والمضغة عدم في حال كونها علقة، ثم مضغة والعظام معدومة، ثم كانت عظاماً مؤلفة لا بد لها من مؤلف وكسوة اللحم عدم، ثم صَوَّرَّ بعد عدم التصوير، والمحدث ما لم يكن ثُمَّ كان، وقد وجدنا هذه الأحوال بعد العدم والصورة غير موجودة في حال كونها نطفة، والحركة معدومة في كل موات من الإنس وغيرهم من الجمادات، والحياة معدومة في حال الموت، والصورة لا بد لها من مصور وفيها إبانة لصنع صانع حكيم.

فإن قال: وما إبانة الصنع في الصورة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: تأليف الأجزاء وإحكامها، وتقديرها وإتقانها، تدل على صنعها، إذ لم يكن شيء من ذلك فقضينا على أن لكل مُؤَلَّفٍ كان معدوم التأليف مؤلفاً، ونظرنا الحياة بعد الموت فعلمنا بيقين أن له محيياً، إذ لم نجد صنعاً إلا وصانعه موجود وإن لم نره، كالبناء لا بد له من بانٍ وإن لم نر من بناه، والكتاب لا بد له من كاتب وإن لم نر كاتبه، والأثر وإن لم نر مؤثره، والصوت إذا سمعناه علمنا أن له مصوّتاً وإن لم نره.

ودليل آخر: وهو أن صنع الحكيم العالم بين، ومحال أن يكون في العلل إبانة صنع، وذلك أن الحكمة لا تكون إلا من حكيم، ولا بيان علم إلا من عليم، وهو الله الرحمن الرحيم، لأنا نظرنا الإنسان إنساناً كاملاً بعد أن كان نطفة من ماء مهين، فعلمنا أنه لا بد له من مكمّل أكمله، ونظرنا إليه حياً بعد أن كان ميتاً، سميعاً بصيراً بعد أن لم يكن سميعاً ولا بصيراً، فبان صنع العالم الحكيم، إذ جعل سبحانه له سمعاً يدرك به الأصوات، وبصراً يدرك الهيئات، وشماً يدرك به جميع الروائح من الخبائث والطيبات، وذوقاً يدرك به ما ذاق به من الطعوم المختلفات، ولمساً بالجسد كله يدرك به الحر والبرد والخشن واللّين وغيرهما

من الأحوال المجسمات.

فكل هذه الحواس المختلفة تدل على حكمة صانعها، إذ خالف بينها فجعل كل حاسة تصلح لخلاف ما تصلح له الأخرى.

ودليل آخر: لا تخلو هذه المختلفات من أحد وجهين: إما أن تكون خالفت بين أنفسها، وإما أن يكون خالف بينها مدبر ما.

فإن كانت خالفت بين أنفسها فهذا محال، لأنها لم تكن واعية عند كونها، ولا عالمة في حال عدمها، فلما استحال هذا الوجه صح الثاني، وهو أن لها مدبراً خالف بينها، إذ الفاعل الحكيم بيَّنَ صُنعَهُ في إحداثها، وجعل كل واحدة من هذه المختلفات لشيء بعينها، ولا يجعل الشيء للشيء إلا حكيم، ولا يجعل الشيء للضروارت إلا عليم، ألا ترى أن هذه الحواس قد جعلت لعلم جاعلها بضرورة أصحابها إليها، وفاقتهم لها، وجعل سبحانه لهم من الأغذية واللذات، ما لا قوام له باضطرار إلا بها، وجعل لهم مداخل للأغذية ومخارج، ولا يجعل المخارج للشيء إلا عالم بما صنع من المداخل التي لا قوام لهم إلا بها، ولا منصرف لهم عنها، إذ اضطرهم إليها، وجعل لهم ما ينتفعون به من الآلات والأدوات، من الأيدي التي تصلح للبطش، والأرجل التي تصلح للخطو والحركة والسير، والألسن الناطقة بأفنان الحكمة المؤدية للمصلحة، والعقول المنيرة النافرة عن المضار، المجتلبة للمنافع التي هي حجج على من جعلت له، ولا تكون حكمة محدثة صح حدثها، وبطل قدمها، وكانت بعدمها إلا من حكيم، مدبر عليم، حي قيوم، ولا يجعل ذلك إلا لبقائه ونفعه، لا لفنائه وضره، إذ الحكمة موجبة لذلك فيما قد بان من رأفة الصانع، إذ جعل في المصنوعات مصالح تدل على أنه أراد بذلك لها، وأخبر بذلك على لسان نبيه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله-.

ولذلك[1] أوجبت حكمة الألباب أن من مُكِّنَ من الاستطاعة من الأنام لا بد من

---

[1]- في (ب): وكذلك.

إساءته وإحسانه، فوجب لذلك الثواب على إحسان من أحسن من المحسنين، ووجب عقاب من استحق العقوبة من المسيئين؛ فلما انقضت آجال المحسنين و لم يثابوا، وانقضت آجال المسيئين و لم يعاقبوا، علمنا أن داراً غير هذه الدار، يثاب فيها من استحق الثواب من المحسنين، ويعاقب فيها من استحق العقوبة من المسيئين.

فنسأل الله أن يرزقنا ما رزق المستحقين لثوابه، وأن يصرف عنا ما استوجب العاصون من عذابه، وأن يثبت أقدامنا على صراطه إنه على كل شيء قدير، وإليه المعاد والمصير.

باب الرد على أهل الإلحاد في التولد، وقولهم إنه لا نهاية لشيء من الأشياء، وإنه لم يزل نطفة من إنسان وإنسان من نطفة، وبيضة من طائر وطائر من بيضة إلى ما لا نهاية، وحبة من سنبلة وسنبلة من حبة إلى ما لا نهاية له ولا غاية

قال[1] **المهدي لدين الله** الحسين بن الإمام القاسم بن علي -صلوات الله عليه-: فإن قال بعض الملحدين: فما أنكرت من أن تكون هذه الحيوانات، لم تزل[2] يحدث شيء من شيء ، وشيء بعد شيء ، وشيء قبل شيء إلى ما لا نهاية له ولا غاية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك أشد الإنكار وقولك متناقض فاسد، وذلك أنك قلت: لم تزل فأوجبت أنها أزلية؛ ثم نقضت قولك بقولك تحدث فأوجبت الحدث والقدم في حال واحد فأدخلت القول على نفسك، وذلك أنك إذا جعلتها أزلية بطل الحدث، وإذا جعلتها محدثة [بطل القدم، وإذا جعلتها محدثة][3] أزلية فسد قولك لاستحالة كونها معاً في حال واحد كما قد ذكرنا.

ودليل آخر على فساد هذا القول: أن كل شيء موجود بذاته محدث له غاية في نفسه.

---

(١)- في (ب): قال مولانا الإمام أمير المؤمنين الحسين بن القاسم -صلوات الله عليهما-.

(٢)- في (ب): لم تزل تحدث شيئاً من شيء، وشيئاً بعد شيء، وشيئاً قبل شيء.

(٣)- زيادة في (ب).

ودليل آخر: أن الكل منهم وإن كثر كون بعضهم من بعض له نهاية وغاية، وعليه نعمة في تركيبه، وبنيته حكمة، والنعمة لا تكون إلا من منعم، والحكمة لا تقوم إلا بمحكم، وما كان من الحيوانات منعماً عليه، وكان في جميع أسبابه محسناً إليه، فيستحيل أن يكون متناهياً، وأن يكون من غير أصل ولا بناء.

ودليل آخر: أن كل ما احتمل الزيادة والنقصان، فقد كان ناقصاً قبل زيادة ما زاد منه، إلى غاية الزايد المتناهي إلى النقص، لأن الزائد لا يزيد إلا بعد النقصان، والنقصان متناهي بأبين البيان، لأن المنقوص محدود بأوضح البرهان.

ودليل آخر: أن كل ما كان له آخر، فله أول، ويستحيل آخر بلا أول.

ودليل آخر: الفرع والأصل، لما وجدنا الفرع دلنا على الأصل[1] ويستحيل فرع بلا أصل.

ودليل آخر: أن الحيوانات على قسمين قسم ميت هو الأصل، وقسم حي هو الفرع، وللقسمين غاية ونهاية.

ودليل آخر: أن الأصل لا يعدو مكانه الذي هو محله، ومحل أصول الحيوانات هذه الأرض، والأرض قد حوت الجميع وحازتهم، وتضمنت جميع الأموات وأحاطت بهم، وكل ما أحيط به فهو محدود، وكل شيء حل موضعاً فهو صفة أكبر منه عدداً، وما كان غيره أكثر منه كان بالبعض محدوداً.

ودليل آخر: أن أصول الحيوانات محمولة على الأرض كلها، وللكل نهاية وغاية، لأن المحمول على الأرض أقل من حامله، والأرض فقد حملت جميع الحيوانات، من الأحياء والأموات.

ودليل آخر: أن الأصول التي زعمت أنها غير متناهية لا تخلو من العدد، وكل ذي

---

[1]- في (ب): على أصله.

عدد لا يخلو من النوعين المعروفين وهما الشفع والوتر، وقد وجدنا كل ذي نسل من الإنس والبهائم والطير، والزرع من كل الأشجار ذوات زيادة غير منفك من العدد، والشفع له نهاية وغاية، وكذلك الوتر أيضاً.

ودليل آخر: أن الأصل وقع عليه الفناء، وكل ما فني وامتحق فله نهاية وغاية، ألا ترى أن الموت لا يقع إلا على نفس معدودة، متناهية محدودة.

باب الرد على أصحاب الطبع

قال المهدي لدين الله الحسين بن الإمام القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول أصحاب الطبائع فقال: ما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء حدثت من الطبائع الأربع: الخير والشر واليبس والرطوبة عند امتزاجها واعتدالها، ثم نقص من جزء وزيد في جزء، فجاء ضرب غير الأول، ثم على هذا القياس كمثل خضرة وحمرة، وبياض وصفرة، مزج أيها فعدلت حيناً، ونقص من جزء وزيد في الآخر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من وجوه شتى:

أحدها: أن قولك ظن بغير يقين شاهدته، فأرنا من ذلك ما رأيت، وأوجدنا من ذلك ما وجدت؟

فإن قال -وهو قائل لا شك-: حجتنا على ذلك أنا وجدنا الأجسام لا تنفك من هذه الطبائع الأربع فقضينا عليها بأنها دبرتها، إذ لم تنفك الألوان من الحمرة والخضرة، والبياض والصفرة وغير ذلك، فلو وجب أن يكون ما ادعيتم لكان أيضاً ذلك في القياس على ما ذكرتم.

ودليل آخر: أنا شاهدنا هذه الطبائع في الأجسام بعد إكمال الله لها غير فاعلة فعلاً مما ادعيتم.

ودليل آخر: أنا وجدنا في الصور التأليف والتركيب وآثار صنع الحكيم المؤلف

المركب، ومحال أن تكون العلل مؤلفة أو مركبة أو حكيمة عالمة، إذ هي عن ذلك محجوبة[١] الأجسام، ولا إساءة، ولا عقول لها تقي بها أنفسها، فكيف تدبر غيرها.

ودليل آخر: أن هذه الطبائع لا تخلو من أحد وجهين عند اجتماعها إما أن تكون جمعت أنفسها، وإما أن تكون مجموعة بأمر صانعها؟

فإن قلت: إنها جمعت بين أنفسها؛ فكيف تجمع بين أنفسها وهي أعراض لا توجد منفردة، ولو كانت منفردة بذواتها موجودة بأعيانها لاستحال ذلك ولما أمكن، إذ المفرق الجامع لا يكون إلا حياً.

ودليل آخر: أن الفاعل لا يكون إلا موجوداً قبل المفعول، وقد وجدنا هذه الطبائع مع وجود المحدِث، فعلمنا أن حال المحدثات سواء، إذ وجدت في حال واحد وعدمت في حال واحد، لأن الطبيعة لا توجد قبل الجسم، والجسم لا يوجد قبل الطبيعة، والطبيعة[٢] فإنما هي عرض، والأعراض على وجهين فمنها أعراض حادثة بعد حدوث الجسم، ومنها أعراض مع الجسم لم يسبقه و لم يسبقها، والأعراض فلا تسبق الأجسام أصلاً، ولا تنفصل بأعيانها أبداً.

فأما الأعراض التي حدثت مع الجسم فمثل الطبائع الأربع الحر والبرد واليبس والرطوبة، ومثل الاجتماع والطول والعرض، والحركة والسكون، لأنه قد يستحيل أن يوجد جسم ليس برطب ولا يابس، وكذلك يستحيل أن يوجد جسم ليس بمتحرك ولا ساكن، ويستحيل أن يوجد جسم ليس بحار ولا بارد، فمن هاهنا قلنا إن هذه الطبائع أصلية لم تحدث بعد الجسم ولها علل وتنقل وتصرف يطول شرحها.

وأما العلل التي يمكن أن تحدث بعد حدوث الجسم فمثل أن يكون ساكناً فيتحرك فتحدث الحركة، أو يكون الجسم مجتمعاً فتفترق، أو يكون طويلاً فيقصر فيحدث

---

(١)- في (ب): محجوبة لا إحسان لها ولا إساءة.

(٢)- في (ب): والطبيعة إنما هي أعراض.

القصر، ومثل الأعراض الحادثة في الحيوان بعد عدمها.

باب الرد على عبدة النجوم

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما جميعاً السلام-: فإن رجع إلى قول أصحاب النجوم فقال: وما أنكرتم من أن تكون هذه الأشياء تصورت لدور الفلك وحركات النجوم، والفلك متصل بالعالم كاتصال خيوط الإبريسم بآلة الحوك، فإذا دار الفلك على المصنوع بسعد تم وصلح، وإن دار عليه بنحس فسد و لم يتم، كما إذا حرك الصانع آلة الحوك الملائمة الشد أو اللحام أظهر في الحوك ما أراد من صورة إما رأس طائر وإما جناحه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنك قايست ما لا يقايس، لأنك قايست إيصال خيوط بآلة الحوك وتحريك الصانع لها وإظهار ما يريد بحركة الفلك والمخلوقين، وهذا ما لا ينقاس عند ذوي الألباب، لأن الخيوط متصلة بآلة الحوك غير مباينة [لها والنجوم مباينة][1] للمخلوقين وغير متصلة بأجسامهم، وحركتها غير متصلة بهم، إذ كل منهم منفرد بذاته، ولو أحدثت حركة النجوم في العالم حكمة لجاز أن يحدث من تحريك الصانع لجوارحه في الحوك صورة مختلفة بغير ملامسة؛ لأنه إذا جاز عندك أن يتحرك النجم بنفسه، فتفعل حركته في العالم صوراً جاز لحائك الإبريسم [أن يحرك نفسه فيحدث ألوان ثياب][2] وهو بعيد عنها كما جاز للنجم ذلك في الصور وهو بائن منها، فهذا وجه يبطل فيه قياسهم[3].

والوجه الآخر: أنك زعمت أن الفلك إن دار على المصنوع بنحس فسد و لم يتم، وإن دار عليه بسعد تم وصلح و لم يفسد، ووجدنا الأمر بخلاف ما ذكرت وذلك أنا نظرنا إلى

---

[1]- في (ب) زيادة.

[2]- زيادة في (ب).

[3]- في (ب): قياسكم.

الأحمال أحمال الإناث من الإنس والبهائم والطير والأشجار وما لا يحصيه إلا الله عز وجل من الحيوانات، ربما لم يتم وربما تم في حال دور السعود التي زعمتم أنه يتم في حال دورها، ووجدناه ربما تم وربما لم يتم في حال دور النحوس التي زعمتم أنه لا يتم فيها، وما كان من ذلك فبإذن الله وتقديره مما سنذكره إن شاالله تعالى من بيان صنع الله فيهما وفساد قول من زعم أنها قديمة الحركات إلى ما لا نهاية له.

والوجه الثالث: أنها في أنفسها مخلوقة أبان الله صنعه في إيجاده إياها.

فإن قال وهو قائل لا شك: وما دلك على أنها مخلوقة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دلنا على ذلك إبانة صنعه فيها.

فإن قال: وما إبانة صنعه فيها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله وجوه شتى:

أول ذلك: تصويرها، وإحكامها وتقديرها، ولا بد لكل صورة من مصوّر، ولكل تقدير من مقدّر، ولكل تدبير من مدبّر.

ودليل آخر: أنها لو كانت قديمة لما كانت في أوصافها مختلفة فلما وجدناها مختلفة الأنواع علمنا أن لها مدبراً خالف بينها، وفصل بعض هيئاتها ، وخالف بين صفاتها.

ودليل آخر: أن في العالم آثار حكمة صانع العالم، والحركات، ليست بعالمة حكيمة مدبرة، ولا هي بحية مقدرة، لأنها علل متعلقة بأجسام النجوم غير متلاحقة لا تعدو مواضعها من معلولاتها.

ودليل آخر على فساد قولهم: أن حركات النجوم ليس لها أول وسنبين إن شاء الله فساد قولهم، وذلك أن ما قد مضى من حركاتها لا يحصى لكثرها في طلوعها وأفولها، وإقبالها وإدبارها، وما مضى فقد وقع عليه الفناء وما صح حدثه وصح فناؤه فله نهاية وغاية؛ لأن الحركة الماضية على حالين محدثين وهما الحدوث والفناء، لأن الحركة الماضية لم تعدم إلا بعد حدوث كل ساعة منها، وما صح حدثه وصح فناؤه بعد حدوثه فله نهاية وغاية، لأن آخر الحركة لم تعدم إلا بعد عدم أولها، وما كان له أول وآخر فله نهاية

وغاية.

ودليل آخر: أن دور القمر في المنزلتين الشامية واليمانية يدل على حدوث حركته وعلى حدوث ما كان من شكله، وذلك أنه لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون ما بقي من دوره في أحد المنزلتين أكثر من دوره في المنزلة الأخرى، وإما أن يكون ما مضى من دوره فيهما سواء بالسوية، وإما أن يكون لم يَدُر فيهما أصلاً.

فإن قلت: إنه لم يدر؛ جحدت حركته.

وإن قلت: إن دوره في أحد المنزلتين أكثر من دوره في الأخرى فللكثير العدد نهاية وغاية، لأنها لم تكثر إلا بعد قلتها، وللقليل نهاية وغاية.

فإن قلت: إن حركته في المنزلتين بالسوية، فهي شفع، وللشفع نهاية وغاية، لأن الحركة في موضعين تدل على التناهي، وكذلك القول في أفولها وطلوعها أنه يدل على حدث الحركة وبدئها، لأن الحركة لا تكون إلا من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق، وقد مضى من ذلك ما لا يحصى، وكان بعد حدوثه عدماً، وما صح عدم جميعه قبل حدوثه فله نهاية وغاية، لأن الطلوع والأفول حادثان وهما بعد حدوثهما منصرمان، وكل ما مضى منهما فهو عدم، وللكل نهاية تحيل القدم.

وإذا صح حدث الفلك فلا يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون أحدث نفسه، وإما أن يكون حدث ولا محدث له، وإما أن يكون أحدثه محدث أبان صنعه من تركيبه وبنيته، وهو الله الذي صنع وافتطر، وأحكم ودبر.

فإن قال: وما أنكرت من تدبيره لنفسه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنه لا يخلو في حال تدبيره لنفسه من أحد وجهين: إما أن يكون دبر لنفسه وخلقها في حال الوجود، وإما أن يكون ذلك في حال العدم.

فإن كان في حال العدم، فمحال تدبير العدم، لأن الفاعل لا يكون إلا موجوداً في حال فعله، والعدم ليس بشيء موجود فيفعل، وإن كان خلقها في حال الوجود فهذا وجه

يستحيل، لأنها إذا كانت موجودة استحال قولك خلقها إذ كان وجوده سابقاً لفعله، وأيضاً فإن المخلوق لا يفعل إلا حركة أو سكوناً وما أشبههما من الأعراض.

فإن قال: **فما أنكرت من أن يكون حدث ولا محدث له؟**

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن قولك حدث يوجب أن له محدثاً، ثم نقضت قولك بقولك لا محدث له فأقررت بالحدث ثم نفيته، لأن الحادث لا بد له من محدث أحدثه، كما لا بد لكل فعل من فاعل، ولا بد لكل بناء من بان، ولكل كتاب من كاتب، ولا بد لكل صوت من مصوت، ولا بد لكل أثر من مؤثر، ومحال أن يكون أثر من غير مؤثر، وصوت من غير مصوت.

ودليل آخر: أنه لو كان محدث بلا محدِث لم يكن بالوجود أولى منه بالعدم، و لم يكن بالحدوث أولى منه بالقدم.

ودليل آخر: أنه لو كان كما زعمت لم يَعدُ من أن يكون حدث لعلة، فهذا محال؛ لأن العلل ليست بحكيمة مدبرة، ولا بحية مقدرة، كما قد ذكرنا في أول الكتاب، وكذلك أيضاً فقد ذكرنا ذلك في كتاب التناهي والتحديد في بيان صنع الله في العلل وغيرها فلما استحال هذان الوجهان صح الوجه الثالث وهو صنع الله سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه.

وذلك أنا نظرنا إلى النجوم والشمس والقمر فإذا هي مسخرات مدبرات مقدرات، فعلمنا أنه لا بد لكل مُسَخَّرٍ كان معدوم التسخير من مُسَخِّر، ولا بد لكل تقدير كان بعد عدمه من مقدر، ولكل مدبر كان بعد عدمه من مدبر، وذلك أنا وجدنا لحركتها غاية تدل على أوليتها ووجدنا فيها تصويراً وإحكاماً يدل على محكمها ومصورها، ووجدنا لها أقداراً تدل على مقدّرها، ووجدناها متفاضلة يدل تفاضلها واختلافها على المفضل فيها بينها، ووجدنا فيها دلائلاً على منافع العباد، وقدوة للخلق في جميع البلاد، وهداية في ظلمات البر والبحر ومصالح لهم في الليل والنهار، فدل ذلك على أنها نعمة، والنعمة لا تكون إلا من الواحد القهار، وجعل فيها من الزينة والأنوار، وأقام بمنفعة ذلك

من المعايش والأبصار.

ودليل آخر: أن مكان هذه النجوم والشمس والقمر ضد لها منافر مفارق ومباين غير موافق ولا موالف، فلما نظرنا التأليف بين الضدين دلنا ذلك على حدثهما جميعاً وعلى أن لها صانعاً ألف بينها بلطفه وقدرته، وتدبيره وإظهاره لحكمته.

فإن قال: وما أنكرت من أن تكون ثبتت بطباع لها من غير عمد يعمدها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن من طباعها الثقل، لأن أفولها وطلوعها وهويها دليل على كونها[1] وثقلها، والثقيل لا يستقر إلا على معتمد، فإذا لم نر لها عمداً علمنا بيقين أنها ثبتت بلطف مدبرها.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون الهواء يحملها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن من طبع الهواء الضعف عن أن يحمل حبة الخردل فما دونها فكيف يحمل السماوات والأرض والنجوم والماء وجبال البرد، لأن من طبعها الثقل ومن طبعه الضعف، ألا ترى السحاب ليس بينه وبين الماء والبرد مشاكلة، وكذلك الهواء لا يشاكل الماء، لأن من طبع الهواء الضعف، فلما وجدنا الماء والسحاب مجتمعين علمنا بيقين أن ذلك الاجتماع ليس من فعلهما وأن الجامع بينهما غيرهما، لأن من طبع الهواء الضعف، ومن طبع السحاب الخفة والطيشان والضعف، فلما وجدنا الماء والسحاب مجتمعين علمنا بيقين أن ذلك الاجتماع ليس من فعلهما، وأن الجامع بينهما غيرهما، لأن من شأن السحاب الخفيف أن يعلو صعداً ، ومن شأن الماء أن ينحدر سفلاً، فيجب على هذه الطبائع ألا تجتمعا طرفة عين، فأي عجب من اجتماع هذه الأضداد التي من شأنها الافتراق، وليس من طبعها الاجتماع والإلتزاق.

ودليل آخر: أن الهواء لو كان يعمد النجوم لما أسلمها إلى الأفول والطلوع، ولو جاز

---

[1]- في (ب): قوتها.

ذلك في أقل قليل إسلامه لها من حين إلى حين لما كان أي الخبرين أولى بإسلامها من الآخر، لأن الهواء لو كان يعمدها عند طلوعها لوجب أن يعمدها أيضاً عند أفولها، ولو كان الهواء هو الذي يسقطها عند غروبها لأسقطها في وسطه قبل مغيبها، فلما وجدناها لا تسقط عند طلوعها علمنا أن لها مسخراً أطلعها، فلما استقلت في وسط الجو و لم يسلمها إلى الهبوط علمنا أن غيره أمسكها لأنه يضعف.

باب الرد على الثنوية عبدة النور والظلمة

قال[1] **المهدي لدين الله** الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول الثنوية فقال: وما أنكرتم من أن تكون هذه الأشياء أحدثها اثنان سميعان بصيران عالمان، فالنور يخلق كل خير، والظلمة تخلق كل شر ومكروه وضير، وليس ذلك باختيار ولكن ذلك بطباع أزلية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من وجوه شتى:

أولها: أنك لا تخلو في قولك هذا من أحد وجهين: إما أن تكون قلته تظنناً وتوهماً، وإما أن تكون قلته بدرك ويقين.

فإن قلت: إنك أدركتهما رأي العين يخلقان أحلت.

وإن قلت: بل ظننت وتوهمت فقد قال الله عز وجل: **﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾** [يونس:٣٦].

وإن قال -وهو قائل لا شك-: حجتي على ذلك أني نظرت في العالم خيراً وشراً فقضيت على أن الخير والشر من أصلين أحدهما فاعل خير، والآخر فاعل شر، ولا يمكن أن يأتي بالخير من يأتي بالشر، ولا يمكن أن يأتي بالشر من يأتي بالخير؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: قولك هذا تظنين وتوهم، ويستحيل من وجوه شتى:

---

[1]- في (ب): قال مولانا الإمام أمير المؤمنين المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -صلوات الله عليهما-.

أولها: أنا وجدنا فاعل الخير والشر واحداً، ولو كان كما توهمت لما أحسن محسن، ولا اعتذر مذنب، ولا تاب مخطئ؛ إذ زعمت أنه لا يأتي بالخير مسيء أبداً.

ودليل آخر: أن الخلق تام متقن محكم وفيه إبانة صنع محدثه، ومحال أن تكون الحكمة من علة من العلل الطبيعية.

ودليل آخر: إما أن تكون عند تمازجهما أحدثا الخلق بإرادة منهما، وإما أن تكون حدث بطباع تمازجهما.

فإن قلت: إن الخلق حدث بإرادتهما أحلت ؛ لأنك وصفتهما بصفات تدل على حدثهما، وذلك أنك زعمت أن لكل واحد منهما خمس حواس مختلفات، ولا بد لما اختلف من الأشياء من صانع خالف بين أجناسه لإظهار حكمته، فكل واحدة تصلح لخلاف ما تصلح له الأخرى، لفاقته إلى ما جعل له صانعه، وإذا كان في الشيء من الأشياء ما يدل على حدثه بطل قدمه، وإذا بطل قدمه لم يكن الفعل أولى من غيره ، ولزمه إذ ذلك ما يلزم مثله من العجز عن أن يصنع.

وإن قلت: إن الخلق حدث بطباع تمازجهما أحلت، لأن المصنوع المطبوع لا تعدوه طبيعته، والاجتماع فهو عرض لا يتعداهما إلى غيرهما، كما أن افتراقهما لا يوجب حكمة في منواهما.

ودليل آخر: أنهما إذا كانا من التصوير على ما ذكرت، وفي تمام الحواس على ما وصفت، فقد يجب شكر المنعم بكمال أدواتهما، والمتفضل بتمام جوارحهما، إذ جعل لهما حواساً خمساً، عياناً وسمعاً وذوقاً وشماً ولمساً، وخالف بين علمهما وحواسهما، وغاير بين صفات أجناسهما.

ودليل آخر: يقال لهم: ما العلة التي أوجبت تمازجهما بعد مباينة كل واحد لضده، إذ زعمتم أنهما تمازجا بعد مباينة كل واحد لصاحبه؟

فإن قلتم: إن الظلمة بغت على النور أوجبتم حدث حركة لاقت بينهما، وإذا حدث بينهما حادث فهما على حالين محدثين وهما الحركة والسكون، وما كان من الأشياء

متحركاً أو ساكناً فهو مضطر إلى الحركة والسكون، والمضطر لا بد له من صانع اضطره إلى الحوادث وبناه عليها.

ودليل آخر: قالوا إنهما تمازج بعضهما، ولا نهاية لما بقي منهما، وإذا كان لهما بعض تمازج لحركتهما، فالذي بقي منهما لا يخلو من أن يكون ساكناً كله فينتظمه السكون ويتعلق بجميعه، أو يكون غير ساكن ولا متحرك فيكون عدماً.

ودليل آخر: لا يخلوان[1] من أن يكونا ميتين أو حيين ؛ فإن كانا ميتين فقد لابسهما الموت وحواهما، وإن كانا حيين فقد حوتهما الأرواح وناهتهما.

ودليل آخر: لا يخلو كل واحد منهما من أن يكون مجتمعاً أو مفترقاً، والافتراق يوجب التفصيل، والاجتماع يوجب التوصيل، والتوصيل والتفصيل لا يكونان إلا من صانع موصّل مفصّل.

ودليل آخر: قال بعضهم: إنهما جنسان فالنور بياض كله، والظلمة سواد كلها، وللكل نهاية وغاية، لأن البياض قد لبس النور كله ولا بد لكل لباس من ملبِّس، وكذلك القول في السواد أنه قد لبس الظلمة كلها، وللكل نهاية وغاية، وإذا حواهما لباسهما فقد حدهما وتضمنهما، والسواد والبياض فهما عرضان صفتان لغيرهما، والخالق ليس بعرض ولا جسم، لأن الجسم فيه إبانة صنع صانعه، والعرض صفة له، لا إحسان لها ولا إساءة، ولا قوة له ولا عقل، ولا حياة ولا فعل من الأفعال؛ فكفى لعمري بشيء هذه صفته عجزاً وضعفاً.

ودليل آخر: أن البياض والسواد لا بد لهما من صانع خالف بين أجناسهما، لأن القديم لا يخالف القديم، والمحدثات أضداد لا بد لها من مضادّ ضاد بينها بقدرته لنعلم ألا ضد له.

باب الرد على المتجاهلة

---

[1]- في (ب) ساقط.

قال[1] **الحسين بن القاسم** -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول المتجاهلة فقال: وما أنكرت من أن تكون هذه الأشياء لا يصح علم أحد بها، لأن النائم لا يصح منامه إذا استيقظ، والظل في الماء والمرآة لا يصح إذا طلب، فلعل هذه الأشياء التي تذكرون ستبطل كما بطل غيرها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن ما بطل من الأشياء إنما بطل لعلة، وذلك أنه لا حقيقة لعلل النائم، وإنما صح عنده الباطل في حال تغير عقله، وبطل عنده الباطل في حال صحة عقله حين استيقظ، مثل رجل رأى في منامه أنه مقطوع اليد ثم انتبه من منامه فلم يجد لما رأى حقيقة، وذلك أنه إنما رأى ذلك بلا حقيقة فبطل عنده حين عقل، ولو أنه رأى ذلك في اليقظة في صحة من عقله لما بطل ذلك عنده.

ألا ترى أنه لو رأى في منامه أنه قتل وصلب بطل ذلك عند يقظته، ولو [رأى] أنه قتل في حال صحة عقله ويقظته لما بطل ذلك عنده إلى يوم القيامة؛ فنعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان، ونسأل الله التثبيت على الهدى والبرهان، ولا حول ولا قوة إلا بالله ذي العزة والسلطان.

فإن قال: فما الدليل على حقائق الأشياء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجودها مبرأة من عوارض العلل التي تعرض دون دركها.

فإن قال: فما العوارض التي تمنع من درك الحقائق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: من ذلك النوم، وزوال العقل ، وتغير الحواس.

فإن قال: فما حقيقة الجسم؟

قيل له: وجوده بذاته مرئياً مدركاً تحويه الجهات الست الفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام.

---

[1]- في (ب): قال مولانا الإمام أمير المؤمنين الحسين بن القاسم -صلوات الله عليهما-.

فإن قال: وما حقيقة العرض؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجوده بحيث أحله الله من الأجسام.

فإن قال: فما حقيقة الحس؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دركه الحاسة للمحسوس.

فإن قال: فما حقيقة الحركة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجود العضو المتحرك زائل عن اللبث.

فإن قال: فما حقيقة السكون؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجود العضو الساكن لابث غير زائل.

فإن قال: فما الدليل على أن الحركة غير المتحرك؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وجود العضو على غير الحركة ساكناً، ثم ترى الحركة فتعلم أن الحركة شيء لم تَرَهُ ثم رأيته ولو كانت الحركة هي العضو المتحرك لرأيت الحركة في حال السكون، فلما رأيت العضو ساكناً ولم تر الحركة ثم رأيتها، علمت أن الذي لم تكن رأيته غير الذي كنت رأيت، فقس وافهم إن شاء الله.

باب الرد على من جحد النبوة

قال الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن قال: وما أنكرتم من أن يكون لنا خالق على ما وصفتم ولم يرسل رسولاً؟

قلنا بحمد لله ردٌ على هؤلاء سنذكره: وذلك أنهم جحدوا الرسل واعتلُّوا في ذلك بأن الله سبحانه حكيم، والحكيم إذا علم أنك لا تجبه فلا يرسل إليك إلا وهو عاتب.

فيقال لهم: ليس الأمر كما توهمتم، ولكن إذا علم الحكيم أنه قد أعطاك قوة تفعل بها ما أمرك بفعله وتترك ما أمرك بتركه، ثم أرسل إليك فلا يرسل إليك إلا وهو يعلم أن لك قوة إلى فعل ما أمرك بفعله ، وترك ما أمرك بتركه.

ويقال لهم: أعلم الله مانع له من إرسال الرسل؟ أم علمه مانع لكم من طاعته؟

فإن قالوا: إن علمه منعه؛ جعلوه ممنوعاً، مضطراً مدفوعاً، وجعلوا العلم شيئاً مانعاً،

ولحجته دافعاً، فسبحان الله عما يشركون، وإنما علمه ذاته.

وإن قالوا: إن علم الله مانع لهم من طاعته، فقد أحالوا في قولهم، لأن العلم هو الله، والله حكيم، والحكيم لا يمنع المطيعين من طاعته.

ودليل آخر: أن الحكيم إذا علم أنه يعصى لم يمنعه ذلك من الرسالة إلى من عصاه لتكون الحجة له عليهم، ولتكون دعوته ورسالته أقطع لعللهم، وأدحض لحججهم.

ودليل آخر: أن الحكيم إذا علم بمعصية أعدائه لم يمنعه علمه بمعصيتهم من الرسالة إلى أوليائه.

باب التوحيد ونفي التشبيه

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول أصحاب الاثنين فقال: وما أنكرتم من كون خالقين قديمين بالصفات التي وصفتم بها الواحد القديم وهو الله الرحمن الرحيم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لتضاد الاثنين.

فإن قال: وما أنكرتم من اتفاقهما؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لو اتفقا [لم تعدو صفاتهما] في العلم والجهل والقدرة والعجز، فإن كان كل واحد منهما يقدر على إخفاء فعله وخلقه في سماواته وأرضه عن صاحبه، خرجا جميعاً من العلم وصارا جميعاً إلى الجهل، إذ كان كل واحد منهما جاهلاً بما يخفي عنه صاحبه من الفعل.

وإن كانا لا يقدران على إخفاء كل واحد فعلاً يفعله خرجا من صفات القدرة إلى العجز؛ إذ كان كل منهما لا يقدر أن يخفي فعله عن الآخر، وإذا كانا عاجزين جاهلين صح أنهما مخلوقان.

وإذا كان أحدهما يقدر على إخفاء فعله، والآخر لا يقدر ثبتت الربوبية للعالم القادر، والمربوب هو العاجز الجاهل لعجزه عن قدرة خالقه إذ لا بد للعاجز من معجز أعجزه ومنعه.

ودليل آخر: أنهما إذا كانا اثنين لم يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكونا حكيمين، وإما أن يكونا سفيهين، وإما أن يكون أحدهما سفيهاً والآخر حكيماً.

فإن كانا حكيمين [وجب عليهما أن يمنعا أنفسهما ولا يجهلا حكمتها] .

وإن كانا سفيهين فهما غير قديمين، لأن السفه والعبث إنما تولد من الهوى، والقديم لا يعبث ولا يهوى؛ لأن الهوى بنية ضرورية جعلت للبلوى.

وإن كان أحدهما حكيماً والآخر سفيهاً فالربوبية للحكيم الذي بين حكمته، والسفيه مربوب مخلوق عاجز، والله أعجزه وابتلاه، وركبه على الشهوات وبناه.

باب الرد على الفضائية

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول الفضائية فقال: فإذا أوضحت لي أنه واحد فما أنكرت من أن يكون الفضاء الهواء المكان الذي فيه الأشياء قديماً؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك من وجوه شتى: أحدها: أن الفضاء جسم ضعيف، والخالق لا يكون جسماً ، ولو كان جسماً لما قدر على خلق جسم ، والخالق أيضاً لا يكون ضعيفاً لأن الضعيف مخلوق.

ودليل آخر: أن الفضاء مجتمع موصل ، ولا بدل لكل مجتمع من جامع ، ولا بد لكل توصيل من موصل ، والله موصله وجامعه ، ومبتدعه وصانعه.

وأيضاً فإنه محدود ، ولا بد لكل محدود من محدد قطع حدوده وناهاه ، وأوضح نهايته وغاياه.

ودليل آخر: أن الهواء أموات ولا بد من مميته ومجمِّده ، ومضعفه ومحدده.

ومن هؤلاء الفضائية من يقر بالقرآن[1] والله يقول عز وجل من قائل: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ**

---

[1]- في (ب): بالكتاب.

بشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والهواء يدرك ويحاط بعلمه ويقول سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، والهواء فهو المسافة المدركة بين السماء والأرض.

ودليل آخر: أن الهواء ساكن وربما تحرك، فهو مضطر إلى الحركة والسكون، ولا بد له من صانع اضطره إليهما، وبناه بناء عليهما.

ودليل آخر: أن كل ما لا ينفك من الحركة والسكون فهو محدث، لأنهما محدثان يكثران ويقلان ؛ لأن الهواء قد طال مقامه فيما مضى من الأزمان ، والأزمان محدثة بأبين البيان ، لأن ما مضى منها فلم يعدم إلا بعد حدوثه ساعة بعد ساعة، وتلك الساعات فقد عدم جميعها بعد حدوثها كلها ، وللكل نهاية وغاية ، وهو لم ينفك منهما ، و لم يكن قبلهما ، وإذا لم يكن قبلهما فهو في الحدوث مثلهما. نسأل الله المغفرة والهدى ، ونعوذ به من الحيرة والردى.

باب المعرفة

فإن قال: فما الدليل على معرفة الخالق وأين هو؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على معرفته ما أظهر من الصنع المتقن، وأقرب الأدلة إلى الإنسان نفسه، لأنا رأينا كل جارحة من جوارحه، لم تجعل إلا لمصلحة من مصالحه، فعلمنا أن الإصلاح لا يكون إلا من صانع عالم ؛ لأنه لو كان جاهلاً لما اهتدى إلى الإصلاح.

وأما قولك: أين هو؛ فإن أين مكان وربنا ليس في مكان، لأنه خالق المكان، وهو كان ولا مكان.

فإن قال: فكيف هو؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لا كيف له؛ لأن كيف صفة من صفات خلقه يحتمل أوصاف الأجسام ، والله ليس بمكيّف مصنوع فيوصف بصفات المطيعين.

فإن قال: ففي أي الجهات هو أفوق كل شيء، أم تحت كل شيء، أم هو محيط بكل شيء، أم هو في كل شيء، أم هو مع كل شيء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل ثلاثة أوجه: إما أن تكون عنيت ذاته، وإما أن تكون عنيت علمه، وإما أن تكون عنيت قدرته؟

فإن قلت: عنيت بقولك قدرته فهو لعمري فوق كل شيء قاهر ، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨].

وإن كنت عنيت بفوق وتحت ومحيط وفي ومع تريد علمه؛ فهو لعمري كذلك محيط بكل شيء وفي كل شيء لا يخلو منه شيء، ومع كل شيء لا يخفى عليه شيء.

وإن كنت عنيت ذاته؛ فمحال أن يكون محاداً للعالم فيكون مجزأ مبعضاً ؛ لأنه إذا كان فوق العالم فالذي يحاد العالم منه أسفل، وإذا كان تحت العالم فإن تحت العالم الذي يحاد العالم منه أعلا، وإذا كان محيطاً فالعالم منه في كل أو بعض ، والكل والبعض من أوصاف المخلوقين، وكذلك إذا كان في العالم كان العالم له محلاً ومسكناً وملجأ ومعقلاً، وكان مكانه أكبر منه وكان محدوداً، والمحدود لا بد له من محدد ؛ لأنه إذا أحاط به المكان فله غاية ومنقطع ، وما كان له منقطع فله قاطع ؛ لأن المقطوع مفروغ منه ، والفراغ من فعل المحدد القاطع للحدود المناهي، وهو الله محدد الأجسام وقاطعها ومفتطرها وصانعها، ومفرقها وجامعها، وهذه صفات المخلوقين الموهمين، ذوي الأماكن المدبرين، وربنا بخلاف خلقه لأنه لا يقع عليه الفكر ولا يخطر على بال؛ لأنه ليس في مكان، ولا بينه وبين خلقه مكان، لأن المكان لو كان بينه وبينهم لم يخل ذلك المكان من أن يُقَرِّبَهُ، فيكون قريباً منهم ، أو بعيداً فيبعده عنهم، ولو كان قريباً بذاته منهم لكان مقرباً لا بد له من مُقَرِّبٍ قَرَّبَهُ، ولو كان بعيداً بذاته عنهم لكان مبعداً لا بد له من مبعد أبعده.

ودليل آخر: أنه لو كان بينه وبين خلقه مسافة، لم تخل تلك المسافة من أن تكون قاربت كله أو بعضه، وللكل والبعض نهاية وغاية، والله سبحانه ليس بذي كل ولا بعض، ولا طول ولا عرض، ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا خلف ولا أمام ولا لون ولا طعم، ولا رائحة ولا محسة ، ولا افتراق ولا اجتماع ولا حركة ولا سكون؛ لأن هذه الصفات لا تكون إلا في الأجسام التي ذكرنا، والله خالقها وجاعلها.

باب الرد على من أنكر قول آل محمد (ص) في أن الله شيء لا كالأشياء

قال الحسين بن القاسم -عليهما السلام-: فإن قال: لم زعمت أن الله شيء و لم تقل مشيء الشيء، وقد علمت أنا لم نجد شيئاً إلا جسماً، فهل نفيت عن ربك صفات الأجسام؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن قولنا شيء إثبات موجود ونفي معدوم.

وقولنا: لا كالأشياء نفيه التشبيه وذلك قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [الأنعام:١٩]، فسمى نفسه شيئاً، ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فحكينا من قوله ما قال، ونسبنا إليه سبحانه ما نسب إلى نفسه، ونفينا عنه ما نفى عن نفسه من شبه خلقه.

[مسائل في الصفات الذاتية]

مسألة: فإن قال: أهو عالم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم هو سبحانه عالم.

فإن قال: أعلمه هو أم علمه غيره؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن علمه وقدرته صفتان من صفات ذاته، هما الذات والذات هما ، وهو العالم بنفسه ، القادر بنفسه، الحي بنفسه ، لا بحياةٍ سواه، ولا علم ولا قدرة غيره.

مسألة: فإن قال: ربكم مريد؟

قيل له: نعم.

فإن قال: وما إرادته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: فعله للشيء فقط[1].

---

[1] - الإرادة والكراهة والمحبة والرضا والسخط والغضب كل ذلك من صفات أفعال الله جل جلاله، ولا يصح أن نقول إنها من صفات الذات لما يلزم من مشابهة الله تعالى للمخلوق المحدث =

مسألة: فإن قال: ربكم يقدر أن يريد أو يريد أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة مغالطة، منها ما يصح ومنها ما يفسد.

فأما الصحيح فقولك يقدر أن يريد لأن الإرادة فعله، وهو لعمري قادر على الأفعال.

وأما الفاسد المحال فقولك يريد أن يقدر فكأنك قلت: يفعل القدرة وهو لم يزل قادراً، فجعلت القدرة من المفعولات، ففسد القول واستحال.

مسألة: فإن قال: ربكم يعلم أن يقدر أو يقدر أن يعلم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ربنا يعلم أنه يقدر، وأما قولك يقدر أن يعلم ففاسد محال؛ لأن القدرة لا تقع إلا على المقدورات، وليس علم الله بمقدور فتقع عليه القدرة.

مسألة: فإن قال: ما دليلك على أن الله حي؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنا نظرنا إلى الخلق فإذا هو متصل تام محكم متقن، فعلمنا أنه

الضعيف .

وذلك أن المعروف أن هذه الصفات أعراض يجدها البشر في نفوسهم تأتي وتذهب لذلك امتنع أن نصف الله تعالى بها على ما نعرف من معناها في البشر .

وإذا أردت أن تعرف صحة كلام الإمام -عَلَيْه السَّلام- في هذا الباب فاعلم أن لكل من هذه الصفات مبدأً وغاية ؛ فمبدأ الإرادة ميل النفس إلى الفعل ورغبتها في حصوله وإعداد النفس للفعل ثم يحصل الفعل بعد ذلك ، وحصول الفعل هو الغاية ومبدأ الغضب فوران الدم وانتفاخ الأوداج واحمرار العينين وغايته فعل الانتقام ، وهكذا سائر الصفات المذكورة ؛ فإذا أطلقت على الله سبحانه وتعالى فالمراد بها الغايات لا المبادئ لأن الله تعالى ليس له دم يفور ولا أوداج تنتفخ ولا عينان تحمرّان وليس له قلب يهتش ويعقد العزم ولا ....إلخ .

لذلك وجب أن نقول : غضب الله تعالى وسخطه هو إلحاق الذم والعقاب بمن سخط وغضب عليه، ومحبته ورضاه فعل المدح والثواب لمن أحبّه ورضي عنه ، وإرادته هي فعله وخلقه ، ولا يجوز تفسير شيء من ذلك بالمبادئ لما يلزم من مشابهة الله لمخلوقاته المحدثة. فتأمل ذلك. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

صُنْع حكيم حي؛ لأن الميت لا يقي نفسه فضلاً عن غيره، ومحال تدبير من هــو ميــت، والحكيم لا يكون إلا حياً والميت لا علم له ولا قدرة ولا إرادة ولا حكمة.

مسألة: فإن قال: فما دليلك على أنه قادر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أبين الأدلة وأوضحها، وذلك لأن العاجز لا يقدر على فعــل شيء أصلاً، تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً.

مسألة: فإن قال: فما دليلك على أنه عالم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لولا أنه عالم لما اهتدى إلى خلق الأشياء من غير شيء، بــل لعلمه بها قبل تكوينه لها خلقها وفطرها واخترعها بغير مثال احتذى عليه ، وكيــف لا يعلم المبتدع ما ابتدع، والحكيم الصانع ما صنع؟!

مسألة: فإن قال له حد أو نهاية أو أمد أو غاية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: تعالى الله خالقنا عن أن يكون له حد أو نهايــة، أو أمــد أو غاية، لأن كل محدود لا بد له من محدد أحاط به، وكل ذي عدد لا بد له من معدد، وربنا ليس بذي حد به يحد، ولا بذي أجزاء تعد.

مسألة: فإن قال: فهل يدرك بحس أو نفس؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال لا يجوز على الله ؛ لأن النفس لا تدرك إلا جســماً أو عَرَضاً، وكذلك درك الحس أيضاً، والجسم والعرض محدثان ومدبــران بعــد العــدم مصنوعان.

باب الحقائق

فإن قال: فما حقيقته في ذاته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين : إما أن تكون أردت حقيقة ذاتــه، وإما أن تكون أردت الدلالة على وجوده؛ فإن كنت أردت ذاته فحقيقته ذاته ، وذاتــه حقيقته .

وإن كنت أردت الدلالة على حقيقته وصفته.

فالجواب في ذلك : أن وجود خلقه وصنعه يدل على أنه شيء حق، وليس عندنا من الجواب في المسألة إلا ما ذكرت لك، إذ كل شيء موجود مدرك محسوس يعرف حقيقته بذاته، والله لا يعرف إلا بما أظهر من حكمته، وحقيقته قدمه، وهو حقيقة ذاته، وكذلك غير القدم من صفاته كعلمه وقدرته وحياته.

مسألة: فإن قال: فما هو؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل ثلاثة أوجه: إما أن تكون سألت عن اسمه، وإما أن تكون سألت عن صفته، وإما أن تكون سألت عن ذاته.

فإن كنت سألت عن اسمه فهو: الله الرحمن الرحيم، وإن كنت سألت عن صفته فهو الواحد القديم القدير العليم، وإن كنت سألت عن ذاته فهو الذي ليس كمثله شيء.

مسألة عن الإرادة: وإن قال: لم يزل الله مريداً أم إرادته حدثت و لم تكن أزلية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن إرادة الله سبحانه هي فعله، وأما إرادته لطاعة عباده فهي أمره لهم فقط، وكذلك سخطه لمعصيتهم فهو نهيه لهم، والله سبحانه لم يزل عالماً بجميع فعله، عالماً بجميع ما سيريد تكوينه، وإنما الذي يريد بلا علم تقدم ويضمر بغير تكوين هو الإنسان الجاهل ، الجائل الفكر الذي تحدث له النية بعد الضمير[1] والإرادة، بإضمار القلب والطوية، ولو كانت إرادته قبل فعله لكانت إرادته كإرادة المخلوقين ولكانت عرضاً من جسم، ولو كان جسماً لأشبه الأجسام، وإنما إرادته فعله وفعله مراده[2]، وليس ثم إرادة غير المراد، فيكون مشابهاً للعباد.

ومحبة الله هي رضاه، ورضاه محبته، ومحبته ثوابه، وبغضه غضبه، وغضبه عقابه، وكراهته نهيه لا غير ذلك، وهذه صفات تكون لله فعلاً، وتكون للمخلوقين بخلاف ما هي لله أعراض علل في المعلولات، لأن إرادة المخلوقين اهتشاش قلوبهم، ومحبة نفوسهم

---

(١)- في (ب) ناقص.

(٢)- في (ب): إرادته.

قبل فعلهم وكراهتهم، ومحبتهم وكراهتهم مختلجان في صدورهم، وحاش لله أن يوصف بصفات خلقه، والشهوة والكراهة بنيتان ضروريتان، وحاش لله أن يكون مضطراً إلى شيء أو مبنياً عليه.

مسألة: فإن قال: فما دعاه إلى أن يخلق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال لا يجوز على الله سبحانه؛ لأنه لم يزل عالماً بلا داع خطر، لأن الخاطر الداعي من صفات الجهال المخلوقين الذين يَذْكُرُون بعد النسيان، والناسي لا بد له من مانع منعه، وهو الله الذي فطره على الضعف وصنعه.

مسألة: فإن قال: فأيهما أكثر، إقامته قبل أن يخلق الخلق، أم إقامته بعد أن خلق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة محال، لا يصح[1] بها اعتقاد ولا مقال، لأن الإقامة من صفات المخلوقين، وليست من صفات رب العالمين، والإقامة فإنما هي الحركات والسكون.

مسألة: فإن قال: أخبرني عن الله لِمَ لَمْ يخلق خلقه قبل أن يخلقهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة تستحيل، ولا تثبت عند أحد من أهل العقول، لأنك قلت يخلق الخلق قبل أن يخلقه فأوجبت أن قبل الخلق زماناً متقدماً، والله خالق الزمان والمكان والحيز والأوان، وهو الأول الذي لا قبل لأوليته، ولا كيف لأزليته، كان في حال القدم قبل بريته ولا عقل ولا معقول سواه، ولم يكن معه أزمنة ولا شهور ولا ساعات ولا أمكنة ولا أوقات، ولا علم ولا معلوم، ولا فهم ولا مفهوم، ولا وهم ولا موهوم.

مسألة: فإن قال: خلق الله بعلة أو بقصد وإرادة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن العلة لازمة بغير إرادة المعلول، وما كان بغير إرادته فلم

---

[1] في (ب): لا تصح باعتقاد ولا مقال.

يقصده ، وما كان غير مقصود فلم يعمده ، وما كان غير متعمد لم يخل من أن يكون قديماً أو محدثاً؛ فإن كان محدثاً فالمحدِث له لا يخلو من أن يكون عنه جاهلاً مضطراً إلى الجهل، أو رباً عالماً بالفعل.

فإن كان هذا الصنع من علة بغير قصد ولا مشيئة فهذا محال، لأن العلة لا توجب حكمة بالغة ولا نعمة سابغة، لأن العلة ضرورة بني[1] عليها المعلول، وليست توجب حكمة عند أهل العقول، وما كان مضطراً فهو ممنوع من الاختيار، وما كان ممنوعاً ملجأً إلى الاضطرار فصانعه بخلافه في جميع الأمور، بفضل الفاطر على المفطور، وأن هذا الصنع من رب عالم، صنعه بعلمه واختياره، وأوجبه بقوته واقتداره، وجاد على البرية بإظهاره، غير مضطر إليه، ولا مكره بالعلل عليه، فذلك مجري العلل في المعلولات، وصانع جميع المصنوعات، وفاطر الأرض والسماوات.

مسألة: فإن قال: فهل لإرادة الله نهاية؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الإرادة هي الفعل، وللفعل نهاية وغاية، والفرق بين إرادة الله وإرادة خلقه أن إرادة المخلوقين خواطر، وإرادة الله سبحانه أجسام موجودة بصفاتها، وبدائع تعرف بحياتها.

مسألة: فإن قال: ما الفرق بين فعل الله وفعل خلقه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الفرق بين ذلك أن فعل الله ابتداع واختراع، وفعل العباد حركات وسكون واعتقاد، وأفعال العباد بآلاتهم وهي أعراض متعلقة بأجسامهم، وأفعال الله متعلقة بذاته.

مسألة: فإن قال: أخبرني كيف خلق الله الخلق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله:هذه المسألة تشتمل على وجوه كثيرة فمن ذلك أن يكون

---

[1]- في (ب): مما ليس يوجد.

السائل أراد بقوله كيف خلق؟ أي كيف أسعده الخلق وتهيأ له ، ومن ذلك أن يكون أراد بقوله هل خلقه بحيلة أو علة.

فإن أراد أنه خلق الخلق بحيلة ، فهذا محال لا يجوز عليه ، ولا ينسبه عالم إليه، وإن أراد بذلك أنه خلق بعلة ، فهذا محال ؛ لأن العلة لا تخلو من صفات المحدثات ، والمحدثات لا تخلق أمثالها، ولا توجب أشكالها ، لأن المحدثات هي الأجسام والأعراض ، والجسم لا يخلق جسماً ولا يوجد لحماً ولا دماً.

وإن أراد بقوله: كيف خلق ؟ يريد بذلك أي كيف تهيأ له الخلق ، فالجواب في ذلك: أن الخلق تهيأ له بالقدرة التي لا كيف لها.

مسألة: فإن قال: أخبرني أَعِلمُ الله كثير أم قليل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن كنت أردت علمه الذي نزّل على أنبيائه ورسله فهو كثير، وإن أردت علمه الذي هو ذاته فليس يوصف بالكثرة فيكون عدداً، ولا يوصف بالقلة والنقص أبداً، لأن العدد الكثير يدل على التغاير والأبعاض، وذلك فلا يوجد إلا في الأجسام والأعراض، وكذلك العدد القليل فهو منقوص ، والمنقوص بالعلة مخصوص.

فإن قال: أمعلوم الله كثير أم قليل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: معلوم الله كل دقيق وجليل، وصغير وكبير، وممكن ومستحيل، ومعلومه ما قد كان وما سيكون ، وما لو كان كيف يكون، وما لا يكون أنه لا يكون.

مسألة: فإن قال: هل يحصى تقدم الله قبل خلقه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال لا يجوز على الله سبحانه؛ لأن تقدم الله هو قدمه وقدمه ذاته ، وذاته لا توصف بقلة ولا كثرة ، ولا عدد ولا أمد ولا حد، وقدم الله لا يفهم ولا يدرك ولا يعلم.

مسألة: فإن قال: لم ذكّر الله اسمه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن تذكير الاسم أولى من تأنيثه ، وإنما الأصل في تذكير الاسم

أن الشيء هو الموجود ، والموجود مذكّر أبداً ، وإنما جعل التأنيث للمعنى.

مسألة: فإن قال: خَلَقَ الله الخلق من شيء أو لا من شيء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الله عز وجل خلق الخلق من غير شيء؛ لأن القديم لا يتغير ولا يزيد ، ولا ينقص ولا يعدم بعد وجود ، كما لا يوجد بعد عدم ؛ لأنه إن تغير لم يخل من أن يكون تغير كله أو بعضه ، والكل والبعض لا يكون إلا متحركاً أو ساكناً ، والحركة والسكون محدثان ، وكذلك لا يفنى إلا الكل أو البعض ، والكل والبعض متناهيان مقطوعان ، ومحدثان بعد العدم مصنوعان ، لأن الكل محدود ، والتبعيض عدد معدود ، والاجتماع دليل على الجامع، والافتراق دليل على المفرق الصانع، فلو كان أصل الخلق قديماً لم يخل من أن يكون خلق الخلق من كله أو بعضه ، وفي الكل والبعض نفي القدم ، وحدوث العالم بعد العدم بحدوث الكل والبعض والاجتماع والافتراق والحركة والسكون ، فلحدوث الأشياء تفرقت واجتمعت ، ولتدبير مدبرها تصرفت وتنقلت ، فالحمد لله الذي لا ينقص ولا يزيد، ولا يبطل ولا يبيد.

مسألة: فإن قال: لم خلق الله الخلق؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الله سبحانه خلق الخلق لإظهار حكمته.

مسألة: فإن قال: فلم أظهر الله حكمته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن إظهار الحكمة حسن ، وإظهار الحسن خير من تركه.

مسألة: فإن قال: فلم كلفهم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لإظهار الحسن من فعلهم ؛ لأن الصبر على الكلفة حسن يستوجبون عليه الثواب ، لأن التعبد داع إلى الحكمة ، زاجر عن الجهل ، وكلما دعا إلى الحكمة والرشاد ، وزجر عن الغي والفساد ، ففيه مصلحة لجميع العباد ، مع ما في الصبر على المحن التي امتحن الله بها جميع المكلفين ، من المصلحة لجميع العالمين ، والغبطة بما وعد الله من الثواب ، والسرور بالنجاة من أليم العقاب ، لأن الثواب بعد المحنة أكمل وأعظم للنعمة.

وإنما ابتدأ الله الخلق بدار المحنة ، لإظهار فضلهم ولتعظيم سرورهم بالنجاة بعد خوفهم، وأيضاً فإن طول المحن والتجارب ، أفضل من الغفلة عن العجائب ، لفضل الحكمة والمعرفة على الجهل ، ولما في التجارب من لقاح العقل.

مسألة: فإن قال: فما الدليل على صدق الرسل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على صدقهم ما أتوا به من المعجزات، مثل إحياء الموتى ، وكلام البهائم والشجر ، والرمي بالعصا فإذا هي حية تسعى ، وفلق البحر ، والسير فيه يبساً.

باب الرد على من جحد نبوة محمد صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء وسلم تسليما

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول اليهود فقال: وما أنكرتم من أن تكون النبوة لموسى -عَلَيْه السَّلام- من دون محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنهما نبيان جميعاً لا فرق بينهما.

فإن قال: فبم صحت لك نبوة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: بمثل ما صحت لك نبوة موسى.

فإن قال: صحت لي نبوة موسى بالمعجزات.

قيل له ولا قوة إلا بالله: وكذلك صحت لنا نبوة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- بالمعجزات.

فإن قال: وما علمكم بصدق الرواة.

قيل له ولا قوة إلا بالله: كعلمك بصدق الرواة، ودلنا أيضاً على صدقهم هذا القرآن الذي أتى به نبينا -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- فعجز الخلق أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله وفيه تصديق نبوة موسى وعيسى -صلى الله عليهما وعلى الأنبياء أجمعين-.

فإن قال: وكذلك صحت نبوة موسى بإجماعهم معنا ونحن غير مجمعين معكم.

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال ؛ لأن إجماعنا معكم على نبوة موسى

-صلوات الله عليه- طاعة منا لربنا نستحق بها منه ثوابه ، وجحدانكم لنبوة محمد -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- معصية الله تستحقون بها منه عقابه، وكذلك الرد عليه إن كان نصرانياً أو مجوسياً.

باب الرد على من جحد الإمامة بعد النبي (ص)

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى الحق، وأقر بكلمة الصدق، وجحد الإمامة فهو مشرك، لأن الإمامة فرض من الله لا يسع أحد جهلها؛ لأن الحكيم لا يهمل خلقه مع ما بدأ من اختلافهم من الحجة على من عَنَدَ من الحق منهم ، والهداية لمن طلب النجاة من أوليائه ، والبيان لتلبيس أعدائه، وإلا فقد ساوى بين حقهم وباطلهم ، وفي ذلك ما يقول النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم-: ((من مات لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهليةً)) وقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ(٧)**﴾ [الرعد]، فأخبر أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- منذر للعباد وأن لكل قوم هادٍ إلى الحق في كل زمان ، يوضح لهم ما التبس من الأديان ، ويرد على من دان بغير دين الإسلام ، ويوضح الحجة على جميع الأنام.

فإن قال: من الإمام بعد رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم- إذ زعمتم أن الأرض لا تخلو من الحجة؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الحجة بعد نبينا -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أقدر الخلق على القيام بأمور الدين ، وأكمل جميع المسلمين ، و لم نعلم ذلك غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه صلوات رب العالمين- وفيه يقول أخوه رسول الله -عليه أفضل الصلاة والتسليم-: ((علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، ويقول -صلوات الله عليه-: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله وانصر من نصره)).

باب الرد على من زعم أن الإمامة بعد النبي (ص) في ذريته وفي غيرهم من الأمة

قال الحسين بن القاسم -صلوات الله عليه-: فإن رجع إلى مذهب أمة نبينا -صَلَّى الله

عَلَيْه وآله- فقال: وما أنكرت أن تكون الإمامة بعد النبي في أهل بيته وفي غيرهم إذ ليس معكم من الروايات شيء إلا ومعنا أكثر منها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الحق يعرف من ثلاثة أوجه وهي: محكم الكتاب والسنة وحجج الألباب.

فأما أصل ذلك في حجج العقول: فإن الحكيم لو جعلها في جميع الناس، لوقعوا في أعظم الالتباس، لكثرة دعاوي الفاسقين، واغتيال الظلمة المنافقين، ومن هاهنا وجب أن تكون الإمامة في أهل بيت معروفين بالفضل والشرف مخصوصين.

وأما في الكتاب: فقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(٣٣)**﴾ [الأحزاب]، وقوله سبحانه لنبيه: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣]، فافترض مودة ذوي القربى من رسوله.

فيا أيها الأمة الضالة عن سبيل رشدها، الجاهدة في هلاك أنفسها أُمِرْتم بمودة آل النبي، أم فرض عليكم مودة تيم وعدي، ومن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً إلا الذين أمرتم بمودتهم من ذوي القربى من آل نبيكم، فهذه بحمد الله حجج واضحة منيرة لا تطفى، وشواهد مشهورة لا تخفى، إلا على مكابر عمي، أو شيطان غوي، قد كابر عقله، ورفض لبه.

وأما السنة: فهي ما أجمع عليه من إمامتهم والباطل ما اختلف فيه من إمامة غيرهم[1].

---

(١)- المقام يحتاج إلى توضيح أكثر مما هنا فنقول:

الدليل على إمامة أهل البيت من بعد النبي -صَلّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلّم- من وجوه:

١-أن عادة الله وسنته في الأولين من الأنبياء والمرسلين تقضي لهم بذلك فقد اصطفى الله تعالى آل إبراهيم وآل عمران وآل يعقوب على العالمين وجعل فيهم العلم والحكمة وآتاهم ملكاً عظيماً كما جاء ذلك في القرآن.

وقد أكد الرسول -صَلّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلّم- هذه السنة الإلهية فشرع -صَلّى الله عَلَيْهِ وآله

=

باب الرد على الإمامية

قال الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى قول الإمامية فقال: وما أنكرت من أن تكون الإمامة لولد الحسين من دون ولد الحسن -صلوات الله عليهما؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنهما في الولادة سواء لا فرق بينهما ، وكذلك لا فرق بين ذريتهما وإلا فما حجتك في رفضهم ، وما عذرك عند الله في إبطال إمامتهم؟

وَسَلَّم- للمسلمين أن يقولوا في صلاتهم : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وذلك من أجل أن لا يميلوا بآل محمد عن سنة آل إبراهيم وما جعله الله تعالى لهم، ولأمرٍ ما جعل الله تعالى ذلك في الصلاة التي تتكرر في اليوم والليلة مرات كثيرة ، ما ذاك إلا من أجل أن تكون تلك السنة على بال المسلمين حاضرة في صدورهم لا يغفلون عنها .

٢-أن سنة البشر عامة أن الذي يستحق خلافة الملك هو أقاربه الأدنون ، مضى على هذه السنة عامة البشر في قديم الدهر وحديثه لا يعرفون غير هذه السنة ، وعلى هذه السنة جرت سنة الله تعالى في أنبيائه ورسله وذراريهم .

٣-جاء في القرآن ما يعزز سنة الله وعادته في أنبيائه ورسله فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(٣٣)﴾ [الأحزاب]، وقال سبحانه : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ ...الآية [آل عمران:٦١]، إلى غير ذلك من الآيات التي تجعلهم محط أبصار الناس، إليهم يرفعون رؤوسهم ويشيرون بأصابعهم .

٤-ثم جاء في سنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- ما لا يكاد يحصى من التنويه بأهل بيته ورفع ذكرهم والاهتداء بهديهم والاقتداء بهم ، ولو لم يجي إلا حديث الثقلين المتواتر المعلوم الذي رواه مسلم وغيره والذي جعل فيه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- أهل بيته والقرآن خليفتين له لكفى فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- نصّ فيه على أن أهل بيته والقرآن خليفتان له يسدان الفراغ بعد فقده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- . تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

فإن قال: بإجماعكم معنا على إمامة ولد الحسين ولسنا مجمعين معكم على إمامة ولد الحسن.

قيل له ولا قوة إلا بالله: ليس إجماعنا معكم على الحق بحجة تثبت لكم باطلكم ، ولا رفضكم بحجج الله عز وجل مما يصحح دعواكم ، وإنما إجماعنا معكم على إمامة ولد الحسين طاعة منا لربنا نستحق بها منه الثواب ، وتفريقكم بين آل الرسول معصية تستحقون بها منه العقاب، والله يقول عز من قائل:: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:٢٣]، فإن كان أولاد الحسن من ذوي القربى فقد افترض مودتهم وإن أخرجتموهم من قرابة النبي فأنتم بالبعد أولى منهم.

وقال سبحانه: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(٤٣)**﴾ [النحل]، والذكر فهو رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- في هذا الموضع وذلك قول الله سبحانه: ﴿**قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا(١٠) رَسُولًا**﴾ [الطلاق]، فسمى رسوله ذكراً ثم أمر بسؤال أهله ؛ فإن كان ولد الحسن من آل الرسول لزمكم الإقرار بإمامتهم ، وإن كانوا من غير آل الرسول فقد صدقتم في رفضهم وأصبتم في عداوتهم.

ثم أنتم بين أحد وجهين : إما أن تقروا بإمامتهم ، وتتبعوا ما أمركم الله به من سؤالهم، أعني من كان حجة لله منهم إذ لم يستثن إحدى الطائفتين من دون الأخرى وأمركم بسؤالهم أمراً، وإما أن تلجوا في عتوكم ونفوركم ، وتخالفوا أمر ربكم ، وتظهروا خلافكم ، فتثبت حجة الله عليكم[1].

---

[1] - لزيادة التوضيح نقول :

الأدلة المجمع عليها بين طوائف الأمة جاءت عامة لأهل البيت عليهم السلام لم تخص أحد البطنين من الآخر مثل آية التطهير وآية المودة وحديث الثقلين وحديث السفينة وحديث : ((قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد)) وغير ذلك كثير من الأحاديث المشهورة عند طوائف المسلمين.

=

باب الرد على الإمامية في صفة الإمام

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: فإن رجع إلى الحق وأقر بولاة الأمر من آل الرسول -صَلّى اللهُ عَلَيْه وآله- فقال: قد أقررت بأن الإمامة في ولد السبطين فما صفة الإمام الذي تلزم الأمة حجته، وتجب عليهم طاعته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الإمام الذي تجب طاعته يكون كاملاً في جميع خلال الخير، غير ناقص من الصفات المحمودة، عالماً بما يحتاج إليه من السنة والكتاب، فَهِماً بما يحتاج إليه من الأسباب، تابعاً لآثار سلفه المهتدين، مخالفاً لمذاهب الضالين، شجاعاً كريماً بذولاً لماله زاهداً، وفي أمور الله سبحانه جاهداً، رصين العقل، بعيد الجهل.

فإن قال: فما أنكرت من أن يكون يطبع بخاتمه الحصى، ويعلم ما وراء الجدار، وما يحدث في آفاق الأرض والسماء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأن هذا الإمام الذي زعمت لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون يعلم الغيب، وإما أن يكون يوحى إليه، إما أن يكون كاهناً

وحينئذ فتخصيص الإمامية الإمامة لعدد من أولاد الحسين عليهم السلام دعوى لم يقيموا عليها بينة ولم يدعموها بحجة.

وما روته الإمامية في هذا الباب لا ينفع، ولا يخرجون به من حيِّز الدعوى، وهنا يجيء المثل العامي (مَنْ شاهدك يا ثعيلي قال ذيلي)، ولا يصح الاحتجاج في هذا الباب ونحوه إلا بما فيه أحد المواصفات الآتية:

١-أن يكون الدليل من نصوص القرآن.

٢-أو يكون من السنة المجمع عليها عند علماء الأمة.

٣-أو يكون من السنة المتفق عليها بين الخصمين المتنازعين.

٤-أو أن يلتزم الخصم صحة الحديث.

فالإمامية يستدلون بروايات لا يوافقهم على صحتها أي من خصومهم فاعرف ذلك وتأمل. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

ساحراً.

فإن قلتم: إنه كاهن ساحر ، فهذا من القول أعيبه وأفضحه ، على من ينتحل التشيع في آل الرسول ؛ لأن من نسب إليهم السحر والكذب ، فقد عابهم بأعظم العيب، ومن كان ساحراً كذاباً فهو ظالم ولا ينال عهدي الظالمين ، ولا يوفق الله الكافرين.

وإن قلتم: حاشى لله أن يكون كذلك ولكنه يوحى إليه؛ خرجتم إلى ما هو أعظم مما نفيتم ، وجعلتموه نبياً وجحدتم قول الله سبحانه: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب:٤٠].

وإن قلتم: إنه يعلم الغيب ، خرجتم من ملة الإسلام ، ورجعتم إلى الشرك والآثام ، وقد أمر الله نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله- بالاحتجاج على المشركين فقال: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقال: ﴿**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**﴾ [الأحقاف:٩]، وقال: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ [لقمان:٣٤]، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً.

تمّ كتاب الرد على الملحدين.

قال في (ب) : حرر غرة شهر ربيع الآخر من شهور سنة ١٠٣٣هـ.

كتاب التوحيد والتناهي والتحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الحمد لله الواحد[1] الذي لا يوصف بالتعديد، العظيم الذي جل عن التحديد، العدل الذي تنزه عن ظلم العبيد.

أحمده حمد متوكل عليه، وأعتصم به اعتصام من أناب إليه، وكيف يوصف بالتعديد من أحصى كل شيء عدداً؛ بل كيف يوصف بالتبعيض واحداً، لما في التبعيض والتعديد من صفات التناهي والتحديد، وإذ لا بد لكل تعديد من معدد، ولكل تحديد من محدد، ولا بد لكل مفترق أو مجتمع من مفرّق وجامع، ومفتطر صانع، لما في الإفتراق والاجتماع من بيان الصنع والابتداع، والله سبحانه بخلاف خلقه المدبرين، ذوي الأماكن المصورين، إذ المصوَّر مضطر إلى مصوِّره، والمدبَّر محتاج إلى مدبِّره، والمقدَّر غير ممتنع من مقدِّره، لا ينفك من أماكنه ومواضعه، ولا يقدر على دفع إحاطة علم صانعه، فهو إلى محله مضطر مدفوع، وجهاته وأقطاره تدل على أنه مصنوع.

وكذلك ننفي عن الله سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه، دَرَكَ الحواس والنفوس والأوهام، إذ لا يقع شيء منها إلا على جسم من الأجسام، في جهة من الجهات، أو على صفة من الصفات، فتبارك الله وتعالى عن الحس والتوجس، أو خاطر نفس من الأنفس، أو مشاكلة شيء من أوصاف الموصوفين، أو محادة جنس من أجناس المصنوعين، إذاً لدخل عليه ما يدخل على شكله، ولجاز عليه ما يجوز على مثله، من الصفات الملازمة للأجسام، المنفية عن ذي الجلال والإكرام.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم.

باب الدلالة على معرفة الله سبحانه والرد على الملحدين، الكفرة الجاحدين

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: إن سأل بعض

---

[1]- في (ب) ساقط.

الملحدين أو الشاكين، في جلال رب العالمين، أو قال بعض المتعنتين: فكيف نعبد من لا يُرى ولا يُدرك بحاسة من الحواس؟ وما الدليل الذي دلك عليه؟ وما الدواعي التي دعتك إليه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن الدليل الذي دلنا على الله سيدنا ومولانا، والدواعي التي دعتنا إليه تبارك وتعالى، أنا وجدنا في الصنع آثار حكمة الصانع المتقن الحي العالم، وهو الله رب العالمين.

فإن قال: وما دلكم على بيان علم الصانع وحكمته؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: دلنا على بيان علم الصانع وحكمته، ما شاهدنا من جليل صنعه وفطرته، مما لو رمنا تعديده لما أحصيناه عدداً، ولا أدركنا له أمداً، لعجزنا عن إحصاء آياته، ولانحاز عن تصنيف دلالته.

من ذلك ما شاهدنا من جليل صنعه في الحيوانات، وما خلق سبحانه من الذكور والإناث، وأبان في ذلك من الجعل والإحداث، وما جعل بينهم من الأولاد الكثير، من نطف الماء الحقير، فعادوا كثيراً مذكوراً، بعد أن كانوا قليلاً محقوراً، وما شق لهم سبحانه من السمع والأبصار، والأفئدة للتمييز والأفكار، والاجتلاب للمنافع والنفور عن المضار.

وما خلق لنا سبحانه من الحواس الخمس، من العيان والسمع والذوق والشم واللمس، فجعل العيان لدرك الهيئات، وجعل السمع لدرك الأصوات، وجعل المشام لدرك الروائح المختلفات، وجعل الذوق لدرك المطعومات، وجعل اللمس لدرك أحوال المجسمات، فكان ما عوين من اتصال التدبير، واطراد الحكمة والتقدير، دلالة على أحكم الحاكمين، واضطرار إلى معرفة رب العالمين، ودليلاً مبيناً على فساد قول الملحدين، ممن قال بالطبائع من الكفرة الجاحدين، أهل الحيرة المتلددين، إذ صح عند أهل العقول أن هذه العلل

الموات، لا تقي[1] أنفسها فضلاً عن أن تقي تدبير غيرها، إذ لا يجعل الشيء للشيء إلا حكيم، ولا يصرف ويدبر إلا عليم، وسنزيد إن شاء الله بياناً ، ونوضح له من ذلك هدىً وبرهاناً.

ألا ترى أنه لا يجعل العين إلا عالم بما جعل من النظر، فلا يجعل الأنثى إلا عالم بما جعل لها من الذكر، ولا يجعل العقول المميزة إلا عالم بما يحتاج إليه ذو الألباب، من الاجتلاب للمنافع والنفور عن المضار، ولا يجعل الأيدي والأرجل وغيرها من العروق والعصب والمفاصل إلا عالم بما سيكون من حركاتها، واجتلابها لمنافعها، ولا جعل المراضع في أجساد الإناث، إلا عالم بما سيكون من أولادها قبل الإحداث، وما علم من حاجتها إلى ما جعل لها من الأغذية قبل كونها، فجعل تقدمة غذاء الطفل بلطفه، لما علم من فاقته وضعفه، وألهمه الرضاع وجبره عليه، لما علم من حاجته إليه، ولولا هداية الله سبحانه للأطفال لهلكوا ودمروا.

ألا ترى إلى إظهار البهائم عند خروجها من بطون أمهاتها كيف تقصد مواضع أغذيتها ولذاتها، وما جعل الله سبحانه من قوام أرواحها وحياتها، ولا يجعل السمع إلا عالم بفاقة صاحبه إلى درك الأصوات، ولا يجعل الأبصار إلا عالم بفاقة أصحابها إلى الهيئات، ولا يجعل المعايش والأرزاق إلا عالم بفاقة من جعلت له من الحيوانات، ولا يجعل في الجسد مداخل للأغذية ومخارج قبل كون ذلك إلا عالم بفاقة الإنسان إلى مداخل ذلك ومخارجه، إذ لا قوام له ولا ثبات للتدبير، إلا بما قدر الله سبحانه من التقدير.

فلما استحال عند ذوي الألباب أن تكون العلل الميتة عالمة حية مدبرة، متقنة للصنع مقدرة، علمنا عند ذلك بيقين أنه لا صانع حُكيم، مدبر قدير عليم، إلا الله الحي القيوم.

باب الرد على حدث الحيوانات ونهايتها

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهم السلام-: إن سأل سائل من

---

[1] في (ب): لا تغني أنفسها فضلاً عن أن تغني تدبير غيرها.

الملحدين فقال: ما أنكرتم من أن تكون الحيوانات لم تزل على ما ترى، تحدث نطفة من إنسان وإنساناً من نطفة وبيضة من طائر وطائراً من بيضة إلى ما لا نهاية له ليس لشيء من ذلك أول ولا يكون له انقضاء، ولا خالق للأشياء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك أشد الإنكار، وذلك أنا قدمنا لك أن في هذه الحيوانات آثار حكمة الحكيم، لا تهيأ إلا لعليم، وما كان فيه آثار صنع الحكيم العالم فهو محدَث مبتدع، ومنشأ بإذن الله مصطنع، وما صح إحكامه وتدبيره، وإنشاؤه وتقديره، فهو محدَث مجعول، ومبتدأ مفعول، وما صح حدثه واجتعاله، ونشأته وافتعاله، فقد صح تناهيه واعتماله.

ألا ترى أن في الحيوانات إبانة صنع الحكيم ، والقديم لا يكون في آثار علم عليم ؛ إذ القدم أغناه عن الفاقة إلى غيره ، والأزل لا يوصف بحاجة إلى الحكيم وتدبيره، إذ هو ممتنع عن علمه وتقديره ، فلما وجدنا الحيوانات ليست ممتنعة من التدبير ، ولا خلية من الإحكام والتصوير ، علمنا أنها بخلاف ما ذكرت ، وأنها غير ما وصفت.

فقولك: ليس لشيء من ذلك أول، هو من أحول المحال، وأفسد الفساد، وأضل الضلال، لأن هذه الحيوانات لا تخلو من أحد وجهين في حال قدمها، وما ادعيت من أزلها: إما أن تكون على ما ترى من إحكامها وتكوينها ونعمها وحياتها وتعميرها، وإما أن تكون ميتة جامدة، وساكنة لابثة هامدة.

فإن قلت: إنها كانت على ما نرى من كمالها، وذلك دليل على حكمة خالقها وجاعلها.

وإن قلت: إن أصول الحيوانات كانت ميتة كسائر الجمادات فمع موتها والحمد لله دليل على صانعها ومميتها، والممتن عليها بعد إماتتها بحياتها، والمظهر لصنعه في إحكام أدواتها، والمنعم عليها بكفايتها، والعالم بحاجتها إلى جميع آلاتها، والمتفضل عليها بعلمه بعاقبتها.

باب الرد على الجوهرية

قال الإمام المهدي لدين الله الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم -عليهم صلــــوات الله-[1]:

[الرد على قول أهل الهيولا والصورة]

وزعم صنف من الملحدين وهم أصحاب الجوهر أن الهيولا وهو أصـــــل الحيوانـــات جوهر قابل للأعراض، وأن معه قوة قديمة، وهو قديم فحرك القوة محدث البرد فقبله ، ثم حدثت القوة فحدث الحر فقبله ، ثم قبل اليبس والرطوبة.

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عليهما السلام-: فأي عاقل يجوز عليه قول من قال من الجوهرية: إن الطينة الميتة معها قوة هيولية أصلية قديمة عنصرية، تدبـــــر لهـــا نفسها حتى تصير مدركة حيوانية، بعد أن كانت ترابية مواتية، وقد وضح في عقول ذوي الألباب، فساد من ادعوا من قوة التراب، وكيف يتوهم ذلك متوهم غوي فضـــلاً عـــن عاقل سوي، وأنا يكون ذلك من فعل التراب، وهو موات ضعيف غافل، وقد عجز عن ذلك وهو حي حكيم سوي عاقل، وكيف يكون للطينة قوة هيولية، وليس لها إرادة ولا مشيئة، وهي إذ ذلك غافلة مواتية.

وإذا عجز الجوهر في حال بلوغه وكماله، عن تدبير[2] صورته وأوصاله، فهو في حال موته ونقصانه، أحرى بالعجز عن إحداث خلقه وتبيانه، وإذا عجز في حال حياته وقوته، فهو أحرى بالعجز في حال موته وغفلته.

ودليل آخر: لا يخلو الجوهر الذي ادعيتم قوته وادعيتم خلقه من أحد وجهين: إما أن يكون حياً حكيماً عاقلاً سوياً، قادراً مدبراً قوياً، وإما أن يكون ميتاً غافلاً ضعيفاً.

فإن قلتم: إنه كان حياً سوياً حكيماً، مدبراً قوياً عليماً، فقد أقررتم بأنه مصنوع لما في الحيوان العاقل من آثار التدبير الذي وصفنا، والحكمة التي على الله قدمنا في أول كتابنا.

---

[1]ــ ساقط من (أ).

[2]ــ في (ب): تبديل.

وإن قلتم إن الجوهر في حال خلقه لنفسه وتحريكه لقوته ميتاً غافلاً فهذا ما يقول به المجانين لجهلهم، ولا يتكلمون به مع ذهاب عقولهم، لأن الميت لا يحكم ولا يدبر، ولا يحرك نفسه ولا يقدر، وإذا كان الحي السوي عاجزاً عن تدبير نفسه وغيرها، فالميت أعجز عن إحياء نفسه وتدبيرها.

ومما يدل على فساد قول أصحاب الطبائع أن يقال لهم: لا تخلو هذه الطبائع من أحد وجهين : إما أن تكون حية قديمة مدبرة، متقنة للصنع مقدِّرة، وإما أن تكون مواتاً مثل الجوهر الذي هو أصل للخلق.

فإن كانت مواتاً من جنس الهيولا فقد بان صنع الموات وتقديره، وبطلان حكمته وتدبيره، لأنه لا يقي نفسه فضلاً عن تدبيره غيره، بل هو من العجز والضعف فيما يمنعه من الحدث، إذ لا قوة له ولا حياة، ولا إحسان له ولا إساءة، وكفى له بذلك عجزاً وضعفاً.

وإن كانت العلة للخلق حياً قديماً مدبراً ليس له شبيه ولا مثيل، ولا نظير ولا عديل، فهذه صفات الخالق، والخالق ليس بعلة ولا معلول، بل هو الله الرحمن الرحيم، الذي عجز عن نعته الناعتون، وضل عن وصفه الواصفون، و لم يتوهمه المتوهمون، و لم تقع عليه الظنون، و لم تدركه الأبصار، و لم تحوه الأقطار، و لم تحل عليه الأفكار، بل عجزت عن اكتناهه القلوب، و لم تخف عليه الغيوب، و لم تحده الجهات، و لم تنله الأدوات، وجل عن الصفات المحدثات، وعز عن النوم والسِّنَات، وجل عن درك المدركات، و لم يؤوده حفظ الأرض والسماوات، و لم يشتبه عليه شيء من الأصوات، و لم يمازج النور ولا الظلمات، و لم تجر عليه عوارض الساعات، و لم تنله صفات عواجز اللهوات، و لم يحتجب عن الأبصار بحجاب، ولا بسبب من الأسباب، مما يجول في خواطر الألباب، تعالى عن ذلك رب الأرباب.

جعل الخلق ليستدل به عليه، ويكون للمكلفين داعياً إليه، وتعبده للمخلوقين[١]، للفرق بين المطيعين والعاصين، وأرسل المرسلين مبشرين ومنذرين، وأكمل به الحجة على جميع العالمين ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ(٤٢)﴾ [الأنفال].

باب الرد على الفضائية، والدليل على حدث الفضاء ونهايته

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهما السلام-: إن سأل بعض الملحدين فقال: ما الدليل على حدث الهواء، المكان الذي فيه الأشياء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على حدثه ما شاهدنا فيه من لبثه وإقامته، وقلة زواله وحركته.

فإن قال: وما في سكونه ولبثه، من الدليل على تكوينه وحدثه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أبين الأدلة وأوضحها، وأقواها في العقول وأصحها، وذلك الإقامة لا تكون إلا على وجهين، وهما عند أهل العقول فغير منكرين:

فأحدهما: إقامة لا تحصى عدد أوقاتها [ولا تعتد لكثرة سنيّها][٢] وساعاتها.

والثانية: فإقامة كانت بعد العدم، وتلك فما لا يدعى أنها توصف بالقدم.

فأما ما كان من الإقامة بعد أن لم يكن، فاستغنينا عن الدليل على حدث ساعاته لكونها بعد العدم.

وأما الإقامة التي هي ساعات لا يحصى عددها، ولا يدرك لتقدمته أمدها، فمثل إقامة الهواء، المكان الذي فيه الأشياء، وسندلك إن شاء الله على حدوثها وتبدي كليتها ولبثها.

وذلك أن ما مضى من إقامة سنيّه وشهوره وساعاته، لا يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن يكون مضى كله، وإما أن يكون مضى بعضه، وإما أن يكون لم يمض منه كل ولا

---

[١]- في (ب): وتعبد المخلوقين.

[٢]- ناقص في (ب).

بعض.

فإن قلت: لم يمض شيء من دهوره وزمنه وما لا يحصى من إقامته؛ جحدته وجحدت قدمه، وأوجبت حدوثه أو عدمه.

وإن قلت: بل مضى بعض الماضي المتقدم من الأيام؛ ناقضت بين ما نطقت به من الكلام، و لم تجد بين ما مضى فرقاً عند جميع الأنام.

وإن قلت: بل عدم كل ما مضى من ذلك وخلا، وتضمنه العدم بعد حدوثه والفناء، أوجبت أنه محدث فحدوث أوله لصحة فنائه بأجمعه كله، إذ لم تكثر الإقامة إلا بعد قلة أولها، وبعد حدوثها وفنائها كلها، وإذا صح في المعقول أن لإقامته أولاً وبدئاً فقد تقدم وخلا، فهو بأيقن اليقين محدث بحدوث إقامته، إذ لم ينفك من اقامة بكليته، وإذا صح أنه مقيم كله بذاته، وصح أنه يحدث بجميع صفاته، فقد صح بأبين البيان تناهيه وتحديده، وأن الله مخترعه ومرتبه.

فإن رجع إلى مكابرة عقله، وسأل عن المحال بفاحش جهله فقال: وما أنكرت من أن يكون الهوى قديماً قبل إقامته، أو أن يكون متحركاً في حال العدم قبل سكونه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنه لا ينفك من الإقامة أصلاً، لأنه إن تحرك فهو مقيم على الحركة ولا بد لإقامة الحركة من كثرة أو قلة، ولا بد لها من تبعيض أو كلية، ولا بد إن شاء الله من الكلام والرد على من توهم حركته في سالف الأيام، فنقول ولا قوة إلا بالله: إن قولك بحركته هو ما يدل على تناهيه وغايته، ويوضح ما قلنا به من حدوث أوليته.

وذلك أنه لو كان قبل سكونه متحركاً، ثم وجد بعد ذلك من الحركة منفكاً، لكان لتلك الحركة آخر ومنقطع، وللسكون بدء ومبتدع، وإذا صح أن لحركته انقطاعاً، ولسكونه حدثاً وابتداعاً، صح أن الحركة قد انقطعت كلها، وأبطل آخرها وأولها،

وانتفى قدمها وأزلها[1].

فإن قال: هل للفضاء حدود يتناهى إليها، وأماكن يعتمد عليها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم له حدود متناهية، وأطراف متباعدة متباينة.

وأما قولك هل له أماكن فيحتمل وجهين إما أن تكون أردت به الجهات الست، اليمين والشمال والخلف والأمام والفوق والتحت، وإما أن تكون أردت به غير ذلك مما سنذكره ونشرحه إن شاء الله ونفسره.

فإن كنت أردت ما وصفنا من الجهات، فليس جهات غيره تحويه، ولا له مكان سواه يحل فيه، لأنه لو احتاج إلى مكان، لاحتاج كل مكان إلى مكان، وهذا فيبطل غاية

---

[1] - الفضاء الذي يتحدث عنه الإمام -عَلَيْه السَّلام- ويستدل على حدوثه هو مجموع شيئين اثنين أولهما الفراغ الذي هو المسافات والأبعاد، وثانيهما الهواء الحالّ في هذا الفراغ.

وقد استدل -عَلَيْه السَّلام- على حدوث الفضاء الذي هو مجموع الشيئين بالحركة والسكون، وهما من صفات الهواء الذي يحلّ في ذلك الفراغ لا من صفات الفراغ، ولعله -عَلَيْه السَّلام- بنى على أنهما شيء واحد كما هو مذهب بعض العلماء المتقدمين، والصحيح ما ذكرناه من أنهما شيئان اثنان.

فالهواء الحال في الفراغ جسم لما يرى فيه من خصائص الأجسام كالحركة والسكون، وحلول الحرارة والبرودة فيه والرطوبة واليبوسة، وكذلك حلول الروائح الطيبة والخبيثة وكل ذلك من أعراض الأجسام وصفاتها.

أما الفراغ المحض الذي هو المسافات والأبعاد فالذي يظهر لي والله أعلم أنه ليس بجسم، وإنما هو من مقومات الجسم، بمعنى أن الجسم يتركب من شيئين:

أحدهما: المادة، والثاني الأبعاد التي هي الطول والعرض والعمق، وهاتان الصفتان هما ذاتيتان للجسم تتركب ماهيته منهما، ومن هنا قالوا في تعريف الجسم: هو الطويل العريض العميق.

فإذا قامت الدلالة على حدث الأجسام استلزم ذلك حدث الفراغ الذي هو المسافات والأبعاد والتي يعبّر عنها بالطول والعرض والعمق. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

البطلان، لما دللنا[1] عليه من حدوث الأمكنة، التي هي من الأفضاء والأهوية.

وإن أردت بالأمكنة التي ذكرت، وعنها في بدء الكلام سألت، أن الأجزاء الكبيرة منه أماكن لقليله، فقد أصبت، ولا اختلاف بين ذوي العقول فيما به نطقت، ألا ترى أن أطرافه تحوي وسطه، وأن أعلاه جهة لما دونه.

فإن قال: هل له أعلا وهل له أسفل وجوانب أم لا؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم له أعال وأسافل، وجوانب وقوابل، وكل ما ذكرنا من ذلك فهو حدود وغايات، وليس لها بعد انقطاعه جهات.

فإن قال: بين تلك الحدود مغايرة تعرف، أو هل وراء الحدود شيء للمغاير أو يوصف؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أما الحدود في أنفسها فالأعالي من الجو مغاير لأسافله، والأوساط منه فغير قوابله.

وأما سؤالك عن وراء الحدود، فليس لها وراء ولا شيء يتوهم ولا يرى، وإنما المتوهم والمرئي المعقول، هو المحدث المصور المجعول[2].

فإن قال: فهل لو أرسل الله جسماً ثقيلاً وخلاه، وأهبطه إلى أسفل الجو وأهواه، لخرج من حدود الجو إلى شيء سواه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لو كان ذلك من الله عز وجل لم يمتنع أن يوسع الله له في المحل.

فإن قال: فما تقولون لو لم يرد في محل الجسم وأهمله، وخلاه ينحدر سفلاً سفلاً وأرسله؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لو كان الله عز وجل يريد المحال، ويعبث كما توهمت في

---

[1] في (ب): لما قد دللنا.

[2] في (ب): المعقول.

الأعمال، لكان الجسم يهوي حتى يصل الحدود، ثم فيه كلام.

فإن قال: وما ذلك الكلام.

قيل (له ولا قوة إلا بالله: إما أن يرسله يخلق معه مكاناً يهوي فيه، وإما أن)[1] يمسكه في الحد الذي وصل إليه، وإما أن يهويه في غير مكان، وإما أن يرده من حيث أهواه، وإما أن يهويه في مكان لا نهاية له، وإما أن يفنيه إذا وصل الحدود ويبطله.

فإن قال[2]: إنه قد يمكن أن يخلق له مكاناً، أو يحدث فيه فناء وبطلاناً، أمكن ذلك في قدرة الرحمن، وذلك فما لا يختلف فيه عالمان ولا جاهلان.

وإن قلت: إنه قد يمكن أن يمسكه عند بلوغ حده، أو يمكن ما قلنا به من رده، أمكن ذلك في صنع الله وتقديره، ولم ينكر ذلك من تدبيره.

وإن قلت: إنه يهويه في غير مكان، فهذا القول من مسائل المحال، ومما تناقض من المقال، لأنك قلت: يهويه، فأوجبت حركته وانحداره في مكان، إذ لا تكون الحركة إلا في أماكن الجولان، ثم نقضت قولك بقولك في غير مكان.

وإن قلت: إنه يهويه في مكان لا نهاية له، فهذا من أكبر التناقض والفساد، وأعظم الكذب والجحد والإلحاد، وذلك أنك قلت يهويه في مكان لا نهاية له، وقد بينا حدث المكان وكليته، وأوضحنا نهايته وغايته، فكيف يكون المخلوق المحدَث قديماً، أو كيف يكون الحد الموجود معدوماً.

ودليل آخر: أن الله عز وجل لا يفعل فعلاً إلا لحكمته، والله يتعالى عن أغاليط الملحدين، ويتنزه عن ألاعيب المفترين.

ولولا المبالغة والنصفة للمناظر في الجدال، لما ذكرنا شيئاً مما لا يليق بالله من المحال، لكن الواجب علينا أن نبين كذب الجاحدين، ونذب عن دين رب العالمين، إذ كانت في

---

[1]- ما بين القوسين زيادة في (ب).

[2]- في (ب): فإن قلت.

الله رغبتنا، ولدينه بالمجهود نصرتنا، فنسأل الله عالم الغيب والشهادة، أن يجعل حياتنا في طاعته ما أحيانا، وأن يحشرنا مع الأبرار إذا توفانا، ونسأله عز وجل ألا يقبض أرواحنا إلا بعد رضائه عنا، وأن يجعل آخر ساعة من حياتنا في أعظم فروضه التي كلفنا، وألا يخرج أرواحنا من أجسادنا إلا في سبيله عند جهادنا، ونسأله أن يمتنّ علينا ببلاغ مكروه أعدائه، والنصر للصادقين من أوليائه، وأن يجعل نصر المحقين آخر أعمالنا، [والثواب آخر آمالنا][1] والشهادة آخر محنتنا، والمقابر أول راحتنا، وأن يغفر لنا ذنوبنا، ويثبت على دينه أقدامنا، وأن يجعل ذكره وتوحيده آخر كلامنا، والغضب له إن شاء الله آخر حقدنا، والرضاء فيه آخر ودنا، والمحبة له إن شاء الله آخر حبنا.

مسألة: فإن قال بعض الملحدين، أو سأل سائل عن رب العالمين، وقدرته في خلق المخلوقين، فقال: هل كان الله يقدر أن يخلق الهواء الذي هو محل الأشياء قبل أن يخلقه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن الله عز وجل لم يزل قادراً، وإنما تقع القدرة على المقدورات، وليس يقول أحد يعقل إن القدرة تقع على المحالات، وهذه مسألة محال، لا يفهمها أحد من الجهال، وذلك أنك جعلت الوقت قبل الهواء بقولك يخلقه قبل أن يخلقه.

لأنك إذا أردت أن يخلق الهواء قبل أن يخلقه لم يخل من أن يخلقه قبل أن يخلقه بقليل أو كثير من الأوقات، ومقادير الأزمنة والساعات، ومحال أن يكون الوقت قبل الهواء، لأنهما خلقا معاً، فكان الوقت إقامة الهواء، وجعلت أنت أيها السائل صفة الهواء قبله.

ومحال أن تكون الصفة قبل الموصوف، وإذا صح حدث الهواء بدلائل الحركة والسكون، واللذين هما الأوقات، وهما حقيقة الأزمنة والساعات، فقد صح حدث العلل والمعلولات؛ لأن كل علة أو معلول، أو دقيق من الصنع أو جليل، لا يكون إلا

---

[1] زيادة في (ب).

جسماً أو عرضاً ومتحركاً زائلاً أو ساكناً مقيماً مجتمعاً أو مفترقاً.

والعرض لا يوجد إلا في جسم، والجسم محدث، وما لا يوجد إلا بوجود المحدثات، فهو محدَث مثلها، بل هو أضعف منها، إذ كانت هي توجد بأنفسها، والعرض لا يوجد إلا بوجودها، ولا يثبت إلا بعد عدمها.

والدليل على التناهي والتحديد، فأقرب ما يكون من الحدث الموجود، وتفسير ذلك: أن الله سبحانه خلق الأشياء كلها، وإذا صح حدث جميعها، فقد تناهت بصحة ابتداع بدائعها، لأن ما صح ابتداعه، وبدأ صنعه واختراعه، فقد تناهى حدث أوله وفرغ الصانع من آخره، والفراغ نهاية.

وإنما هذا الدليل يدل على غاية الأجسام، وليس يريد بذلك انقطاع آخر الأزمان، وإنما تناهي [الأعراض من الأوقات، تناهي][1] حدوث ساعات وبطلان ساعات، وليس ينقطع حدوثها أبد الأبد، ولا يكون لحدوثها غاية تنقطع ولا أمد، ولا يقطع كرور الساعات قاطع، ولا يحد ذلك بمشيئة الواحد الأحد الجبار الفرد الصمد.

فإن قال قائل: فكيف أوجبت دوام حدوث الساعات، وكرور الأزمنة والأوقات، وقد وعد الله سبحانه بالفناء، في هذه الدنيا وحكم للآخرة بالبقاء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن الله عز وجل إنما أراد بقوله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨]، الحيوان و لم يرد بذلك الأوقات والأزمان، وهذا فمعروف بيّن غاية البيان، فيما نزل الله سبحانه من الفرقان وذلك قوله سبحانه في ملكة سبأ وما أوتيت، وما حكى عز وجل مما ملكت: ﴿**وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(٢٣)**﴾ [النمل]، وقد علم بيقين أنها لم تملك كثيراً من الأشياء من ذلك ملك سليمان وغيره، وإنما هذا القول خاص في بعض الأشياء دون بعضها.

[بيان أول المخلوقات]

---

(١)- زيادة في (ب).

مسألة: فإن قال قائل: أخبروني هل كان قبل الهواء شيء يعرف، أو يحد أو يوصف؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: قد قال غيرنا بذلك و لم يصح، فأما قولنا: فإن الهواء أول ما خلق الله سبحانه وسنبين فساد قولهم إن شاء الله وبطلانه.

وذلك أنهم زعموا أن الله حكيم، والحكيم بزعمهم لا يخلق خلقاً إلا لينتفع به فزعموا أن الواجب على الحكيم أن يخلق عاقلاً، وأن لا يخلق غيره من المنافع أولاً.

فأما قولهم: إن الله حكيم وكذلك نقول، وبذلك شهدت حكم العقول.

وأما قولهم: إن الواجب على الحكيم أن يخلق العاقل المنتفع قبل أن يخلق له المنافع، فهذا والحمد لله غير واجب على الحكيم، وقد خلق الله السماوات العلا، وغيرهن من الأرضين السفلى، قبل أن يخلق أحداً من العقلاء، فلم يدخل على حكمته في ذلك تهجين، و لم يجز عليه فيما أبرم ضعف ولا توهين، وما في تقديم المنافع قبل المنتفع من سقوط الحكمة، وأي حكمة عند من عقل أحكم من تقديم النعمة، ألا ترى إلى ما قدّم الله سبحانه للأطفال قبل خلقهم، من المراضع التي جعلها لهم، وصورها في صدور أمهاتهم، أولا ترى ما في هذا من حكمة التدبير، وبيان الصنع والنعمة والتقدير.

وفي نقض قولهم والحمد لله عندنا من الدلائل ما يكثر ويطيب، ويصح لكل عاقل لبيب، غير أنا نميل إلى اختصار الكلام، ولو رمنا شرح جميع الدلائل في صنع ذي الجلال والإكرام، لطال ذلك على أكثر الأنام، ولعسر تناوله على جميع أهل الإسلام، ولكنا نلقي إن شاء الله تعالى من ذلك بما فيه كفاية، لمن كان له بنفسه عناية؛ فرحم الله عبداً نظر لنفسه، واجتهد في طلب الدليل على ربه، وأخذ في عمارة قلبه.

وليعلم من أراد معرفة الله جل جلاله، وظهرت نعمه وأفضاله، أنه من صار إلى ذلك بنية صادقة، وعزيمة وطاعة متحققة، فهو من خاصة الله وأخلائه وأحبائه وأوليائه وخلصائه، وكفى لعبد أن يكون لله ولياً، وحبيباً مرضياً، ومن كان كذلك وعلى ما وصفنا من ذلك، فسيعلم إن شاء الله تعالى ما دام على ما وصفنا أن الله يمده من معرفته بأكثر مما يحتاج إليه، ويرزقه من حيث لا يحتسب ما كان متوكلاً عليه، ويطلعه على كثير

من الأسرار المكتوبة، ولا يحتجب عنه حقيقة علم معلومة، فلا تَزِلّ قدمه مع ذلك من الهدى، ولا يهلك إن شاء الله تعالى مع نور قلبه أبداً.

ألا ترى أن الحكيم منا لا يطلع عدوه على أسراره، ولا يخصه منه ببواطن أخباره، وإذا كان ذلك فينا موجوداً، وعند حكمائنا معايناً مشهوداً، وكان الله عز وجل أحكم منا، كان الواجب عليه أن يبعد من كان له عدواً، ولا يدفع عنه مكروهاً ولا سوءاً.

وكذلك أيضاً عند حكمائنا أن الحكيم لا يخذل له أبداً أولياء، ولا يكتمه من أسرار علمه شيئاً، ولا يقطع عنه أبداً خواص بشاراته، ويخف سرور كراماته، وإذا كان ذلك واجباً على حكمائنا فهو على الله أوجب إذ هو أحكم منا.

باب الوحدانية

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عليهم جميعاً السلام-: إن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن الله سبحانه واحد؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على وحدانية الله سبحانه تضاد الاثنين وتنافيهما.

فإن قال: وما أنكرت من اتفاقهما؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: أنكرنا ذلك لأنهما لا يخلوان من أحد وجهين: إما أن يكونا اتفقا من قبل ذلك، فإن كانا اتفقا من بعد ما تضادا فاتفاقهما ذلك حاجة وضرورة وخوف، فالخائف المضطر المحتاج مخلوق ضعيف عاجز، والخالق فلا يكون بهذه الصفات موصوفاً، ولا بمضادة الأمثال معروفاً.

وإن كانا اتفقا من قبل الإختلاف فما حداهما إلى الإتفاق؟

فإن قلت: خوفاً من الإختلاف؛ فالخائف ضعيف عاجز محتاج إلى معين وشريك، والخائف من النوازل والملمات لا يكون إلا مضطراً إلى الخوف مدفوعاً، وعن القدرة بالعجز ممنوعاً.

وإن قلت: إنهما اتفقا لغير معنى كان ذلك من أعظم العيوب، وأولى ما تنزه عنه علام الغيوب، لأن الأفعال لا تكون إلا للمعاني، أو للعبث والسفه والهوى، والخالق لا يعبث

ولا يهوى، لأنه غني عنهما، وفي ذلك من الدلائل أكثر مما ذكرنا.

باب القِدَم

فإن قال: فما الدليل على أن الله قديم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على أنه سبحانه قديم أن في كل محدَث صفة تدل على محدِثه، وبنية في حده تدل على بانيه وصانعه، وليس لله عز وجل صفة تدل على حدَثه دلالة ذات مركبة، فيدل ذلك التركيب على مركبه، وإذا كان الله سبحانه لا يوصف بصفات تدل على الحدث، فقد ثبت له القدم، وانتفى عنه الوجود بعد العدم.

فإن قال السائل: فإذا كان لا بد لكل محدث من دليل يدل على حدثه، فكذلك أيضاً لا بد للقديم من دليل يدل على قدمه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على قدمه تبارك وتعالى: أنا وجدنا المحدثات تحتاج إلى محدث أحدثها، وأن المحدث لها لا يكون محدثاً مثلها، لأنه لو كان مثلها وكان يشبهها لتعذر عليه خلق الأجسام كما تعذر عليها.

باب الصفات القديمة التي هي لله عز وجل

[الله عالم]

قال المهدي لدين الله الحسين بن القاسم -عليهما السلام-: إن سأل سائل ملحد أو قال قائل مسترشد: ما الدليل على أن الله عالم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على علمه سبحانه وجود صنعه تاماً محكماً، والحكمة لا تتم من جاهل، فعلمنا أنه عالم بكيفية الصنع قبل فعله، كعلمه به بعد جعله.

ألا ترى أن الفعل يتعذر على من يجهله، وأن الفاعل لا يقصد فعل شيء إلا وهو عالم بكيفيته بعد إكماله، وإلى ما يؤول عند تمامه واعتماله.

ألا ترى أنه لو قصده بغير علم لما تم له بجهله، والله يتعالى عن الجهل والنقصان، ويجل عن شبه من خلق من الإنسان.

ودليل آخر: أنه لا يخلو في حال فعله للمفعولات، وصنعه لما صنع من المحدثات، من

أحد وجهين مختلفين، متضادين غير مؤتلفين، لا يوجد إلى ثالث سبيل، ولا تشهد بغيرهما العقول: إما أن يكون صنعها وهو عالم بكيفيتها، وإما أن يكون صنعها وهو جاهل بصنعها لا يدري إلى ما تصير عند كمالها؟

فإن كان صنعها وهو عالم، فذلك أولى ما وصف به الرحمن، وأوضح ما شهد به البرهان.

وإن خلقها وهو لا يدري إلى ما يؤول ، فلا فرق بين الفاعل والمفعول، لأن من قصد فعل شيء بجهله، فهو متحير لا يدري كيف يفعله، ومن تحير في شيء وشك في علمه، فهو أحرى بالعجز عن فعله، فكيف يتسق له ما هو به جاهل، وعنه متحير غافل، وعن الهدى والرشد زائل، وبالجهل مستكبر ذاهل، أبخاطرٍ خطر على باله فخلا عنه ما كان من جهله، وأوضح له ما جهل من فعله، فالخاطر عرض يخطر في القلوب، ويتعالى عنه علام الغيوب، والعرض لا يحل إلا في الأجسام، وقد بينا حدثها في أول الكلام.

وإذا كان له بال يخطر عليه الذِّكر بعد نسيانه، ويتبين ما عبر عليه من شأنه، فقد عاد ثلاثة مجموعة:

أولها: الجسم القابل للأعراض، الجاهل الذي لم يخل من الحيرة والأمراض.

والثاني: جهله المركب المبني عليه.

والثالث: علمه الحادث المضطر إليه الذي لولا حدثه لما انتفع بجسمه ، ولأضره الجهل بما ركب من جِرْمه، ولوقع في أعظم الهلاك وهو لا يدري، ولكان لا يعقل ولا يعي، ولا بد لما اجتمع من الأشياء بعد افتراقه من جامع، ومفتطر عالم صانع، وهو الله العليم القدير، الواحد السميع البصير، الذي لا تحل به الآفات، ولا تغيره الأوقات، ولا ينقص ولا يزيد، ولا يبطل ولا يبيد.

[الله تعالى قادر]

وكذلك إن سأل عن القدرة **فقال:** ما الدليل على أنه قادر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على قدرته عز وجل وجود ما قدر على إيجاده،

وإحداث ما صنع من مراده، والدليل على قدم القديم، كالدليل على قدم العليم، لأنه لو خلا من القدرة لكان قبل ذلك عاجزاً ولو حدثت القدرة فيه لم يخل من أن يكون هو الذي أحدثها أو غيره.

فإن قلت: هو أحدثها لم يكن ذلك إلا بقدرة متقدمة، وإن قلت: غيره أحدث فيه القدرة جعلت له خالقاً، و لم يكن رباً ولا صانعاً، وإن أحدث فيه شيء[1] فهما شيئان مجتمعان، وقد قدمنا الدلالة على حدث الإجتماع بأبين البيان.

[الله تعالى حي سميع بصير]

فكذلك إن سأل عن الحياة فقال: ما الدليل على أن الله حي سميع بصير؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على أنه حي سميع بصير، أنه عالم حكيم قدير، ومن صح له العلم والقدرة والقدم والحكمة، فقد انتفى عنه الموت والغفلة، لأن الميت لا يكون حكيماً، وكذلك الأصم الأعمى لا يكون عليماً.

والدليل على قدم الحياة والسمع والبصر أنه لو خلا من قدمها لما كان عالماً قادراً قبل حدوثها، لأن الميت لا يكون عليماً قديراً، ولا يكون سميعاً بصيراً، ولو حدثت هذه الصفات بعد عدمها لكان لها محدثاً بخلافها.

فإن قال: أخبروني عن القدم ما هو؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين: إما أن تكون أردت قِدَمَ الله رب العالمين، وإما أن تكون أردت غيره من قِدَمَ أسنان المخلوقين، وتقادم أزمنة الأولين.

فإن كنت عنيت بسؤالك قدم الأسنان، فذلك طول الدهور والأزمان.

وإن كنت عنيت قدم الواحد الرحمن، فقدمه هو ذاته، وذاته قِدَمُه، فكذلك علمه قدرته وقدرته علمه، وكذلك القول في سمعه وبصره وحياته أنها شيء واحد هو الله عز وجل.

---

[1]- في (ب): وإذا أحدث فيه حدث.

ألا ترى أن السمع هو العلم بالأصوات، وكذلك البصر هو العلم بالمبصرات، لا أنه كما قال أهل التشبيه ذو آلات، لما في الآلات والأدوات من السكون والحركات، والحركة والسكون فمحدثان، وهما عن الله منفيان، لأنهما عرضان متداولان، وضدان متنافيان، لا يوجدان إلا في مفترق أو مجتمع، ولا يكون الافتراق والاجتماع إلا من مفرق جامع، وخالق فاطر صانع، وهذه صفات المحدثات التي لا تنفك من الأعراض، ولا تمتنع من الكلية والأبعاض، فهي غير ممتنعة من صنع صانعها، وتفريق مفرقها، وجمع جامعها، فهي لا تعرف إلا بتقدير مقدرها، ولا تنفك من تدبير مدبرها.

فجهاتها تدل على غايتها، وانقطاعها وإكمال صنعها وابتداعها وحدودها تدل على محددها، وعددها يدل على معددها، وأدواتها تدل على فاقتها، والتفضل بذلك يدل على رحمة صانعها.

فتعالى الله مولانا وسيدنا وربنا وخالقنا عما يقول المفترون، وتقدس عما يتفوه به العادلون، وينسب إليه الضالون.

[السبب في التشبيه]

وإنما تولد الشرك والتشبيه والتجوير ونفي العدل والتوحيد، من قبل الجهل بحدث العالم، ولو علموا بحدث المحدثات لما شبّهوا، ولو أيقنوا حقيقة اليقين لما ألحدوا في الله ولا كفروا.

[ثمرات المعرفة بالله]

وقد أظن إن شاء الله تعالى ظناً صادقاً، وأعلم علماً محققاً، أن مَنْ عظم يقينه بالله تبارك وتعالى لا يرغب في معصية أبداً، ولا يدخل في محظور متعمداً، ولا يخلو قلبه من الخشية والرحمة والهدى، ولا يدخل ما حيي في باب ردى.

ولقد أظن إن شاء الله تعالى أن من صار إلى ذلك فقد ظفر بأنواع الحكمة كلها، وبرئ إن شاء الله تعالى من جهلها، وعظم بالله سروره وأنسه، وهان عليه ماله ونفسه، وقلت هيبته للموت في الله ليقينه بالمعاد، ووثق بما ادخر لنفسه من الزاد، واجتهد في الله

غاية الاجتهاد، وقرب من العفو عن كل من أساء إليه، و لم تنكصه الشبهات على عقبيه، ونظر الدنيا وأهلها بعين الزوال، وأيقن عنها بالإرتحال، وأصبح للخيرات كلها أهلاً، وللدين محلاً ومعقلاً، وروى بمعرفة الله من الضما، وظفر بالغنائم العظمى.

[لماذا يعذب الله الجهال، والسبب في جهلهم]

فإن قال قائل: فلم يعذب الله الجهال على ما لم يعلموا و لم يضطروا إليه فيعرفوا؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إنما يعذبهم الله عز وجل على ترك طلب الدليل عليه، والتوصل بالفكر في صنعه إليه، والخوف منه والطمع فيما لديه، ألا ترى أنك لو خوفت بشيء من المهالك وجب عليك أن تجتهد في طلب الأمان مما خفت، وأن تحرص في نفي ما كرهت، وأن لا توانى في ذلك ولو جهلت، حتى تعلم حقيقة ما به وعدت، فعلى تفريطهم استحقوا العذاب، ولخلاف أدلتهم عدموا الصواب، ولو تمسكوا بسفن النجاة لما غرقوا في بحور العمى، ولو شربوا من علم آل نبيهم لشفوا من الضما، ولظفروا بالغنائم العظمى، ولأنارت قلوبهم لمرافقة الحكماء، ولكنهم اكتفوا بعلم أنفسهم، واستقلوا آل نبيهم، فلا يبعد الله إلا من ظلم، وعلى نفسه بالسوء اجترم، فهذا سبب هلاك الجهال، وكثير من أهل النحلة الضلال، الذين شاهدناهم في عصرنا، ورأيناهم في دهرنا.

فكم غريق شاهدناه، وضال عمي رأيناه، قد استعمل في أئمة الهدى سوء الظنون، ورضي بباطله عن الحق المبين، وأعرض عن الحكمة واليقين، يرى بجهله أنه قد هدي إلى الصواب، وأنه أولى بالحق من ورثة الكتاب، ولو علم الله عز وجل أنه في ذلك المحل لجعله قدوة لعباده، وحجة على الخلق في بلاده، ولكن الله علم بعمى قلبه فلم يجعل له حظاً في وراثة كتابه.

فرحم الله عبداً نظر لنفسه، وأعمل الفكر بقلبه، وميز ما ينجو به من عذاب ربه، وألطف النظر في طلب السلامة، من هول عذاب يوم القيامة، ومناقشة الحساب يوم الحسرة والندامة، والتمس النور في الثقلين اللذين جعلهما الله حجة باقية إلى يوم الدين، وحشر العالمين، و لم يقتصر على واحد منهما دون ثاني، ولا على ميت من آل محمد -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله- دون حي، وحذر إجحاف سؤال الرسول ومناقشته بين يدي الله في ذريته وولده، ومهجة قلبه، وثمرة فؤاده، وسلالة لحمه ودمه، الطاهرين الذين احتذوا بحذوه، وساروا بسيرته، واقتدوا به؛ فكم هالك هلك فيهم بسوء ظنه، فَضَلَّ وأضل، وحل من السخط في أعظم محل، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا(١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا(١٠٤)﴾ [الكهف]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ(٢٢٧)﴾ [الشعراء].

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي خاتم النبيين وعلى سادتنا أهل بيته الطاهرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم القيوم، الواحد الفرد الصمد القديم، المدبر الخالق القدير العليم، المنعم المفضل الجواد الكريم، البر الرحيم، الغفور المحسن الحليم، السلام المؤمن المهيمن الحكيم، الذي لا تحصى فضائله، ولا تنقطع أبداً دلائله، ولا يضل من تمسك به عن هداه، ولا يهدى إلى الحق من عاداه، ولا يرشد من خذله وأرداه، ولا يذل من والاه.

أحمده حمد من أقر بربوبيته، وأشهد ألا إله إلا هو شهادة من تخضع لعبوديته، وتعرض لعفوه ورحمته وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه، بعثه برسالته واختصه بهدايته، وانتجبه لأمانته، واحتج به على بريته، فأدى الأمانة ونصح الأمة، وأكمل الحجة، وبلغ الرسالة، جاهداً مجتهداً صابراً متعبداً، حتى أكمل الله به الدين، وأرغم به الشياطين، وأنذرَ عشيرته الأقربين، ولم تأخذه في الله لومة اللائمين؛ بل صدع بما أمر به، واجتهد في طاعة ربه حتى قبضه الله إليه، واختار ما لديه على حقيقة من دينه، وصحة من يقينه، رضياً مرضياً، زكياً هادياً مهدياً، مقرباً نجياً، ختم الله به أنبياءه، وهدى به أولياءه، وأرغم به أعداءه، وأوضح به حجته.

فلما ختم به نبوته ورفعه من الأرض وطهره، وتوفاه إليه ونشره، خلفه الله على أمته وامتن على بريته بأخيه ووصيه، وحبيبه ووليه، وخدينه وصفيه، وشفيعه ونسيبه، ووزيره وقريبه، أمير المؤمنين، وقاتل الناكثين، وسيف رب العالمين، ومردي الأوثان، وقاصم

الأقران، ومتنزل الفرسان، عن كل طامح العنان، إذا التقت صليب المـــران، المســـمى في القرآن بالإيمان، والمبشر في القرآن بالرحمة والرضوان.

ثم أكرمه الله بالوفاة وختم له بالنجاة، وألحقه بنبيه وأخيه ووليه، محمد خاتم النبيـــين، وسيد الأولين والآخرين، واحتجّ على خلقه بالسبطين الطاهرين المطهرين، ابني الرسول، وسليلي البتول، الحسن والحسين.

ثم قبضهما الله إلى رحمته وألحقهما بنبيه وأخيه ووليه، وخلفهما بعترة طيبة مرضيـــة، وشجرة مباركة زكية، وذرية هادية مهدية، يكثر عددهم.

وسنذكر إن شاء الله تعالى بعض من تجب طاعته منهم مثل زيد بن علي -رضـــي الله عنه- إمام المتقين -عليه صلوات رب العالمين-، ومثل ابنه يحيى المقتـــدي بـــه والمحتـــذي بحذوه، ومثل محمد بن عبدالله ، وإبراهيم أخيه المصممين في أمر الله، المجتهدين في طاعته، المحتسبين في مرضاته -صلوات الله عليهما ورحمته وبركته وغفرانه-، ومثل الحسين بـــن علي الشهيد المُحْرِم الباذل لنفسه في سبيل الله، المصمم الذي لم تأخذه في الله لومة لائم، فيحيى بن عبدالله بن الحسن القائم لله المحتسب، الصابر لله على الشدة والغضب، ومثـــل محمد بن إبراهيم بن إسماعيل القائم بحجة الله الجليل، فمثل القاسم بن إبراهيـــم الفـــاضل العالم الكريم، فمثل أمير المؤمنين الهادي إلى الحق المبين -صلوات الله عليه وعلـــى آبائـــه الطاهرين- فمحمد بن الهادي إلى الحق المرتضى الذي بشر به النبي المصطفى -صلوات الله عليه ورضوانه ورحمته وغفرانه ونضر الله وجهه وتقبل سعيه وعمله وحشرنا في زمرتـــه وجعلنا من حزبه-.

فهؤلاء الذين بشّر بهم الرسول صلى الله عليه وعلى أهل بيته.

اللهم إني أشهدك يا مولاي وسيدي، وأشهد حملة عرشك، وأهل سماواتك وأرضك، أني أشهد بإمامة هؤلاء الذين ذكرت في كتابي هذا، وأتولاهـــم وأوالي مـــن والاهـــم، وأعادي من عاداهم، اللهم يا مولاي إني أشهدك أني أرفض من رفضهم، أو رفض أحداً

منهم إلى يوم حشر العالمين.

وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

* * * * * *



الجزء الثاني من كتاب التناهي والتحديد فيه مسائل المحال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حسبي الله:

[هل يجوز أن يفني الله نفسه]

إن سأل بعض المشبهة الضلال، فيما يقولون به في الله ويعتقدونه من المحال، فقال: أخبروني هل لو أراد الله أن يفني نفسه أيجوز ذلك أم لا؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال باطل، لا معنى له ويستحيل أن يريد الله المحال، لأن الإرادة لا تقع إلا على الأفعال، والموت والفناء لا يقع إلا على الأجسام، ولا يدرك إلا ما كان جرماً من الأجرام، لأن الموت عَرَض يحله الله في الأشباح، والله ليس بشيء محدود، ولا غيره من العدد المعدود، وإذ لا يقع إلا على مفترق من الأشياء أو مجتمع أو متحرك أو ساكن، ولا يفنى إلا ما كان من الكل والبعض، وما لا ينفك من الطول والعرض، والله ليس بذي كل ولا بعض،ولا بذي أحوال ولا أعراض؛ لأن في ذلك من الحدث ما يدل على الخالق المحدِث[1].

[هل يجوز على الله أن يدركه بعض خلقه]

مسألة: كذلك إن سأل[2] بعض المشبهة الملحدين، الظانين بالله ظن السوء المتحيرين، فقال: أخبروني هل لو أراد الله أن يدركه بعض خلقه أيجوز ذلك أم لا؟

---

[1] - حاصل هذا الكلام أن الفناء لا يجوز ولا يصح أن يتعلق بالله تعالى لأنه تعالى ليس بجسم ولا عرض والفناء لا يتعلق إلا بذلك .

وقد قسّم العلماء المعلومات إلى ثلاثة أقسام :

١-واجب الوجود : وهو الله تعالى .

٢-ممكن الوجود : وهو الأجسام والأعراض.

٣-مستحيل الوجود : وهو نحو اجتماع النقيضين.

تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

[2] - في (ب): قال.

قيل له ولا قوة إلا بالله: وهذه المسألة أيضاً من المحال، والله لا يريد المحالات، ولا يوصف بصفات المحدثات، لأن الإبصار لا يقع إلا على مفترق من الأشياء أو مجتمع، والمفترق مفصل، لا بد له من مفصِّل، والمجتمع موصَّل لا بد له من موصِّل، والله موصل الأشياء ومفصلها، ومفرقها وجامعها، ومبتدعها وصانعها.

[هل يقدر الله أن يخلق مثله]

وكذلك **إن سأل فقال**: أخبروني عن الله هل يقدر أن يخلق مثله؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا فاسد محال لا معنى له، لأنك قلت: هل يقدر أن يخلق، فأوقعت القدرة على مخلوق، ثم نقضت قولك بقولك مثله، لأن الله خالق وهذا مخلوق، والله مدبِّر وهذا مدبَّر، والله صانع وهذا مصنوع، والله غني وهذا فقير، والله قديم وهذا محدَث، والله لا نهاية له وهذا متناهي، والله محدده ومفصله وموصله، وهو مُوَصَّلٌ مُفَصَّلٌ، وهذا من أكبر المحال، وأقبح المقال؛ فكيف يكون مخلوق خالقاً، ومحدَث قديماً، ورب مربوباً، وكيف يكون المحدَث مثل القديم، أو الخالق مثل المخلوق، أو كيف يكون الرازق مثل المرزوق.

[هل يقدر الله على خلق لا يكون جسماً ولا عرضاً]

مسألة من المحال أيضاً: وإن سأل فقال: هل يقدر الله أن يخلق خلقاً لا جسماً ولا عرضاً؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال، وليس عن المحال مسألة، لأن كل محدث فيه آثار حكمة الصانع، وذلك ما ذكرنا من الكل والبعض، والكل والبعض لا يكون إلا جسماً من الأجسام الموصوفة بالطول والعرض، فقولك هذا متناقض فاسد، لا معنى له؛ لأنك قلت: يخلق خلقاً، والخلق فهو ما ذكرنا، ثم نقضت قولك فقلت: لا جسماً ولا عرضاً، فكأنك قلت يخلق خلقاً ليس بخلق.

[بيان معنى قولنا الله ليس بجسم ولا عرض]

فإن قال: فلم زعمت أن ربكم شيء ليس بجسم ولا عرض، وقد نفيتم ما ليس بجسم

ولا عرض؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأنا نفينا أن يكون خلقاً محدثاً لا محدثاً، لأنك إذا قلت محدثاً أوجبت فيه دلائل الحدث، فإذا قلت ليس فيه دلائل الحدث نفيته، والنفي والإثبات لا يجتمعان في شيء واحد.

وأما قولك ثم نفينا عن الله سبحانه أن يكون جسماً أو عرضاً وأثبتناه شيئاً.

فالجواب في ذلك: أنا جعلناه قديماً، والقديم لا يكون محدثاً، وكذلك نفينا أن يكون المحدث ليس فيه دليل الحدث، فيكون قديماً أو عدماً، ويستحيل أن يكون القديم مُحدَثاً.

وأما قولنا: إن الله شيء، فإنما نريد بذلك إثبات الموجود، ونفي العدم المفقود، إذ ليس إلا موجودٌ ومعدوم، فالموجود شيء، والمعدوم لا شيء، فلما وجدنا الصنع علمنا أن الصانع شيء، ويستحيل أن يصنع العدم شيئاً، ويستحيل أن يصنع الجسم جسماً لما قد وصفنا.

[هل يقدر الله على خلق لا نهاية له]

مسألة: فإن سأل فقال: هل يقدر الله أن يخلق خلقاً لا نهاية له؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: مسألتك تحتمل وجهين: إما أن تكون أردت جسماً لا حدود له ولا جهات، وإما أن تكون أردت أعراض الزمان والساعات، وما وعد الله بدوامه أهل الآخرة من اتصال الأوقات.

فإن كنت أردت جسماً لا حدود له، فهذا محال، وتناقض من القول والسؤال، لأنك سألت عن الجسم المحدود، ثم نقضت بقولك الحدود.

وإن كنت أردت بسؤالك وبما ذكرت من مقالك أعراض الآخرة ودوام ساعاتها، واتصال حدوث أزمنتها وأوقاتها، فكذلك نقول إنه لا انقطاع لدوامها.

[هل يقدر الله أن يعلم]

مسألة: وإن سأل فقال: هل يقدر الله أن يعلم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا باطل، لا يجوز على الله سبحانه، وعز عن كل

شأن شأنه، قلت: هل يقدر الله أن يعلم، فجعلت العلم من المفعولات المحدثات، وأخرجته من الصفات الأزليات، والمقدور عليه لا يكون إلا من المحدثات، وذلك كعلم الإنسان المستفاد بالأفعال المدركات، والله يتعالى عن الجهل والنقصان، ويتقدس عن شبه الإنسان، وغيره من الحيوانات، وغيره من صنع الواحد الرحمن.

[هل يريد الله أن يقدر]

مسألة: فإن سأل فقال: هل يريد الله أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة من أحول المحال، وأولى ما ينزه عنه ذو الجلال والإكرام، لأنك قلت: يريد أن يقدر، والإرادة فمن المفعولات، والقدرة فمن الصفات الأزليات، ولا تكون الإرادة إلا بقدرة من قدير، لم يسبق قدرته ضعف ولا تقصير، فجعلت الصفة القديمة من المفعولات، فنقضت قولك، لأنك قلت يريد، والإرادة فهي الفعل، والفعل لا يكون إلا بقدرة، فكأنك قلت يخلق القدرة بقدرة وهذا محال متناقض، وربنا محمود.

[هل يريد الله أن يعلم]

مسألة: وإن سأل فقال: هل يريد الله أن يعلم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة تستحيل عن ربنا جل جلاله ، وظهرت نعمته وأفضاله، لأن العلم ليس بمفعول، ولا هو شيء سوى الله معقول، والإرادة على الأفعال، فلا تتم إلا بعد العلم بالأعمال.

[هل يعلم الله أن يقدر]

مسألة: فإن رجع إلى الحق ، وسأل عما يليق بالله من الصدق ، فقال: هل يعلم الله أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم هو سبحانه يعلم أنه يقدر.

[هل يقدر الله أن يريد]

مسألة: فإن سأل فقال: هل يقدر أن يريد؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم يقدر سبحانه عز وجل علمه وسلطانه، وظهر دليله وبرهانه، أن يريد لأن الإرادة فعله، والله قادر على الأفعال.

[هل يعلم الله أن يريد]

فإن قال: فهل يعلم أن يريد؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم سبحانه إنه يريد، ولا يخفى عليه شيء في سابق علمه، ما سينقص من فعله أو يزيد.

[هل يعلم الله أنه يعلم]

مسألة: فإن قال: فهل يعلم أن يعلم؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم يعلم أنه يعلم ، ولا يخفى عليه شيء من المحدثات في حال العدم[1].

[هل يقدر أن يقدر]

مسألة: فإن قال: فهل يقدر أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذا محال ؛ لأن القدرة إنما تقع على المحدثات، وليس لله عز وجل قدرتان تقع إحداهما على الأخرى فتكون واحدة في عداد المفعولات، وتكون الأخرى في عداد الصفات.

فإن قال قائل: فكيف جاز قولك: يعلم أن يعلم، ويبطل قولي: يقدر أن يقدر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: للعلة التي قد ذكرنا، وذلك أن الله عز وجل يعلم أنه عالم بكل معلوم، كما هو قادر على كل مقدور، ويستحيل قولك يقدر أن يقدر، لأن القدرة إنما تكون على الأفعال، وليس لله قدرة أخرى، فيما يعلم كل ذي عقل وحجى، إلا أن تريد بقولك يقدر أن يقدر، تريد بقولك أن يفعل المفعولات؛ فنقول: قد أصبت فيما اقتصرت عليه، و لم تخط فيما نسبت من لفظك إليه.

---

[1] في (ب): القدم.

[بيان معاني الإرادة]

مسألة: فإن سأل فقال: هل يريد أن يريد؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الإرادة قد اختلف فيها على وجهين إرادة ضمير، وإرادة فعل.

فأما الضمير فتنفى عن الله سبحانه، لما قدمنا في ذلك من البيان، وأوضحنا بمن الله من البرهان.

وأما الفعل فهو أولى ما وصف به الرحمن، وأيما قصدت فلن يخلو من أحد ثلاثة أوجه: إما أن تكون تريد أن يضمر أن يفعل، أو هل يضمر أن يضمر غير ما أضمر، أو تكون أردت تكرير القول فقط، لا غير الفعل الذي هو إرادة الله عز وجل.

فإن أردت أنه يضمر أن يفعل فهذا محال، لا يجوز على الله ذي الجلال لما قدمنا من نفي الضمير، عن الله الواحد الخبير.

وكذلك إن أردت أنه يضمر أن يضمر غير ما أضمر، فهذا من أكفر الكفر والجحدان، وأحول ما استحال على الرحمن، لأن من يحب ويهوى، ويخطر على باله الأشياء، لا يوصف بعلم ولا خبرة، ولا تدبير ولا فطرة، لأنه لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون على تلك الشهوات مجبولاً مصطنعاً، وإما أن يكون عزيزاً عن ذلك ممتنعاً.

فإن كان غير ممتنع من الخواطر والأحوال، ولا عزيزاً عن الزوال والانتقال، فذلك مضطر مفطور، ولا يمتنع من الحوادث والتدبير، ولا ينفك من صنع العليم القدير.

وإن كان عن ذلك عزيزاً، وكان من الخواطر ممتنعاً حريزاً، فقولك هذا كفر بذي الجلال، وجهل بالله الكبير المتعال.

وإن أردت تكرير القول بالإرادة، فقد[1] اخطأت في تكرير القول وترديده، في غير معنى.

---

[1]- في (ب): فقد أصبت،وأخطأت في تكرير القول وترديده.

[هل يعرف الله نفسه وكيف يعرف نفسه]

مسألة: فإن قال: أخبرني عن الله أيعرف نفسه أم ينكرها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أنه لا ينكر نفسه، لأن المنكر لنفسه الجاهل بها، إذا جهل نفسه فهو لغيرها أجهل، والله يتعالى عن الجهل والنقصان، ويتنزه عن شبه المخلوقين في كل شأن.

مسألة: فإن قال: أخبرني عن معرفته سبحانه لنفسه أهي هو أم هي غيره؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أيها السائل أن معرفة الله لنفسه هي هو.

[هل خلق الله الأشياء من شيء أم لا]

مسألة: فإن سأل فقال: أخبرني عن الله سبحانه أخلق الأشياء من شيء أم من غير شيء؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أنه سبحانه خلق الأشياء من غير شيء، واخترعها اختراعاً من غير بدء.

فإن قال: وما أنكرت من أن يكون خلقها من شيء قديم لم يزل فنقله إلى الحدث حتى أبان فيه صنعه، من غير أن يكون اخترعه.

قيل له ولا قوة إلا بالله: **قولك** هذا فاسد محال، لأنه لا يخلو من أن يكون نقله كله، أو نقل بعضه، أو لم ينقل منه كلاً ولا بعضاً.

فإن قلت: لم ينقل كله ولا بعضه، نفيت ما عنه سألت وجحدت.

فإن قلت: بل نقل كله أو بعضه أوجبت بأبين البيان حدوثه، ونفيت أزله وقدمه، لأنا قد بينا حدث الكل والبعض فيما تقدم من كلامنا، وأوضحناه في أول كتابنا، وإذا صح أن الأصل كل أو بعض، صح أن ذلك لا يكون إلا جسماً، وقد تقدم من قولنا أن الأجسام محدثة، وإذا كانت أصول الأشياء محدثة ، فقد فسد قولك من نقلها واصطناعها، وصح قولنا في اختراعها، وإحداث أصولها وابتداعها.

[هل يقدر الله على الظلم وإخلاف الوعيد]

مسألة: فإن قال: أيقدر الله أن يظلم عبيده، ويخلف وعده ووعيده؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: نعم هو قادر على ما سألت، وغير عاجز عما ذكرت، وليس كلما قدر عليه الحكيم فعله، لأنا نجد الحكيم منا مع حاجته لا يفعل القبيح لذمامته، فكيف بالحكيم الغني، لأن الفاعل لا يفعل فعلاً إلا لحاجة تدعوه إلى منفعة أو دفع مضرة، والله لا يحتاج إلى اجتلاب المنافع، ولا إلى دفع المضار والفجائع، فتبارك الله وتعالى عن ظلم عبيده، وإخلاف وعده ووعيده، وأيضاً فقد يكون الكذب والسفه والعبث من الظالمين، لغير حاجة تدعوهم إلى ظلم المظلومين.

[هل يجوز على الله العبث]

فإن قال بعض الملحدين: فما تنكر أن يعبث الله تعالى سيدنا من قول الملحدين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن عبثهم هذا الذي ذكرنا وجورهم لغير حاجة فيما قدمنا، إنما يدعوهم إليه النظر والهوى، والله تعالى عن ذلك لا ينظر ولا يهوى؛ لأن الهوى داع إلى كل منكر، ومنه تولد الظلم والبطر، والهوى فهو ضمير وخاطر، والله يتعالى عن الخواطر، لأنها شهوات لا توجد إلا في القلوب، وما يتعالى عنه علام الغيوب، وقد تقدم كلامنا في الجزء الأول من نفي الخواطر عن رب العالمين، وتبيين حدوث ذلك في المخلوقين.

[هل يحب الله نفسه، وبيان معنى الحب والبغض في حق الله]

مسألة: وإن سأل فقال: هل يحب الله نفسه أو بعضها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: كلامك هذا باطل محال، لا يجوز على الله لأنه غني عن الحب والبغض، لأن الحب يخرج على وجهين، وكذلك البغض، فمن الحب ما يكون ضميراً، أو نية وشهوة في القلوب مبنية، وهذا من صفات المخلوقين ، المحتاجين إلى محبة أنفسهم، المجبولين على فطرة شهواتهم.

وأما الوجه الثاني: فهو حب الله لأوليائه المؤمنين، وهو ثوابه ونعمته للمطيعين، والله غني عنه وغير محتاج إليه، لأن المحتاج إلى الرزق لا يكون إلا مبنياً على الحاجة إليه، والله

يتعالى عن الحاجة إلى الأرزاق، واجتلاب النعم والأرفاق، لأن الذي يرزق ويغتذي، لا يكون إلا مضطراً غير غني، ومن كان مضطراً فهو فقير إلى اللذات، مبني على الحاجة إلى الشهوات، والملتذ لا يكون إلا جسماً مجتمعاً متحركاً أو ساكناً، وقد بينا حدث الجسم فيما تقدم من كلامنا.

والبغض يخرج على وجهين فمن ذلك بغض الآدميين وإضمار كراهة ما يكرهون والله يتعالى عن شبه المخلوقين.

والوجه الثاني: فهو بغض الله الكافرين، وهو أليم عذابه ونكاله للفاسقين، والله ليس بذي جسم فتحله الآلام، ولا بذي جسد فتعلقه الأسقام، بل هو رب العالمين، وفاطر السماوات والأرضين، فتبارك وتعالى عما يقول الظالمون، وتقدس عما يتفوه به الجاهلون، وتنزه عما يقول المفترون.

[هل يكرم الله نفسه]

مسألة: وكذلك إن سأل فقال: أيكرم الله نفسه أم يهينها؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: من المسألة ما هو من المحال، ومنها ما يليق بالله ذي الجلال؛ لأن الكرامة على **وجهين:** كرامة تنزيه عن الظلم والعدوان، وذلك أولى ما وصف به الرحمن، فهو يكرم نفسه عن ذلك جل جلاله، وكَرُمَت عن الجور والدناءة أفعاله.

والوجه الثاني: فكرامة النعيم، وما يتعالى عنه الواحد القديم، وهذه الكرامة فتستحيل عن الله الرحمن الرحيم.

وكذلك الهوان على وجهين يستحيلان عن الرحمن، **فوجه:** هوان دناءة الأفعال والجور والسفه في الأعمال، وذلك منفي عن الله ذي الجلال.

والوجه الثاني: فهوان العذاب الأليم ، وما جعله الله ضد الرحمة والنعيم، وهو مما يستحيل على الخلاق العليم، لأن الألم لا يحل إلا في الأجسام، وذلك فيتعالى عنه ذو الجلال والإكرام.

[هل يقدر الله على تعليم بعض خلقه جميع علمه]

مسألة: وكذلك إن سأل فقال: هل يقدر الله أن يعلم بعض خلقه جميع معلوماته؛ فإن قلتم: يقدر فقد صار غيره في العلم مثله، وإن قلتم لا يقدر عجّزتموه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: هذه مسألة متناقضة لأنك قلت: هل يقدر أن يعَلّم بعض خلقه جميع ما يَعْلَمه، فجعلت لمعلومه جميعاً والجميع يتناهى، ومعلوم الله لا يتناهى ولا يحد، ولا يحصى أبداً ولا يعد، فالنقض لمسألتك أتى من عندك لما في مسألتك من تناقض قولك، ألا ترى أن الله من معلوم نفسه وليس له جميع فيكون محدوداً، وليس بعدد فيكون معدوداً، فكيف تريد أن يُعَلّم خلقه نفسه، ونفسه تُعْلَم ولا تُدرك بغير الأدلة، ولا تُفهم لأنها نفس ليست من الكل والأبعاض، ولا من الأجسام والأعراض، وسؤالك فإنما هو عن كل المعلومات، والكل فلا يصح إلا من المصنوعات.

[بيان عدم جواز ما تقدم من المسائل على الله تعالى]

مسألة: فإن سأل فقال: أخبروني لم زعمتم أن هذه المسائل تستحيل ، ولا تجوز أن يوصف بها الواحد الجليل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إنما استحالت هذه المسائل لتناقضها، وتكاذبها في المقال وتداحضها، لأنك أيها السائل تسأل عن الله الجليل، ثم تنقض بالقول المستحيل، وتشبه الله بالعبد الذليل، مثل قولك: هل يقدر أن يفني نفسه فجعلته ثلاثة، وإنما هو الواحد الأحد القديم، العظيم الفرد الصمد، فكأنك سألت عن مخلوق وأنت تحسبه خالقاً ، وسألت عن ثلاثة وأنت تحسبها واحداً ؛ لأن الْمُفْنِي هو الفاعل ، والْمُفْنَى هو المفعول ، والفعل هو الثالث المجعول المتوسط بين القابل والمقبول.

تم كتاب التناهي والتحديد من كلام الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وهو آخر كتاب المعجز وحسبي الله وكفى ونعم الوكيل.

تم الكتاب بحمد الله ومنه ولطفه وله الحمد كثيراً بكرة وأصيلا وذلك يوم الاثنين خامس شهر جمادى الأول / سنة سبعة وستين من بعد الألف بعناية سيدي مولاي عز

الدين محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين -حفظه الله تعالى-.

* * * * * *



كتاب الفرق بين الأفعال[1]

والرد على الكفرة الضلال، أصحاب الطبائع الملحدين الأنذال الأوباش الجهّال، أهل التكمّه في الشك والمحال.

من كلام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي العياني صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وبه نستعين:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطاهرين، الأخيار الأبرار الصادقين، ونسأل الله التوفيق لما قصدنا من الإحسان، ونعوذ به من الضلالة والجهل والخذلان.

وأشهد أنه لا إله إلا الله الحق اليقين ، الواحد الأحد الصمد المبين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفوته ووليه وخليله، بعثه بالحق هادياً إلى الرشاد، وداعياً إلى رحمة الله لجميع العباد، وزاجراً عن الجهل والغي والفساد؛ فاجتهد صلوات الله عليه غاية الإجتهاد، وأنذر جميع من حوته أقطار البلاد، حتى أتاه ما وعد الله من اليقين، بعد أن أوضح به سبل حقائق الدين، فصلوات الله عليه وعلى ذريته الصادقين، والحمد لله رب العالمين.

فلما قبضه الله إليه، واختار له من الثواب ما لديه، علم أن سيكون من عباده من يحتاج إلى الهدى، وكشف الضلالة عنهم والردى، بذوي الدين والفضل والحجى، ذرية الرسول أئمة الهدى، وأعلام الدين ومصابيح الدجا، فكشف بهم أغطية الضلال، وقمع بهم من عاند الحق من الجهال، وأهل الحيرة الكفرة الضلال، فمن طلب الحق عند غيرهم فقد جهل، ومن عاندهم فقد ضل وخذل، لأن الله لو علم أن العباد يكتفون بعقولهم لما فرض سؤال آل نبيه -عليهم السلام- فمن رام أن يكتفي عنهم بعقله، فقد وقع في ضلالته

[1] - هذا الكتاب من النسخة (ج) زيادة .

وجهله، لأنه كلف نفسه ما لا يطيق، ومن فعل ذلك منع من التوفيق، ومن لم يوفقه الله وقع في العمى لفراقه للصفوة الحكما، و لم يزدد بذلك من الحق إلا بعداً لما تكلف ونصب نفسه له من الهدى، وقد أمر أن يقصد غيره قصداً، لأن الله قد جعلهم معتمداً، و لم يأمر بقصد غيرهم أحداً؛ فالحمد لله الذي جعلنا من ذريتهم، وبحبوحة نسبهم وذروتهم.

وبعد: فلما رأينا خبط جميع الناس في الجهل والضلال، وترددهم بين هؤلاء الجهال، واختلافهم في موجدات جميع الأفعال، حدانا ذلك على تبيان جميع الأحوال، ليعمل بذلك من أراد التعلق بذي الجلال، ولا يلتفت إلى غيره من ترهات المقال، وما زخرفه الأوباش من المحال.

[أقسام فعل الله تعالى وبطلان تأثيرات الطبائع]

فأول ما نبدأ بذكره من الأفعال: فعل الله الواحد الأحد الكبير المتعال؛ فألطفوا النظر فيما يلقى إليكم من المقال؛ فنقول:

إن فعل الله يخرج على وجهين ، وينقسم في المعقول على **قسمين:**

أحدهما: فعل فعله بالإختراع يستخرج بالألباب، مثل فعله لأول ما صنع، وفطر من الأهوية وابتدع، وكذلك خلقه للسماوات والأرضين، فذلك ابتداع من أحكم الحاكمين.

والوجه الآخر: فعله بالعلل بالمعلولات، مثل إثباته للأرض بالجبال الراسيات، ومثل إحراقه للزبد بالنيران، ومثل ضربه للماء بالرياح، ومثل خلقه للحيوانات بعواقب النكاح، ومثل حياته التي أثبتها في الأجسام، وأقرها بطبائع الماء والطعام، ومثل خلقه للأشجار بما نزل برحمته من الأمطار، وحياة جميع الحيوان والثمار، وهو يقدر مع ذلك أن يخلق جميع الأشياء كخلقه للهواء والنار والماء، ولكنه أراد أن يدل ذوي الألباب على حكمته بإصلاح الأنساب بالأسباب، لأنه لا يفعل المعنى بالمعنى إلا عالم بما صنع وبنى.

فنقول: إن الله عز وجل دبر جميع مصالح العباد، بالطبائع الأربع المركبة في جميع الأجساد، لما أراد من المصالح ونفي الفساد، وهي: الحر، والبرد، واليبس، والرطوبة؛

وخالف بينها وجعلها من الأضداد، لما أراد من البيان للعباد، وقد ذكرنا ذلك في كتاب الطبائع لمن رغب في الحق والرشاد.

فأما غرضنا في هذا الكتاب فهو بيان جميع الأفعال، ونفي ما خالف الحق من المقال، وخبط هؤلاء الظلمة الجهال بما لا تنكره أبداً عقول المكلفين، ولا يقدر على دفعه أحد من الخلق أجمعين.

وأفعال الله عز وجل بالطبائع هي كما ذكرنا من حياة الأشجار بالماء، فأما التصوير فمن رب العالمين، ولا يكون ذلك أبداً من غير أحكم الحاكمين.

ووجه آخر: أن صعود الماء إلى الثمار، وعلوه مصعداً في أعالي الأشجار، لا يكون إلا من الواحد القهار، لأن الماء طُبِعَ على الإنحدار، ولم يطبع على الصعود والعلو في الأغصان، لأن ذلك لا يوجد إلا بالله الواحد الرحمن، وكذلك النطف التي في الأرحام، فتصويرها من ذي الجلال والإكرام.

وأما الغذاء بحرارة الأرحام، فهو طبيعة تفضل الله بها على الأنام، كما تفضل عليهم بالماء والطعام؛ فمن زعم أن الرحم التي صَوَّرَتْ، وأن المياه والأرضين التي قَدَّرَت، وصنعت الصورةَ ودَبَّرَتْ، فقد كفر صاغراً وأشرك، وهلك بجهله وأهلك؛ لأن فعل الماء هو الغذاء وفعل الله التصوير، وبينهما فرق عند أهل التدبير، لأن الماء يغدو بطبيعة البرد واللين، والصورة في نفسها ليس لها طبيعة غير حكمة الله الحق اليقين، لأن كل شيء في الصور يدل على الحكمة والعلم الحق المبين.

ولله عز وجل فعلان: فعل الإرادة والقصد في الأحيان، وفعل طبائع كامنة في الجمادات والأبدان، كمَّنها قبل هذا الزمان، وفي هذه الأزمان.

وأما الإرادة والقصد منه تبارك وتعالى فمثل خلقه للذكر والأنثى.

وأما الفعل الكامن فمثل طبائع الحجارة والنيران، ومثل المياه والحديد وغير ذلك من صنع الرحمن.

واختلف الناس في هذه الطبائع:

فقال بعضهم: هي تفعل بغير صانع صنعها، ولا فاطر فطرها وابتدعها، وهم الملحدون ، الكفرة الأنجاس الجاحدون، وقد رددنا عليهم في كتاب الطبائع وغيره ما يكتفى به عن إعادته وتكريره.

وقال آخرون من المسلمين وأولياء الله المتقين: إن الله عز وجل كمّن في هذه الطبائع خيراً وشراً، وجعل فيها نفعاً وضراً؛ فمن تناول منها شيئاً نفع به وضر، وصرفه أينما شاء من الخير والشر، مثل ما كمّن الله برحمته من طبائع أدوية الأمراض، ومما يعرض لعباده من الأعراض، فبالمشاهدة يعلم أنه ينفع ويحرك تارة، ويقطع ويكف هيجان المرة، ويقمع ويلين الطبيعة، ومنه ما يحمد، ومنه أيضاً ما يبرد، ومنه ما يحرق، ومنه ما يروح البدن، ومنه ما يعرق، وبالمشاهدة أيضاً أن من الطبائع ما يقتل ويمرض مثل ما يستعمله أعداء الله من السموم، وما قد نهى عنه الواحد الحي القيوم.

مسألة: فإن سأل سائل مسترشد، أو قال قائل متعنت ملحد: ما تقولون في المؤمنين، وأصحاب الأخدود المتقين، الذين أحرقهم أعداء الله بالنيران؟ وما قولكم في الأئمة الطاهرين الذين قتلهم أعداء الله الكافرون، وأهلكوهم بطبائع السموم، أتقولون ذلك من الحي القيوم؟ أم هو من فعل الكفرة الظالمين، الخونة الأشرار المجرمين؟

فالجواب في ذلك وبالله نستعين: أن إهلاك أصحاب الأخدود، كان بظلم أهل الكفر والعنود، و لم يكن ذلك من الله الواحد المجيد؛ فأما النار التي أحرقتهم فلم يحرقهم الله بها، وإنما أحرقهم الذين ألقوهم فيها، وإنما يعذبهم الله على حركتهم، وطرح أولياء الله في النار وإسقاطهم، وجرأتهم على الله في هلاكهم؛ فأما الإحراق في نفسه فهو من طبيعة النار، التي كمّنها الله وجعلها في الأشجار، فتناولها أعداء الله للأبرار، وذلك الحر فعل فعله الله وجعله، وصنعه للمنافع ونزله، فصرفه أعداء الله في غير طاعته، وقلبوه في سخطه ومعصيته.

وهو لا يخلو من أحد أوجه لا بد منها ، ولا منصرف أبداً في المعقول عنها:

إما أن يكون الله هو الذي أحرق أولياءه في النار.

وإما أن تكون طبيعة الحرارة من فعل الفجار، الظلمة الخونة الأشرار.

وإما أن يكون ذلك من فعل النار.

وإما أن يكون لا من فعل الله ، ولا من فعل الكافرين ، ولا فعل الطبيعة الكامنة ، ولا من فعل المقتولين.

فإن قلت: إن الله هو الذي قتل المؤمنين؛ فهذا ما لا يجوز على رب العالمين، ولا ينسبه إليه أحد من المسلمين.

وإن قلت: إن ذلك الإحراق من فعل الكافرين، فهذا ما لا يقوله أحد يعقل من الناس أجمعين، لأن الكافرين لا يقدرون على فعل الإحراق، لأن الحرارة بطبيعة من فعل الواحد الخلاق، وإنما فعل أعداء الله الحركة والسكون والضمير، والطرح لأولياء الله في النار والسعير.

وإن قلت: إن ذلك الإحراق من فعل المقتولين، فهذا أشبه شيء بقول المجانين، فلا بد من الرجوع إلى ما قلنا من فعل الطبيعة الكامنة في الأجسام التي كمّنها الله لمنافع الأنام.

فإن قال: كيف تفعل الطبيعة وهي لا تعقل ولا تغني ولا تقصد شيئاً من الأمور ولا تهتدي؟

فالجواب في ذلك وبالله التوفيق والتسديد، ومنه العون والنصر والتأييد، والقوة والهداية إلى ما نقصد ونريد: أنها تفعل بإذن الله فعل طباع الكمون، ولا تفعل فعل أهل العقول والتدبير، لأن ذوي العقول والتدبير يفعلون بالإختيار، وفعل الطبيعة بالتركيب، وإنما أنكرنا على ذوي الإلحاد أنهم أضافوا الحكمة إلى الجماد فقلنا ذلك يستحيل، ولا تقبله عن قائله العقول، لأن الجمادات لا تفعل أعاجيب التدبير، ولا يكون ذلك إلا من العليم القدير، لأنا وجدنا الحكمة التي في الجوارح، وتركيب أدوات جميع المصالح، تدل على علم الصانع.

.................[1].

الألباب مثل خلقه عز وجل للذكر والأنثى وجعله لأجسامهما صنعاً محدثـاً، ومثـل خلقه وفرقه بين الروس والأقدام، ومثل فرقه بين مخارج المـاء والطعـام، ومداخلهمـا ومجاريهما ومسيرهما في الأجسام، ومثل فرقه بين العقول والأوهـام، ومثـل تقديمـه للمراضع في صدور الإناث، لعلمه بحاجة الأطفال قبل الإحداث، ومثل هداية أطفـال البهائم إلى الرضاع لعلمه بفاقتها إلى الإلهام، ومثله صنع ذي الجلال والإكرام؛ لأن الطبائع لا تفعل أعاجيب التدبير، ولا يتم ذلك إلا بالله العليم الخبير، الواحـد الأحـد السـميع البصير، الفرد الصمد العليم القدير، مصلح الأمور بالأمور، والعالم بعجـائب التقديـر، والمحسن إلى العباد بالتصوير، وما لا يحصى من عجائب التدبير، وصلى الله على سـيدنا محمد[2] خاتم النبيين وسلم تسليماً.

* * * * * *

---

[1]- قال في الأم: المبيض منها في الأم.

[2]- في الأم: على سيدنا خاتم النبيين. من دون لفظ محمد.

كتاب الولاء والبراءة[1]

مما سأل عنه أبو عبدالله محمد بن يقضان.

من كلام: المهدي لدين الله الحسين بن القاسم صلوات الله عليه وعلى آبائه الكرام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلواته على خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين:

سألت يا أخي -تولى الله حفظك- عما أوجب الله على عباده من الولاية لأوليائه، والعداوة والمباينة لأعدائه.

والجواب في ذلك: أن الله عز وجل بين للعباد ما يأتون وما يذرون، وافترض عليهم قبول ما به يؤمرون، فكان مما أمرهم به وأوجب عليهم من أصول دينه عداوة أعدائه الأشرار، ومحبة أحبائه الأخيار، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، فوجبت موالاتهم، وقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود:١١٣]، فوجبت عداوتهم، إذ ليس من حكمة الحكيم أن يساوي بين المحسنين والمسيئين، وذلك قوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ(٣٦)﴾ [القلم].

ثم اعلم -أكرمك الله بهدايته وأتم عليك ما أولاك من نعمته- أن الهجرة واجبة على جميع المكلفين، لا يعذر الله في تركها أحداً من المخلوقين، ولها وجوه وأبواب وسنذكرها ونشرحها بعون الله ونفسرها.

ولا يجوز لأحد أن يهجر ويباين قبل الدعاء إلى الرحمن، ولا تكون الهجرة إلا بعد البيان، والتلطف والبر والإحسان، وقد روي عن النبي -صلوات الله عليه- أنه كان يقرب الناس ويدنيهم إليه ويلطف بهم ويفرش ثوبه لهم، لتكمل الحجة بذلك عليهم،

---

[1] - هذا الكتاب من النسخة (ج).

وليستعطف قلوبهم بإحسانه إليهم، وفي ذلك ما يقول الله عز وجل فيما أوحى إلى رسوله ونزل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(٣٤)﴾ [فصلت].

فإذا فعل ذلك وقربهم بالموعظة الحسنة إلى ربهم فهو مستوجب لإحسان الله وثوابه، ناج عند الله من سخطه وعذابه، فإن هم أجابوا إلى ما دعا إليه، فقد وجب حقهم على الله وعليه، وكان له عند الله كأجر كل من أجابه، وزاده الله على أجره وأثابه.

وينبغي له حينئذ ألا يحملهم فوق طاقتهم، ولا يكلفهم جميع الشرائع في آخر ساعتهم، لأن الطبيب لا يحمل على المريض ما لا يطيق، ولا يكلفه من الأدوية ما لا يليق.

وإن أبوا إلا التمادي في الضلال، واتباع الكفرة الفجرة الجهال، وجب عليه الإعراض عنهم والتنحي بجهده وطاقته منهم، وينبغي له إذا هجرهم ألا يفحش في كلامه لهم إلا أن يطلبوا قتله فيدفعهم، وإن أمسكوا عن قتاله قطعهم، ولم يجز له بعد المقاطعة أن يحل معهم، وإن نابذوه في دينه نابذهم، ولم يجز له أبداً أن يخضع لهم، وحرمت عليه مكاتبتهم، ولم يجز له أبداً مقاربتهم، وإن أقروا بفضله عليهم، فلا بأس بالبر والإحسان إليهم، ولا يحرم عليه الإنتفاع بهم إذا كان ماقتاً لهم في فعلهم، داعياً لهم طول دهره إلى ربهم، وكان مع ذلك لا يركن إليهم، ولا يأكل شيئاً من ذبائحهم، ولا يجيز شهادتهم، ولا يجيب دعوتهم، وكان يكتمهم أسراره، ويخمل عندهم أموره وأخباره، ففي أولئك ما يقول الله سبحانه وعز عن كل شأن شأنه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٩)﴾ [الممتحنة]، ففرق عز وجل بين هؤلاء الفاسقين وبين هؤلاء الظلمة المحاربين.

وإذا أعرضت عن الفاسقين وعن قربهم ، واستعنت في ساعات حوائجك بهم،

فإعراضك وموعظتك حجة لله عليهم، إذ أنت مع ذلك لا تركن إليهم، وإن هجرتهم على فسقهم و لم تستعن في حوائجك بهم، فذلك جائز لك، غير حرام عليك، حتى يرجعوا صاغرين إلى الله وإليك.

ويجب على المسلم في والديه، إذا لم يقبلا من الحق ما في يديه، أن يتباعد منهما بجهده، وكذلك من خالف الحق من أهله وولده، غير أن الله سبحانه أوجب للأبوين من الكسوة والنفقة إذا كانا فاسقين ما لم يوجب لغيرهما من الأقربين و لم يحكم به لسواهما من المخلوقين.

ويجب على الرجل في زوجته إذا لم تقبل إلى الحق، و لم ترجع من المحال إلى الصدق، أن يهجرها ملياً من الدهر أو يطلقها، ولا يحل له أبداً أن يدنو منها، إلا أن تتوب إلى الله من العصيان، وتُقْبِل صاغرة إلى طاعة الرحمن[1].

ويجب عليه في بنيه أن يؤدبهم ، ويستقبل بالنصفة قلوبهم ، ويُحبِّب إليهم الدين ويقربهم ، فإن أبوا إلا عتوهم وكفرهم ، وجب عليه أن يبعدهم ويهجرهم.

وهذا جواب ما سألت عنه من ولاية المسلمين، وعداوة أعداء الله المجرمين، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين.

قال في الأم تمّ في شهر صفر سنة (١٠٣٨) ثمان وثلاثين وألف سنة.

* * * * * *

---

[1] ما ذكره –عَلَيْه السَّلام– واضح في المعاصي التي تبلغ بصاحبها الكفر ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ**﴾ [البقرة:٢٢١]، ومعصية الزنا مثل معصية الكفر في هذا الباب لقوله تعالى : ﴿**وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(٣)**﴾ [النور]، أما ما سوى ذلك من المعاصي ففي وجوب مفارقة العاصية وتطليقها نظر إذ لم يأت دليل يدل على ذلك ، والله أعلم. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

كتاب الأدلة[1]

للإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي عَلَيْه السَّلام.

بسْم اللّه الرَّحْمَن الرَّحيم

قال الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي -عَلَيْه السَّلام-: إن الله جل جلاله خلق الخلق لإظهار حكمته، ودلهم على نفسه بآثار صنعه، وجعل أقرب الأدلة عليه لخلقه ما ركب فيهم من عجائب فعله، فكل ما فطر فهو دليل عليه، وهاد جميع العباد إليه؛ فالحمد لله الذي هدانا إلى معرفته، وامتن علينا بإظهار حكمته، وابتدأنا بفضله ورحمته، **وبعد:**

يا أخي -وفقك الله- فقد سألت عن أولى ما سأل عنه السائلون، وقال به في دين الله القائلون، إذ لم يوجد الله سبحانه الخلق إلا لما عنه سألت، و لم يقصد الحكمة إلا لما قصدت، من إبانة الدليل على وحدانيته، والإقرار بعد ما صنع بإلاهيته، والتوصل بذلك إلى رحمته.

فعلمتُ عند سؤالك عن الدليل على الله سيدنا، أن قد وفقت إن شاء الله لسؤالنا، وحبيت منه بأفضل جوابنا، وأنور الأدلة على مولانا وخالقنا، ورأينا عند ذلك أن دلائل الله أجل من أن تحد وأكثر من أن تحصى وتعلم؛ فقصدنا من ذلك أهونه، وأيسر ما نحتاج إليه وأبينه، واستغنينا به إن شاء الله تعالى عن غيره إذ كان في قليله كفاية عن كثيره، ورجونا أن لا يعزب عنك الإختصار، وأن يمكنك بعد ذلك الإمعان والإكثار؛ فنسأل الله أن يعينك على طاعته وأن يوفقك لمرضاته.

باب الدلالة على معرفة الله سبحانه

قال -عَلَيْه السَّلام-: إن سأل سائل فقال: ما الدليل على معرفة الله سبحانه؟

---

[1] - هذا الكتاب من النسخة (ج).

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على معرفته ما صنع وخلق من بريّته وأقرب الأدلة إلى الإنسان نفسه، وذلك أنا وجدنا الإنسان نطفة من ماء مهين، ثم رأيناه بعد ذلك مؤلفاً مركباً موصلاً مفصلاً محكماً مدبراً، فعلمنا أن له مُدَبِّراً خالقاً، إذ لا بد لكل تدبير من مدبِّر، ولا بد لكل تأليف من مؤلِّف، ولا بد لكل تفصيل من مفصِّل، ولا بد لكل توصيل من موصِّل، ولا بد لكل حكمة من محكِم، كما لا بد لكل بناء من بان، ولا بد لكل كتاب من كاتب، وكما لا بد لكل أثر من مؤثر.

والدليل على حكمة الله في صنعه الإنسان: أنا نجده أجزاءً وأصنافاً، وكل صنف منه قد جعل لشيء بعينه، ولا يجعل الشيء لصلاح الشيء إلا عالم، وذلك مثل المفاصل التي جعلت للحركة، ومثل المداخل والمخارج للأغذية، ومثل العقل الذي جعل للتمييز بين الأمور، واجتلاب الخيرات ونفي الشرور، ومثل العين التي جعلت للنظر، والأذن التي جعلت للسمع، واليد التي هي للبطش، والرِّجْل التي جعلت للخطو والمسير، وغير ذلك مما لا يحصى من التدبير، ومثل خلق الأنثى للذكر، وما فطر عليه من ذلك جميع البشر، ففي هذا والحمد لله من بيان الحكمة ما لا ينكره منكر، ولا يتحير فيه متحير.

[الدليل على أن الحكمة لا تكون إلا من حكيم]

فإن سأل سائل فقال: ما الدليل على أن هذه الحكمة التي ذكرتم من صانع حكيم، ومدبر خبير عليم، وما تنكرون أن هذه الحكمة من طبع قديم؟

فسنورد عليه من القول بياناً، ونوضح له إن شاء الله هدىً وبرهاناً، فاستمعوا لجواب قوله تهتدوا، وضمنوه قلوبكم ترشدوا؛ **فنقول ولا قوة إلا بالله:**

الدليل على أن ذلك من الله سبحانه أن خلق الإنسان حكمة، والحكمة صفة حكيم، وكذلك في الإنسان آثار العلم، لأن الحكمة لا تهيأ إلا بالعلم من الحكيم، والعلم صفة عليم، وكذلك نجد في الإنسان جميع ما يحتاج إليه من المصالح، والإصلاح دليل على الرحمة، والرحمة صفة رحيم؛ فإذا كان في الإنسان آثار الحكمة و العلم والرحمة فهذه صفات الواحد الحي، لأن الطبع الميت لا يعي ولا يعقل ولا يحكم ولا يرحم، ففي أقل من

هذا دليل على الله سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه؛ وفي هذه الأحرف اليسيرة ما يقطع جميع الملحدين، ويدمغ بمن الله أقاويل الجاحدين، وفيهن ما كفى وأغنى أهل العقول عن التطويل، وعما لا يفهم من ترهات الأقاويل.

وقد زعم غيرنا أنه لا يستدل على الله إلا بالأعراض والأحوال، وأتوا في ذلك بكثير من المقال، وقد يصح بعض ذلك من غير الطرق التي ذكروا، ويستنبط من غير ما أثروا، غير أني حسبت أن ذلك يدق على كثير من المتعلمين، ويطول لو شرحناه على المسترشدين، فلا تعتمدوا من الأقاويل على ما لا يفهم، ولا تخدعوا أنفسكم بما لا يعلم، فليس بحكيم من خدع نفسه بغير مقنع من الجواب، وشغل قلبه بما لا يفهم من الخطاب، ورضي من العلوم بغير الصواب.

باب الوحدانية

[الأدلة على وحدانية الله]

قال -عَلَيْه السَّلام-: إن سأل سائل فقال: هل مع الله إله آخر؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: ليس مع الله إله ولا شريك ولا مثيل، ولا نظير ولا شبيه ولا عديل.

فإن قال: وما الدليل على صحة ما ذكرت؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: الدليل على ذلك أنهما إذا كانا اثنين لم يخلوا من أحد **وجهين:** إما أن يكونا مجتمعين، أو مفترقين.

فإن كانا مجتمعين: فهما جزءان ملتزقان.

وإن كانا مفترقين فهما جزءان مفترقان.

وإن اجتمعا أو افترقا فهما مخلوقان؛ لأن الإفتراق والإجتماع لا يكونان إلا في الأجسام، وما يتعالى عنه ذو الجلال والإكرام، لأن المجتمع موصل لا بد له من موصِّل، والمفترق مفصَّل لا بد له من مفصِّل، والله موصِّل الأشياء ومفصلها، وخالق الأجسام وجاعلها، ومفرقها وجامعها، ومبتدعها وصانعها.

باب الصفات

قال -عَلَيْه السَّلام-: اعلم أن صفات الله على وجهين: صفات قديمة، وصفات محدثة.

فأما الصفات القديمة: فالعلم، والقدرة؛ والعلم والقدرة فهما الله عز وجل. وكذلك القول في حياة الله عز وجل إنما هي الله وحده لا شريك له[1].

قال -عَلَيْه السَّلام-: وأما الصفات المحدثة: فالإرادة، والمشيئة، والسخط والرحمة، والبغض والمحبة؛ فالإرادة هي المشيئة والمشيئة هي الإرادة المعنى واحد، والإرادة فهي المراد وهو الفعل لا غير ذلك.

والسخط: فهو البغض، وهو الغضب، وهو العقاب، المعنى في ذلك كله واحد.

والرحمة: فهي الرزق، وهي الرأفة، المعنى واحد وإن كثرت الأسماء.

والمحبة: فهي الثواب والتوفيق والتسديد.

والدليل على أن العلم والقدرة والحياة هي الله عز وجل: أن هذه الصفات قديمة وليس

---

[1] حاشية: اعلم أن في أقوال الأئمة -عليهم السلام- أن صفات الله القديمة هي ذاته وما ذكروا من القسمة والتعديد الواقع على لفظ الصفات فتنة فاتنة لثلاثة: الأول: رجل قصر فهمه وفكره عن معرفة الفرق والتمييز بين العقل والوهم في النظر، وبين الحقيقة والمجاز في الألفاظ، وبين الحق والباطل في المعاني.

والثاني: رجل تعلم في التوحيد مع بعض المخالفين فيه للأئمة من علماء العامة الذين منهم من يجعل صفات الباري سبحانه أشياء غير ذاته، ومنهم من يجعلها أموراً زائدة على ذاته، لا هي هو ولا غيره، ولا شيء ولا لا شيء، ومنهم من لا يثبت الوصف ولا ينفيه.

والثالث: رجل رافضي يتتبع ما أشكل من أقوال الأئمة ويلزمهم خلاف ما قصدوا له من إثبات ما أثبت الله سبحانه ونفي ما نفى، وأنه سبحانه موصوف لا بصفات موجبة لوصف ولا موصوفة بأنها أمور غيره، ولا زائدة عليه ولا حالّة فيه، وقد بين ذلك الحسين -عَلَيْه السَّلام- في مواضع من هذا الكتاب وغيره، وكذلك الهادي -عَلَيْه السَّلام-.

ثمة قديم غيره عز وجل، وإذا لم يكن ثمة قديم سواه فهي الله، وفي ذلك والحمد لله من الأدلة عندنا ما يكثر لو شرحناه، ويطول به الكتاب لو ذكرناه، وفيما ذكرنا والحمد لله مقنع لكل لبيب، وكفاية لكل عبد منيب.

باب الفرق بين صفات الله وصفات خلقه

قال -عَلَيْه السَّلام-: إن الله عز وجل لا يوصف بصفات خلقه، وتفسير ذلك: أن قدرة الله هي الله سبحانه، وكذلك علمه هو، فقدرته علمه وعلمه قدرته، وقدرته حياته وحياته قِدَمه، وقِدَمه حياته، فافهم هذه الصفات الأربع فإنها هي الله وحده وإن اختلفت الأسماء الحسنى[1].

---

[1] - قد يرتبك الفكر هنا بعض الارتباك ويستبعد حقيقة هذا الكلام ، وهكذا في قوله فيما سيأتي: ليس بداخل في الأشياء ولا خارج و...إلخ ، ولتوضيح حقيقة ذلك وصحته نقول :

قد ثبت وصحّ في دين الإسلام أن الله تعالى ليس كمثله شيء و لم يكن له كفوءاً أحد وأنه ليس بينه تعالى وبين خلقه مشابهة .

وعلم الإنسان يأتي بواسطة السمع والبصر وسائر الحواس؛ أو بواسطة الفكر والنظر أو نحو ذلك من الآلات الباطنية وغيرها كالتجربة، فما حصل من العلم عن هذه الطرق احتفظ به الفكر في حافظته ليرجع إليه عند الحاجة ، وقد يتفلّت هذا العلم المخزون ويضيع فلا ينتفع به صاحبه ، فيكون علم الإنسان كالآلة يستنير بها وعلى ضوئها يصنع ويبدع ويستنفع وينفع ، وهكذا سائر صفات الإنسان فسمعه آلة ، عن طريقها يعرف الأصوات ، والبصر آلة عن طريقها يعرف الألوان وسائر المرئيات .

وقد يكتنز الفكر معلومات كثيرة في حافظته غير أنه لا يستطيع أن يستحضر من تلك الكمية الكثيرة أكثر من معلومة واحدة .

إذا عرفت ذلك عرفت أن علم الإنسان صفة اكتسبها عن طرق الفكر والسمع و...إلخ .

وقضاءً بحق المفارقة ونفي المشابهة بين الله وخلقه يجب أن نقول : إن علم الله تعالى ليس صفة اكتسابية وليس له فكر ولا سمع ولا بصر ولا...، ولا... ، عن طريقها يكتسب المعلومات ، فلم يبق حينئذ إلا أن نقول : إن علم الله تعالى صفة ذاتية ، وصفة الذات هي الذات ، وقدرة الله صفة ذاتية ، وصفة الذات هي الذات ، وهكذا سائر الصفات الذاتية .

=

وقدرة المخلوق هي غيره؛ لأن المخلوق جسم، وقدرته عَرَض، وهي قوة الجسد واستطاعة الجوارح، وكذلك علم الإنسان غيره وهو عرض، والإنسان جسم، وعلمه فهو نفسه بما جلبت الحواس إلى قلبه، واتصل علمه إلى عقد معقوله بعد جهله.

وكذلك إرادة الله سبحانه فهو فعله لا غير ذلك، وإرادة المخلوق محبة قلبه واهتشاش مودته وضمير قبل فعله.

ومحبة الله ثوابه، وغضبه عقابه.

ومحبة الإنسان هواه، وبغضه كراهيته؛ فاعلم ذلك وافهمه إن شاء الله.

باب نفي صفات الأجسام على الله ذي الجلال والإكرام

قال -عَلَيْه السَّلام-: اعلم أن الله سبحانه ليس بداخل في الأشياء، ولا خارج كخروج الأشياء، ولا بينه وبين خلقه مكان، ولا هو في مكان، ولا هو فوق الأشياء، ولا هو تحت الأشياء، ولا يحيط بالعالم كإحاطة الإناء بالماء وغيره من الأشياء.

وإنما معنى قول الموحدين أنه فوق الأشياء: أنه قاهر غير مقهور، وغالب غير مغلوب، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام:١٨].

ومعنى قولهم إنه في كل مكان: يريدون بذلك أنه مدبر في كل الأماكن، عالم فليس يخلو جميع الخلق من علمه وتدبيره، وذلك قوله سبحانه: ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾ [المجادلة:٧].

ومعنى قولهم أنه محيط بخلقه: يريدون بذلك أنه خبير بهم، عالم بجميع أسبابهم، وذلك

ويمكن أن نقول في توضيح ذلك : إن الله تعالى يسمع بدون آلة سمع ويبصر بدون آلة البصر ويقدر من غير آلة القدرة ويعلم من غير آلة العلم والواجب هو تنزيه الله تعالى عن أي مشابهة للمخلوقين ثم تسميته بما سمى به نفسه ولا يسع المكلف أن يعرف أكثر من ذلك ، ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**(١١٠)﴾ [طه]. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

قوله سبحانه: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا(٢٨)﴾ [الجن].

وأن بصره عز وجل هو سمعه، وسمعه بصره، وبصره وسمعه فهما علمه.

ومعنى السمع والبصر: فهو الله وحده، ألا ترى أنه لم يزل سميعاً بصيراً كما لم يزل عالماً قادراً، وإذا صح قِدَم السمع والبصر، فليس ثمة قديم إلا الله عز وجل فهما الله لا شريك له.

وأنه ليس بذي شخص محدود، ولا عدد معدود، ولا بذي كل ولا بعض، ولا طول ولا عرض ولا عمق، ولا لون ولا طعم ولا رائحة، ولا محبة ولا سمع ولا بصر، ولا ذوق ولا شم ولا لمس، ولا فكر ولا نفس، ولا شك ولا ظن، ولا محبة ولا بغض، ولا له صبر ولا غيظ، ولا جهل ولا خاطر، ولا يمين ولا شمال، ولا خلف ولا أمام، ولا فوق ولا تحت، ولا افتراق ولا اجتماع، ولا حركة ولا سكون، ولا ارتفاع ولا اتضاع، وأنه بخلاف كل ما وقع عليه وهم، أو أدركه ظن، وأنه لا يخطر على القلوب، وأنه لا يُعرف بشيء من الأشياء إلا بأن لهذا الصنع صانعاً ليس له شبيه ولا مثيل، ولا نظير ولا عديل.

قال -عَلَيْه السَّلام-: وإنما نفينا عنه هذه الصفات لأنها من صفات الأجسام، المتعلقة بالصور والأجرام، والخالق لا يشبه صنعه؛ لأنه تعالى عن ذلك لو أشبهه لكان محدَثاً مصنوعاً مثله، ولو كان محدَثاً لكان مربوباً، ولَمَا كان خالقاً ولا رباً؛ فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

كتاب الرؤيا[1]

وقال -عَلَيْه السَّلام- في كتاب الرؤيا:

إن سأل سائل فقال: هل الله في الأماكن بذاته أم هو في الأشياء بعلمه وإحاطته..إلى قوله في الجواب: وإنما معنى قولنا إنه في الأشياء، نريد بذلك أنه مدبر في الأرض والسماء، وفيما بينهما من الأحوال، لم ينقطع من الأماكن تدبيره، و لم يعدم فعله وتقديره، وإدراكه للأشياء فهو علمه بها، وعلمه فهو قدرته عليها.

فأما من زعم أنه عالم قادر و لم يقل إن العلم والقدرة هما الذات، وكذلك ما وافقهما من الصفات، فقد جهل حقيقة العلم لتناقض قوله، ونفى إدراكه للمعلومات بجهله، وبلغ الغاية في مكابرة عقله؛ لأنه قد أقر لله بإدراك معلوماته، إذ الدرك من أكرم صفاته، والدرك حق عند جميع ذوي الألباب ، وليس شيء غير الله رب الأرباب.

لأن الدرك يخرج على وجهين؛ فدرك من صفات المخلوقين، ودرك هو من صفات رب العالمين.

فأما إدراك العباد: فهو علمهم، وعلم العباد متعلق بهم، وهو ما ركب الله من عقولهم، وجمع بينه وبين أجسامهم، وكذلك علم حواسهم وأوهامهم.

وأما علم الله فهو ذاته، وكذلك قدرته وحياته، لأن علمه لو كان سواه لكان مجموعاً إليه، ولكان له جامع فطره عليه، ألا ترى أن من قال إنه عالم ثم قال لا علم له، فقد نقض بأبين البيان قوله، وإنما أنكروا ذلك بجهلهم، وضعف تمييزهم وعقولهم، وقد علم الله سبحانه ذلك منهم، فلم يكلهم إلى أنفسهم، بل أمرهم باتباع آل نبيهم، وسبيل هدايتهم ونجاتهم.

[هل الإنسان عقله أم جوارحه]

---

[1] - هذا الكتاب من النسخة (ج)، ويظهر منه أنه إنما نقل عن أصل كتاب الرؤيا، ولكن لم نعثر على نسخة أخرى لتكمل النقص.

وسألت يا أخي -وفقنا الله وإياك لطاعته، وأعاننا على اتباع مرضاته- عن الإنسان المخاطب المأمور، المتعبد في جميع الأمور، المكافأ على البر والفجور، أهو العقل أم الجوارح؟

والجواب في ذلك: أن العقل حجة تعبد الله الخلق بعد كمالها، وأثاب وعاقب البرية بفعالها.

فأما العقل فلا يقع عليه الثواب والعقاب، وإنما هو شاهد على الخطأ والصواب، وإنما يقع الثواب والعقاب على الجسم والروح إذا اجتمعا، وعلى الروح وحده وإن لم يكونا معا؛ فأما الجسم الموات فلا يعقل إذا فارقته الحياة.

[ما هي الرؤيا؟ وهل هي من الله؟ وهل تصح من الشيطان]

وسألت -تولى الله حفظك ، ووفر في الثواب الجزيل حظك- عن الرؤيا التي يراها المؤمنون والكافرون، وكيف تلتقي الأرواح، وهل تكون الرؤيا شيء ليس من الله سبحانه؟ وهل يصح من الرؤيا ما هو من الشيطان؟

فذكر في الجواب: أن الرؤيا من الله وحده؛ لأن الرؤيا إنما تكون عند خروج الأنفس مع الأرواح، وخروج الأنفس من القلوب، فلا يتم إلا لعلام الغيوب.

والروح فهو خلق لطيف حجب الله فهمه، ولا سبيل إلى علم ما أخفى الله علمه، وإلا فأين من يفهم كيفية خروجه، ورجوعه في البدن وولوجه، وكيف خرجت الأنفس والعقول معه من الأجساد؟ وأين مخرجه من أجسام العباد؟ وكيف لا يعقل الروح نفسه عند هجوم المنام؟ وكيف يرجى ويترك في جميع الأنام؟ حتى لا يعقل في أكثر الليالي والأيام؟! وما جعل الله سبحانه من حياة الأرواح وكمالها، وتوصيل جوارحها واعتدالها، فلا يتم إلا بلطف مدبرها وجاعلها، ومفتطرها وفاعلها، لما فيها من صنعه وتدبيره، وبيان حكمته وتصويره.

وأما الريا التي يراها المخلوقون ، ويفهمها المؤمنون والكافرون: فهي أخبار من الله وكرامة للصالحين، وحجة على الظلمة الفاسقين، لأن إعلامه لهم بالحوادث قبل كونها،

دليل على علم المخبر بها، ولأولياء الله وأصفيائه من عجائب الرؤيا ما ليس لأعدائه، وذلك خاصة منه لهم، وإجابة لدعواتهم عند سؤالهم.

وأما غير ذلك من رؤيا السرور، ومكاره ما يرى النائم من الأمور، فمنها ما يحتمل التأويل، ومنه ما هو كائن على ما يراه النائم في المنام، وذلك بإعلام الله ذي الجلال والإكرام، ولا يصح الخبر بالشيء في حال عدمه، إلا من عالم أحاط به قبل كونه، لأنه لو كان جاهلاً به لما علمه قبل حدوثه، وفي هذا دلالة على الله رب العالمين، وحكمة تفضل بها على المخلوقين.

وأما ما روي عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله الطاهرين- من قوله: ((إن الحلم من الشيطان)) فإنما أراد بذلك أن الله سبحانه أطلع العباد في المنام على أفعال الشياطين ليجتنبوها، وليتعوذوا بالله منها ولا يقربوها، لأنها لا تضر من أخلص التوبة إليه من أفعالهم، واستعاذ به من سوء أعمالهم[1].

* * * * * * *

---

[1] - ذهب الإمام -عَلَيْه السّلام- أن الرؤيا كلها من الله سواء أكانت رؤيا سرور أم مكاره أو رؤيا مؤمن أم كافر وفاسق، والذي يظهر والله أعلم أن الرؤيا التي من الله هي الرؤيا الصالحة من المؤمن، أو التي يراها المؤمن لأخيه المؤمن، بدليل ما سيذكره الإمام من بعد من رواية الهادي -عَلَيْه السّلام- : ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))، ((الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)).

ولا مانع من تمكن الشياطين من التلاعب بخيالات النائمين ولا بعد في ذلك فقد يتحدث المتحدثون عند النائم فيرى حديثهم في نومه على صورة الرؤيا.

وعلى هذا فقد تأتي الشياطين فيتحدثون عند أذن النائم فيتصور له حديث الشياطين بصورة الرؤيا، وبمعرفة هذا يمكننا تفسير الحديث الآتي: ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)). تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

وقال -عَلَيْه السَّلام- في كتاب[١]:

الرد على من أنكر الوحي بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين

فليس يدعي النبوة إلا كاذب في المقال، متكمه في الضلال؛ لأن الله ختم به نبوته، وأكمل به حجته؛ فلما قبضه الله إليه، واختار له ما لديه، خلفه في أمته بأخيه وذريته، وجعلهم هداة بريته، فهم خلفاء الله في خلقه وأمناؤه على وحيه، لا يسلم أحد إلا بولايتهم، ولا يهلك إلا بعداوتهم؛ فنعوذ بالله من الهلكة في الدين، واتباع مردة الشياطين، فقد جهل الحق من جهلهم، وعادى الله من جهل فضلهم، إذ هم فرع الرسول، وسلالة البتول، وخيرة الواحد الجليل.

وليعلم من سمع قولنا، وفهم تأويلنا، أن الوحي الذي ذكرنا فيما تقدم من كلامنا أن الله ختمه بنبينا هو هبوط الملائكة وما كان يسمع موسى من المخاطبة، فذلك الذي ختمه الله وقطعه بعد محمد -صلوات الله عليه- لأنه علم أنه أفضل الآدميين، ففرق بينه وبين أهل بيته أجمعين، بأن جعلهم له تابعين، وبشريعته مقتدين، ولو علم في ذريته أفضل منه لأزاح ختم النبوة عنه، ولجعل بعده أمناء مثله، ولما أبان على فضلهم فضله.

[أقسام الوحي]

والوحي فهو على أوجه معدودة، وأسباب محدودة؛

فمنه: ما يكون على ألسن الملائكة المقربين.

ومنه: ما يخلق في أسماع المرسلين.

ومنه: ما يقذف في القلوب.

ومنه: ما يرى في المنام، وكل ذلك لا يتهيأ إلا لذي الجلال والإكرام.

وأما الوحي فإنما يسمى وحياً، لأنه شيء خفي لا يسمعه إلا الموحى إليه، ولا يطلع أحد سواه عليه، لأنه سر من أسرار الحكمة، وكرامة من أجل النعمة، ولطف من أحسن

---

[١] من النسخة (ج) وهو أيضاً لم نعثر على نسخة كاملة له لتكميل النصوص.

اللطف والرحمة.

وأما خطاب الملائكة فلا يكون بعد النبي ولا يدعيه إلا كاذب من الأنام، وكذلك ما كان يسمع موسى -عَلَيْه السَّلام- من الكلام.

وأما الوحي الذي جعله الله في المنام، فلا ينقطع أبداً عن أهل الفضل والإسلام، ولأئمة الهدى من ذلك ما لا يكون لأحد من المخلوقين، ولا يمكن أن يلقى إلى أحد من المؤمنين، لأن الأئمة شركاء النبيين وفي ذلك ما يقول أمير المؤمنين الهادي إلى الحق المبين -عليه صلوات رب العالمين-: بلغنا عن رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله- أنه قال: ((الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)).

وكان يقول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((لم يبق بعدي إلا المبشرات)) قيل: ما المبشرات يا رسول الله؟ قال: ((الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)).

وكان يقول -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-: ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)) وقد فسرنا الحلم في كتاب الرؤيا بأبين البيان.

[خصوصيات وفضائل للإمام(ع)]

ولقد شاهدنا بحمد الله من عجائب الأسرار المكتومة، ما لو ذكرناه لما صدق به إلا من امتحن الله قلبه للإيمان، وإني لأحتاج إلى الحاجة فأطلبها من مولاي تبارك وتعالى فأرى في المنام قائلاً يقول: إن حاجتك التي تطلب في موضع كذا وكذا، أو عند فلان.

وربما تحيّرت في سبب فأطلب منه البيان فما ألبث في منامي إلا يسيراً حتى أرى قائلاً يقول: قد استجيبت الدعوة ثم شرح لي ذلك القائل كلما سألت عنه حتى أرى من البيان أكثر مما طلبت.

وربما أغفل عن الشيء فأرى في المنام من يقول: لا تغفل عن هذا الشيء فإن فيه خيراً ومصلحة، وإن كان شراً قال: لا تغفل عن هذا واحترز منه فإن فيه هلاكاً وشراً.

وربما أرى في المنام سراً مكتوماً، وعلماً مكنوناً مما سيكون ويحدث، من الخير والشر

والموت والقتل فيقال: سيحدث هذا الأمر في الشهر الفلاني، أو في اليوم الفلاني في أول النهار، وسيقتل فلان أو سيموت فلان، وهذا على الدوام والحمد لله، وربما أخبرت بعداوة العدو وولاية الولي، فأحترز من العدو وأنبسط إلى الولي.

وربما امتحن الله أولياءه الفينة بعد الفينة، وربما احتاج إلى معنى من المعاني فأرى صورة ذلك المعنى في المنام، وإلى ما يأول وكيف يكون، وربما أطلب من الله حاجة أجهلها، وأطلب منه بيان ما أريد من صلاحها، فإذا هجم علي النوم رأيت رجلاً يصف لي الحاجة التي أطلب ويقول: أنا أشير عليك بطلب حاجتك هذه ولكنها تعسر عليك من وجه ذا وذا، وتسهل من وجه كذا وكذا، وحاجتك هذه التي أشير عليك بها، صفتها ونعتها وحليتها كذا وكذا، أصلها كذا وكذا؛ فأنظر ذلك جهاراً على ما وصف لي في المنام.

وربما أغفل عن النعت والصفة لوجه من وجوه الحكمة، وضرب من ضروب المحنة، وربما اشتبهت علي الإجابة بالألغاز والتعريض والإشارات حتى يتبين لي الجهل من نفسي، والعجز عن إدراك مرادي، فأدعو إلى الله عز وجل: يا رب إني لم أفهم ما أوميت إليه، و لم أقف بفهمي عليه، فبين لي أمره فإني لا أقدر على فهمه؛ فإذا نمت هجم علي تفسير تلك الألغاز بأبين ما يكون من البيان، وأوضح ما يحتاج إليه من البرهان[1].

وقد يجب على العاقل إذا ورد عليه ما لا يفهمه من اللغز والإشارة والتعريض أن لا يعجل ولا يتقحم على الشبهة، فإن التقحم بغير بينة لا يؤمن معه الزلل والخطأ؛ لأني رأيت في المنام قائلاً يقول: إن من الرؤيا ما لا يتبين عند رؤية النائم، وربما رأيت شيئاً والمراد سواه.

---

[1] - لعل الذين روجوا على الإمام الحسين بن القاسم(ع) في عصره وبعد عصره بعض الدعايات استندوا إلى ما هنا ، فقالوا : إنه ادعى النبوة وأن الوحي يأتيه أو نحو ذلك مما روجوه عليه واتهموه به ، وكلامه هنا -عَلَيْه السَّلام- واضح ، ليس فيه ما يدعو إلى الريبة ، وليس فيه إلا التحدث بما أنعم الله تعالى به عليه من الرؤيا الحسنة التي جاء فيها من الأحاديث ما سبق .

ولعمري لقد جربت ذلك فربما رأيت السيد في المنام وإنما الرؤيا لعبده، وربما رأيت الأب وإنما الرؤيا لولده، وربما رأيت الرؤيا للرجل وإنما هي لسميه أو قريبه.

وليس للعاقل أن يفسر الرؤيا لنفسه ولا يعتقد ظاهر ما يرى في منامه؛ لأن الرؤيا من حكمة الله، وغور حكمة الله لا يدرك، ومن الرؤيا بيان ولغز وإشارات، وأخبار وبشارات، ومواعظ وآداب وعلامات، وليس يفسر كثيراً من الرؤيا بالوهم إلا قليل الورع جاهل أحمق، لأنك ربما رأيت شراً وتأويله خير، وربما رأيت خيراً وتأويله شر، وليس يبين الحكيم كل أموره للعباد، وليس يريد بكتمانها التعمية والتجهيل، وإنما يريد بذلك أن لا يتكلوا على البيان، فيغفلوا عن استعمال العقول، والغفلة ربما كان فيها الهلاك، وإنما يريد أن يمتحنهم بترك البيان لينظروا ولا يغفلوا، لأن الإتكال على البيان يوجب ترك النظر والبحث والطلب، وترك النظر يوجب البلادة، والبلادة توجب الوقوع في المصاب، والوقوع في المصائب يوجب الهلاك.

وترك البيان يوجب الفاقة، والفاقة توجب الخوف، والخوف يوجب الطلب، والطلب يبعث الحيلة مع التثبت والأناة والتبيين والتمييز والكشف والبحث؛ لأن الحكيم عز وجل لا يرضى بالفساد، ولا يقصده لأحد من العباد، ولا فساد أعظم من إهمال العقل، والإقامة في البلاهة والجهل، لأن في ذلك الزهد في الحكمة، ومن زهد في الحكمة فقد رضي بالضلالة، والضلالة مذمومة، ومن اختار المذموم على المحمود فقد بلغ الغاية في الخطأ.

[بيان معنى التوكل]

وقد زعم قوم أن التوكل على الله في جميع الأسباب واجب وجهلوا حقيقة التوكل؛ **وإنما حقيقة التوكل على الله** اليقين بالله، والرضى بجميع ما قدر وقضى، ولو كان التوكل هو أن يغلق المتوكل عليه بابه، ويهلك نفسه، لكان من لم يفعل ذلك غير مؤمن بخالقه، ولو جاز له أن يفعل ذلك لجاز له أن يحج إلى بيت الله الحرام بغير زاد وأن لا يستعد لأعداء الله في الجهاد، ولا يطلب العلم الذي ينجو به من عذاب الله في يوم المعاد، وإذا

صار إلى ذلك فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وخرج من الحقيقة إلى البدعة، وهذا جهل ممن ظنه وتوهمه، فضلاً عمن عمل به واعتقده، لأن الدنيا دار المحنة والحاجة، وليست بدار الآخرة والنعمة، والله يقول عز من قائل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٠)﴾ [الجمعة]، وهذا كثير في القرآن بيِّنٌ غاية البيان.

* * * * * * *



كتاب التوفيق والتسديد[1]

وقال -عَلَيْه السَّلام-: في كتاب التوفيق والتسديد والآداب

[معنى التوفيق والتسديد]

فأول ما سألت عنه التوفيق والتسديد وما حقيقتهما ومعناهما؟

والجواب في ذلك: أن التوفيق والتسديد، هما العون من الله والتأييد، فمن أعانه الله على طاعته ووفقه لمرضاته، فقد وفقه لهداه، وسدده لسبيل تقواه، ولن يوفق الله أبداً من عصاه، وأعرض عن الله واتبع هواه.

ثم يقال لمن زعم أن الله وفق العصاة قبل توبتهم، وسددهم في حال معصيتهم: أخبرنا أيها الجاهل عن التوفيق والتسديد، والعون من الله والتأييد، أهما مكافأة للعبد على طاعته؟ أم عون للفاسق على معصيته، أم تأديب من الله على غفلته لما علم من إنابته ورجعته؟

فإن قال: إنهما زيادة من الله للموقنين، ومكافأة لعباده المؤمنين، فقد أصاب في قوله.

..إلى قوله: وأصل التوفيق مأخوذ من الموافقة للصواب، وموافقة الحق في جميع الأسباب، وكذلك التسديد مأخوذ من السداد، وأصله الحق والصدق والرشاد.

..إلى قوله: واعلم يا أخي زادك الله علماً ونجانا وإياك من العمى أن التوفيق هو التسديد، وهو الهدى من الله والتأييد، وهو زيادة من الله للمهتدين، وإرشاد منه لعباده الراشدين، فمن قبل عن الله الهدى، وشكره على نعمة الإبتداء، زاده هدى إلى هداه، وبصره وآتاه تقواه.

وأول توفيق الله وتسديده، وعونه للمؤمنين وتأييده، أن يبصرهم معالم دينهم، ويزيدهم في علمهم ويقينهم، ويعينهم بلطفه على جهاد أنفسهم.

وأول خذلان الله لأعدائه تركه لهم على ضلالهم، واستدراجه إياهم بإغفالهم، فإذا

---

[1] - من النسخة (ج).

خذلهم بالترك والإغفال، لم يصيبوا رشداً في حال من الأحوال، و لم يزالوا مرتطمين في الضلال إلى آخره.

[معنى الشجاعة والجبن، وهل هما جبلّة أو اكتساب]

وسألت عن الشجاعة والجبن أهما من الله تركيب في الأجسام أم هما اكتساب من العباد؟

واعلم يا أخي أن الشجاعة على وجهين ، وكذلك الجبن أيضاً على معنيين ، فمن ذلك شجاعة المتعبدين، وشجاعة من لا يعقل من المخلوقين.

فأما شجاعة البهائم: فإلهام وتركيب من رب العالمين.

وأما شجاعة المكلفين، وإقدامهم على ما يكرهون: فهي صبر منهم لدفع ما يخافون، واجتلاب منافع ما يريدون، ولا يتم ذلك لهم إلا بما ركب الله من الإستطاعة فيهم، ولأولياء الله من الصبر والإجتهاد، ما ليس تجهله العباد، وذلك ليقينهم بالمعاد، وزهدهم في الإقامة والإخلاد.

وأما جبن البهائم وذلها: فهو محنة من الله لها، ونعمة منه لغيرها، ليثيبها على ذلك عند حشرها، وبعثها يوم القيامة ونشرها.

وأما جبن الآدميين؛ فلا يخلو من أحد وجهين:

إما أن يكون لعلة مرض أذلهم، ومنعهم من الجهاد وأملهم، وأضعفهم عن ذلك وأكلّهم.

وإما أن يكون ذلك زهداً منهم في الجهاد، وميلاً إلى الراحة والرقاد.

فإن كان ذلك لعلة مانعة، ومحنة عن الجهاد قاطعة، فلا يكلف الله سبحانه خلقه ما لا يستطيعون، ولا يسألهم ما لا يجدون؛ لأنه عز وجل أرأف وأرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم.

وإن كان ذلك منهم ميلاً إلى الفساد، وكراهية منهم لحر الجلاد، وصيانة بالأهل والأولاد، فسيفارقون صاغرين، ويرتحلون عنه مأزورين.

[معنى السخرية]

وسألت عن قوله الله سبحانه: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢]؟

والجواب في ذلك: أن الله سبحانه سخر بعضهم لبعض تسخيراً، وجعل في ذلك حكمة وتدبيراً، ولولا تسخيره لما عاش ضعيفهم مع قويهم، ولما انتفع فقيرهم بغنيهم.

[في تأثيرات الرياح هل هي من الله أم من الرياح]

وسألت عن الرياح تهب على إنسان فتسقطه في بئر أو تهدم عليه جداراً ، فيموت أذلك من الله أم هو من الرياح؟

والجواب في ذلك: أنه لا يخلو:

إما أن يكون تعرض لذلك وأهلك نفسه.

وإما أن يكون ذلك بغير كسبه؛ فإن تعرض للهلكة وألقى بنفسه إليها ، فقد أثم في نفسه واعتدى عليها، وإن كان لم يتعرض بشيء من ذلك حتى هجم عليه، وورد بغير اكتساب إليه؛ فذلك من الله سبحانه صنع وتدبير، وتهلكة لعبده وتدمير؛ فأما الجدار والرياح فلا ينسب الفعل إليهما، ولا يقال به في سبب من الأسباب عليهما.

[في ما يتلفه البَرَد]

وسألت عن الغيث والبَرَد إذا تلف منهما تالف ومات بأسبابهما؟

والجواب في ذلك: أن الله أتلفه بالبَرَد والمطر وأماته، وأذهب عمره بذلك وحياته؛ فأما الغيث والبرد فلا يعيان ولا يعقلان، ولا يقتلان أحداً ولا ينشران، ولكن أمات بهما وأحيا، ودبر بهما وهيأ، وجعل فيهما خيراً وشرا، وركب فيهما نفعاً كامناً وضراً.

[حكم من سافر إلى بلد السدم]

وسألت عن الرجل أمأثوم إذا سافر إلى بلد السدم؟

والجواب أنه إن تعمد بذلك تلف نفسه فقد أثم، وإنما السدم طبيعة حارة من جنس النار يقوى بشكلها، وتبطل بخلاف أمثالها، وإنما ركب الله أجسام العباد على أربع طبائع مختلفة، متضادة غير مؤتلفة وهي: الحر والبرد، واليبس والرطوبة، وكل طبيعة من هذه

الأربع تقوى بشكلها، وتبطل بضدها، فكل حار من الأغذية يقوي الحرارة التي في الجسد وينميها، وكل بارد من الأغذية يبطل الحرارة وينفيها، ويقمعها أبداً ويطفيها، وكذلك روي عن سيدنا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله-.

وأما ما روي عنه من المقال، بأن بلد الوباء يقرب في الآجال، فهذا فاسد من الرواية والمقال، ولكن يمكن أن يكون نهى عن بلد الوبا، لتعب الحر وأعراضه، ونكد عواقب السدم وأمراضه.

فأما الأجل فلا يقربه إلا الله عز وجل أو ظلم العباد، وتفريقهم بين الأرواح والأجساد؛ لأن الله سبحانه طبع الروح والجسم على الاجتماع والافتراق عند التغير والانقطاع، فإذا تغير الجسد خرج الروح بعد قراره وثباته، ومات الجسم وهلك بعد حياته، رحمة منه سبحانه للمخلوقين، وتنبيهاً بالضعف للغافلين، لينظروا إلى ضعف أنفسهم وأجسادهم، فيزهدوا في الدنيا باجتهادهم، ويقبلوا على طاعة ربهم، ويستعدوا للموت قبل حلوله بهم، حتى تخرج أنفسهم على أيقن اليقين، ويقفوا بين يدي الله على الحق المبين، ويسلموا بذلك من صفقة الحظ الغبين.

[في المقتول هل أجله محتوم أومخروم]

وسألت عن المقتول هل بقي من عمره شيء أم قد اخترم القاتل أجله قبل وقته؟

واعلم أن الله عز وجل خلق الحياة خلقاً وأوجدها إيجاداً فإن شاء قبض الأرواح وإن شاء تركها؛ فأما المقتول فقد علم بقتله، و لم يجعل له أجلاً بعينه، ولو حتم له أجلاً موقوتاً لبقي إلى وقته، ولما قدر أحد من المخلوقين على قتله[1].

---

[1] - للمقتول أجلان :

أحدهما: حقيقي ، وهو الذي ذكره الإمام -عَلَيْه السَّلام- وشرحه .

والثاني: أجل مقدر وهذا لم يتحدث عنه الإمام -عَلَيْه السَّلام- ، وهذا الأجل مشروط بالسلامة من القتل أو مشروط بالأخذ بأسباب السلامة ، فيقال في هذا إنه لو سلم من القتل لعاش أو إنه لو أخذ =

[في إلهام الله للهوام]

وسألت عن رجل كان يسير في طريق فلدغته حية أو غيرها من الهوام؟ وعن الجراد وأكلها للزرع أذلك من الله بإلهام أم هو من أنفس الهوام؟

والجواب في ذلك: أن الله عز وجل ألهم جميع الدواب والأنعام اجتلاب منافعها ودفع مهالكها، فإن كانت هذه العجم قصدت الملدوغ قصداً، وتعمدت هلاكه عمداً، فذلك بإلهام الله ومشيئته.

وإن كان هو الذي تعرض لها فذلك بإرادته، لأنه قصد شراً كامناً بمهجته، لأن الله عز وجل قد ألهمها نفي ما يهجم عليها، وإهلاك ما قصد إليها.

[هل مع البهائم عقول أم لا؟]

وسألت عن البهائم هل معها عقول تعقل بها وتميز ما يضرها وينفعها؟

والجواب في ذلك: أن العقول لا تنسب إلا إلى المتعبدين، ومن كان من المهتدين والضالين، ولكن الله ألهم أنفس البهائم إلهاماً، وجعل ذلك لحياتهن قواماً[1].

وسألت عن الأمراض، وما ينال الآدميين من وصب الأعراض، وذلك من الله لا شريك له وهو الذي صنع ذلك وجعله، وركبه في الأجسام ونزله.

بأسباب السلامة لسلم من الهلاك .

ودليل هذا الأجل المقدر قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا(٨٠)﴾ [الكهف]، وقوله تعالى حكاية عن نوح -عَلَيْه السَّلام-: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ(٣)يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [نوح]. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

[1] - يريد -عَلَيْه السَّلام- أن العقول من خصائص المكلفين من الملائكة والجن والإنس لأن التكليف لا يتم إلا بالعقول أما البهائم فليست من أهل العقول وإنما جعل الله تعالى لها إلهامات وإدراكات تهتدي بها إلى منافعها واجتناب مضارها. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

وأما ما يستعمله الناس من الطبائع فليس يقدرون على طبعه، وإنما يقدرون على تناوله وجمعه، وليس للعباد فعل في هذه السموم غير الحركات، ولا ينسب قتل السم إلى الجمادات، وإنما هو محنة وهلكة من الهلكات، وإنما فعل العباد تفريق وجمع، ورفع ووضع، وصلة وقطع، وطاعة ومعصية، وسكون وحركة، وضمير ونية؛ فأما الطبائع فهي من فعل الله وتدبيره، وحكمته وتقديره، ولا ينسب الفعل إليها ولا إلى جامعها، ولا يكون ذلك إلا من فعل صانعها.

[هل الجنون من الله أم من الجن؟]

وسألت عن المرض الذي يسمى الجنون أهو من الجن أم هو فعل من الله في المجنون؟

واعلم يا أخي أكرمك الله أن الجنون هو ما أجن العقل وستره، وحال بينه وبين المعقولات وغمره، ولا يكون ذلك إلا بملابسة العلل ودخولها، وجولانها في القلوب وحلولها، والجان فلا يتهيأ له الدخول، ولا تمكنه الملابسة والحلول.

[معنى المس في آية الربا]

وسألت عن قول الله مولانا الواحد الجليل وما ذكر في أهل الربا من القول: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**﴾ [البقرة:٢٧٥]؟

وهذا مثل ضربه الله لمن يعمل بالربا بالموسوس وخبله، إذ لم ينتفع و لم يزدجر عن الحرام بما ركب الله من عقله، والمسّ فهو الجنون، وإنما خاطبهم الله بما يعرفون؛ لأنهم إذا رأوا مجنوناً سموه مخبوطاً منقوصاً، وكان بذلك الاسم عندهم مخصوصاً.

[في العين هل لها تأثير أم لا؟]

وسألت أكرمك الله عن العين وما يعتقد العوام من إصابتها للبهائم الحسان والأشجار المثمرة وغير ذلك.

واعلم يا أخي أن ذلك لا يصح عند من يعقل، ولا يقول بذلك من الناس إلا من

يجهل، ولكنه ربما وافق أمر الله نظرهم، فيتوهمون أن ذلك منهم[١].

وليس يخلو نظرهم من أن يكون انتقل منه جسم إلى الشيء المعجب فلابسه، ووصل إليه ولامسه، وإما أن يكون لم يصل شيء منه إليه، و لم يقع مما توهموا عليه.

فإن قالوا: إنه خرج من أنفسهم وأعيانهم جسم أمرضه، ووصل إليه وعارضه؛ فهذا الجسم لا يخلو من أن يكون لطيفاً ، أو يكون عند خروجه كثيفاً.

فإن زعموا أنه خرج من أعيانهم وأنفسهم جسم كثيف أوجعه، وغلب الشيء المعجب وصرعه، أو أيبس الشجر وقطعه؛ فهذا محال لأن العين والنسمة ضعيفان، وهما مع ضعفهما لطيفان، وما كان من الأشياء كلها ضعيفاً، وكان مع ضعفه لطيفاً، فيستحيل أن يخرج منه جسم كثيف.

وإن قالوا: بل خرج منه جسم لطيف فليس يخرج من العين والنسمة إلا ما هو ألطف وأقل منهما وأضعف، وما كان ألطف من اللطيف ، وأقل وأضعف من القليل الضعيف، لم يذهب في الأهوية إلا ضلالاً، وكان كل ما ينسب إليه محالاً.

وقد علم كل عاقل أنصف عقله، و لم يتبع جنونه وجهله، أن ذلك لو صح لمدعيه، لما ترك على وجه الأرض أحداً يعاديه، وقد رأينا بالمشاهدة أعداءه أحسن حالاً، وأكثر منه ولداً ومالاً، فلو كان صادقاً في ما يدعي من المحال، وينتحل عند الرعاع والجهال، لما ترك أعداءه يوماً واحداً ولما ترك لهم مالاً ولا ولداً ولا أبقى في إلحاح النظر جهداً.

وقد أجمعوا على صحة هذا السبب غاية الإجماع، ولكن لا يلتفت إلى إجماع الرعاع،

---

[١] - قد جاء في العين أخبار وآثار ومنه الدعاء : ((وأعوذ بك من شر كل عين ....))، وقد جاء في القرآن ما يدل على أن الارتياح والإعجاب في حال نظر الناظرين إلى ما عند الإنسان من فضل الله سبب لزوال النعمة وفسادها وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا...﴾ [الكهف:٣٢] إلى قوله : ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ...﴾ [الكهف:٣٩]. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

لأن همج الناس لا يفرقون بين العقول والأوهام، فمن هذا الوجه لا يتكل على إجماع الطغام، ولو أجمعوا على شيء يمكن في المعقول، لما صدقناهم لما هم عليه من الغفول، فكيف بتصديقهم في المستحيل، وما لا يمكن أبداً في العقول.

[بيان العقل ومعناه]

وسألت عن العقل في ذاته: وهو عرض ركبه الله في قلوب المتعبدين، وجعله حجة على المكلفين، والعقل والنفس ضدان، وهما في القلوب متعلقان، والجسم والروح لهما موضعان، وأحقهما بحمل النفس والعقل الروح، لأن العقل والنفس روحانيان وهما في ذاتهما عرضان، والنفس تنقسم على أقسام أضداد، فمنها داع إلى الخير والرشاد، ومنها ما يدعو إلى الغي والفساد.

والعقل قسم واحد يقين، وأمين ناصح شاهد مبين.

فأما النفس فمنها الذكر والنسيان ، وهما في القلب ضدان متنافيان.

وقسم ثالث هو الشهوات للذات.

والرابع ضد الشهوة وهو الكراهية للمكروهات.

والخامس الأمان وهو السكون والاطمئنان.

والسادس ضده وهو الخوف.

والسابع من الأقسام ما يجول في النفوس من الظنون والأوهام.

والثامن ضد الوهم وهو اليقين والحق الواضح المبين.

والتاسع هو السرور والفرح.

والعاشر ضده وهو الغم والترح.

والحادي عشر الرجاء والطمع.

والثاني عشر ضده وهو اليأس.

والثالث عشر الرحمة.

والرابع عشر ضدها وهي القسوة.

وكثير من هذه الأقسام يوجد بالمشاهدة في نفس الأنعام، ولكنها تنقسم في قلوب أهل العقول على أقسام، وتخرج على وجوه نخشى فيها الإمعان في الكلام، ولا فائدة لأحد إليها من الأنام.

والنفس فهي تغلب القلوب أطواراً، وتغيره حالاً بعد حال مراراً، فمرة تدعوه إلى الصالحات، ومرة تدعوه إلى المهلكات، ومرة تدعوه إلى العقل، ومرة تدعوه إلى الجنون والجهل.

وأصل الجنون وفرعه خلق هذه الأقسام بغير عقل ولا زمام، وإذا كان العقل مع هذه الأسباب سترها، وعلا نورُه عليها فغمرها، وإذا خلت الأقسام بأنفسها من العقل، جالت في أنواع القبائح والجهل، فنستمتع الله بما وهب لنا من العقول، والحمد لله الواحد الجليل.

ثم نقول من بعد: إن الروح محل لهذه الأقسام، وأنه جسم لا يدرى ما هو من الأجسام، لأن الروح ينتقل من الموضع إلى غيره، وذلك بلطف الله وتدبيره، ولا يجوز الانتقال إلا على الأجسام وما ركب الله من الأجرام.

[كيفية مخاطبة إبليس لآدم وسوسته في الصدور]

وسألت عن كلام إبليس اللعين ومخاطبته لسيدنا آدم وغيره من النبيين -صلوات الله عليهم أجمعين- وقد حكى الله عز وجل في القرآن ما قد سمعت من قسمه لآدم وزوجه إنه لهما من الناصحين ولا يكون القسم والحلف إلا بالكلام، ولا يجوز أن يسمى القسم خاطر وهو من الأوهام، وإذا أقسم لهما فقد سمعاه، وروي في ذلك أنهما صدقاه، وحسبا أن عدو الله لا يجتري على اليمين كاذباً لما داخلهما من اليقين بالله ذي الجلال، والتوقير لذكر الله عن الكذب والمحال، حتى ظننا -صلوات الله عليهما- أن في قلب عدو الله من الخشية كالذي في قلوبهما، وإنما اغترا في حال حداثتهما وقلة تدبيرهما وتجربتهما، فلما حكمهما طول الزمان، وكثرة التجارب للأفنان، حَذرا من الغرر والجهل، واستقاما على الدين والعقل، حتى قبضهما الله إلى رحمته، وتوفاهما على طاعته.

وأما سائر الناس، وما يعارضهم من الوسواس، فأكثر ذلك من النفوس وجولانها،

وتقلب القلوب وخطرانها، وقد روي أن إبليس اللعين ربما قارب الإنسان في حال فكره، وربما قوى طبع النفس بما هو من شكله، كما يقوي الحر من النار بزيادة مثله.

وقيل أيضاً إنه كان يخاطب الناس في أول الزمان، ويدعوهم إلى العصيان، ولسنا نبالي أدعاهم أم لم يدعهم، وسواء عندنا أكلمهم أم لم يكلمهم؛ لأن ذلك لا يوجب في دين الله فساداً، ولا يضر من أولياء الله أحداً.

[في من أطاع ثم عصى ثم تاب هل يرجع له الثواب الأول]

وسألت عن رجل أطاع الله وقتاً ثم عصاه ثم تاب إلى الله ومات على تقواه هل يثاب على الطاعة التي كفر بعدها أم تبطل ولا يثاب عليها؟

والجواب أنه لا يثاب على شيء قد أبطله، وأفسده عبثاً وعطلّه، ولكن الله قد غفر له، وتاب عليه عند الرجعة وقَبِلَه[1].

[فيمن تخلى للطاعة وترك الدنيا]

وسألت عن رجل عسر عليه الإكتساب وأراد أن يتفقه في الدين، ويقبل على طلب الحق واليقين، وأعرض عن المنازل والزوجات، فلم يبن لنفسه منزلاً، ولم يتخذ من الزوجات أهلاً، أيأثم في ترك ذلك أم لا؟

---

[1]- هذه المسألة فيها خلاف بين أهل الكلام، والذي يظهر والله أعلم أنه يعود للتائب ثواب الطاعات التي أبطلتها المعصية لوجوه :

١-للأثر المشهور : ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)) .

٢-ولما روي أن رجلاً سأل النبي -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- عن أعمال برّ كان يتحنث بها في الجاهلية فقال له النبي -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّم- : ((أسلمت على ما أسلفت)) أو كما قال .

٣-لأن عودها للتائب أقرب إلى المعهود من إحسان الله وفضله .

٤-للفرق الواضح بين من أطاع الله طول عمره ثم عصاه معصية كبيرة ثم تاب منها وبين من عصى الله طول عمره ثم تاب من ذلك. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

والجواب في ذلك: أنه غير مأثوم ولا مأزور، ولكنه في حكم الله مرضي مأجور، وقد أعرض سيدنا المسيح عن ذلك واشتغل بغيره فلم ينقص الترك لذلك من أجره.

وأما ما روي عن سيدنا خاتم النبيين -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله الطاهرين- من قوله: ((لا حصر بعد يحيى ولا سياحة بعد عيسى)) فإنما أراد بذلك التخفيف عن المخلوقين، و لم يرد بذلك حظر السياحة في أرض الله على السائحين.

[في العقول هل هي متساوية؟]

وسألت عن العقول هل هي مستوية أم بينها خلاف؟

والجواب: أن اختلاف عقول الناس كاختلاف قواهم، فمن كانت قوته تبلغ أداء الفرائض وجبت عليه، ومن لم يطق فلا يكلفه الله ما يعدم لديه، ولا يصل بقوته إليه.

وإنما العقول على وجوه معروفة، وأحوال بينة موصوفة؛

منها: عقول سادتنا الملائكة المقربين.

ومنها: عقول الأنبياء المرسلين، وعقول الأوصياء المستخلفين، وعقول الأئمة الطاهرين، وبعد ذلك عقول المكلفين.

فأفضل العقول عقول الملائكة الأكرمين، ثم عقول الأنبياء أكمل من عقول الأوصياء، ثم الأوصياء أكمل من الأئمة في العقول، وأفضل في الإعتقاد والقول، ثم للسابقين من الفضيلة على المقتصدين كمثل فضل الأنبياء على الوصيين، وللأئمة المقتصدين من الفضل ما لا يكون لفضلاء المؤمنين.

وأفضل الناس كلهم فضلاً، وأكملهم ديناً وعقلاً، محمد خاتم النبيين -صلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين-.

[هل ثواب المطيع زماناً طويلاً كالمطيع زماناً يسيراً؟]

وسألت فقلت: هل يثاب من عُمِّر في طاعة الله وقتاً يسيراً كثواب من عمر في الطاعة زماناً طويلاً، وكيف يكون كمثله وتكليفه أطول كمثل نوح ومحمد صلى الله عليهما؟

والجواب في ذلك: أن أعلمهما بالله أفضلهما، وأخشاهما وأعظمهما خشية لله

أتقاهما، وأتقاهما لله أهداهما، وأهداهما إلى دين الله أحدهما، وأحد الرجلين بأجزل الثواب أولاهما، واعلم أن عقول حجج الله على قدر كلفهم، وعلى قدر منازلهم عند الله ومحنتهم.

وأما سائر المكلفين فقد اختلف القول فيهم من المتكلمين فقال قوم: إن الله ساوى بين خلقه في العقول كما ساوى بينهم في التعبد فاستعمل بعضهم عقله، وترك بعضهم النظر وأهمله، وزهد في التمييز وعطله، فأصدأ بمخالفة الله عقله، حتى صار لكثرة اللعب كمن لا يعقل.

فأما من كان مغموراً بالخبل، مطبوعاً على البلاهة والجهل، وضعف التمييز في الطبيعة والجهل، فليس يكلف الله ذلك، ولا يكون أبداً في المكابرة كذلك؛ لأنه لم يعتمد في ذلك تجاهلاً، و لم يزل عن جميع الأمور جاهلاً، و لم يكن مع الناس فهماً عاقلاً، و لم يزل عن وجوه التعبد غافلاً.

وزعم قوم آخرون أن الله خالف بين عقول العباد، ودل جميعهم على الرشاد، فذو العقل المنقوص يلحق بضعف عقله إذا سلم من الجنون، كمثل ما يلحق كامل العقل من الدين، كما أن أضعف الناس يلحق من الصلوات، وأداء جميع المفروضات، كالذي يلحق أقواهم جسداً، وأشدهم بدناً، وهذا قولهم واختلافهم.

والذي أقول أنا وأعتقد، والله الموفق والمسدد: أن من عمل على قدر عقله، وسلم من مكابرته وجهله، فهو عند الله من الناجين، ولديه إن شاء الله من المقبولين، ومن كان ضعيف العقل مغموراً بطباع الحيرة والجهل، فهو بمنزلة البهائم والأطفال، في رحمة الله الواحد المفضال.

وأما من غمر عقله باللعب والإهمال، وشبه نفسه بالبهائم في الإغفال، فهو وليس ولا كرامة من المعذورين، ولكنه عند الله من الكافرين، ولو استعمل عقله حق الإستعمال، لنال به من الخير كل المنال، ولكنه أقبل على العبث والمحال، حتى ارتطم ووقع في الضلال، وصار من أجهل الجهال، فهذا ما أعتقد وأقول، وإليه أذهب وأميل.

وأما الإختلاف والتبغيض إلى العباد، وسوء الأدب والميل إلى الفساد، والمكابرة واللجاج في الألداد، فليس ذلك من أخلاق الصالحين، ولا هو من أفعال المسلمين، ولا يجوز مقاطعة المؤمنين، إلا بكبيرة من كبائر المفسدين، إذا أقام عليها و لم ينتقل بالتوبة عنها، وقد رأيت كثيراً من المؤمنين أولياء الله المتقين، يضلون عن السبب من أسباب الدين، فينبغي للمؤمن أن لا يقاطعهم حتى يبين لهم ويرفق بهم ولا يعجل عليهم، فإن الله سبحانه لا يعذب وليه على السهو والنسيان، كما يعذب على العمد والبيان.

[الرد على الحشوية فيما زعموا على أنبياء الله من المقال]

وقد زعم بعض الحشوية أهل الضلال، الجهلة الكفرة الضُّلاّل، أن هؤلاء الجهلة لا يرجعون إلا بالإحتيال والإستدراج والنفاق والإغتيال، وأنه يجوز للإمام وغيره أن يوهمهم ويوقع في أنفسهم أنه على دينهم، حتى إذا اطمأنوا إليه وعظهم بعد أن يستميل بالتوهيم قلوبهم.

وتأولوا لعنهم الله وأخزاهم، وأضل سعيهم وأرداهم، وزادهم عمىً على عماهم، أن إبراهيم وموسى -عليهما السلام- دخلا مع قومهما في الضلال، ليخرجاهم من الفساد بالاحتيال، وزعموا أن موسى لما رأى قومه يشبهون الله قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقد علم أن الله سبحانه لا يسعده إلى ما طلب فلما لم يعطه إرادته قال لهم: يا قوم كم تطلبون رؤية الله وقد ترونه قد منعني ذلك فكيف بكم؛ فزعموا أنه ردهم بهذه الحيلة عن التشبيه.

وزعموا أن قوم إبراهيم لما عبدوا النجوم دخل معهم وقال لهم لما رأى كوكباً ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦]، حتى يرجعوا معه إذا رجع ويصنعوا من التوبة ما صنع؛ فيا للحشوية الويل الطويل والغول والعذاب الجليل، أما سمعوا قول الله سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر:٩٤]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، ولئن كان الأنبياء عندهم محتالين، وبالكذب للناس مغتالين، لقد جعلوهم قدوة للمنافقين، والله يقول: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:١٠٥].

ولئن لم يرجعوا بنور الحق وبهجته، لا رجعوا بالباطل وظلمته، وضعفه وعجزه وركاكته، ولكن الحشوية عجزوا عن الحجج ونورها، فدخلوا في أبواب النفاق وزورها.

وإنما يدعى الناس بلين المراجعة في المقال، ويبين لهم فساد ما يعتقدون من المحال، ويوضح لهم ما هم عليه من الضلال، فإن أقبلوا إلى الحق ورجعوا، وصاروا إلى المؤمنين وأجمعوا، وإلا رفضوا صاغرين وقطعوا.

فيالعباد الله أترون موسى كان غبياً جاهلاً، وكان عن حجج المعقول غافلاً، حتى يقول لهم إن الأبصار لا تبلغ ولا تقع، إلا على ما يفترق من الأشياء ويجتمع، ولا ينظر بالعيان وبالأبصار، إلا ما كان في قطر من الأقطار، وما حوته الأقطار، وأدركته وعاينته الأبصار، فهو أصغر من محله وموضعه، وأقل من مهبطه ومطلعه، وما كان من الأشياء صغيراً منقوصاً، وكان بالنقص والصغر مخصوصاً، فلا بد له من صانع نقصه وأصغره، وقطع نهايته وبتره؛ فاتقوا الله يا قوم وذروا منكم التجاهل، والجنون والخبل والتغافل، وإلا فإني بريء إلى الله منكم، ومهاجر في أرض الله عنكم.

وكذلك الخليل -صلوات الله عليه- فقد كان غير غبي بالجدال، ولا حَصِرٍ بمخاصمة أهل المحال، أفهو عاجز عن أن يقول إن النجوم لا تنفك عن الحركات والمسير، والإضطرار على الحركة يدل على التسخير، مع ما فيها من عجائب التقدير، وآثار الحكمة والتدبير، وإلا فما الذي خالف بين ألوانها وهيئاتها، وفرق بين أجسامها وحركاتها، لو كانت يا قوم قديمة لاتفقت، ولما تباينت ولا اختلفت، فاتقوا الله يا قوم وخافوه، ولا تغفلوا ذكر الموت وراقبوه.

ولكن أعداء الله حسبوا وتوهموا، وتجاهلوا عن الحق فلم يعلموا، أن غضب أولياء الله لربهم أكثر من غضبهم لأنفسهم، أو ليس قد حكى الله في القرآن مجادلتهم للفراعنة الجبارين، العتاة الطغاة المتكبرين، فكيف بضعفة الإسرائيليين وغيرهم من المسكنة الضالين، وهل كانوا يضنون بأنفسهم عن طاعة رب العالمين.

وقد حكى الله عن نبيه إبراهيم من العزيمة ما ألقي لأجله في الجحيم فنجاه برحمته من

كيد الكائدين، وكذلك يجزي الله المحسنين، وأمره الله وامتحنه وابتلاه ومحصه واختبره بالعزيمة على ذبح ولده ولم يرد الله غير عزيمته، ولكنه لم يدر -عَلَيْه السَّلام- بقصد الله وإرادته، فقام -عَلَيْه السَّلام- بولده، ومهجة قلبه، وثمرة فؤاده ونفسه، ليفري أوداجه ذبحاً، طاعة لله ومسارعةً ونصحاً، مع ما هو عليه من شفقته، وكرم طباعه ورحمته، وحسن أخلاقه ومروءته، فما منعه ذلك من طرح ولده على وجه الأرض وصرعه، وعزيمته على تلفه وقطعه، وتركه يخر جبين ولده على حضيض التراب ووضعه، فلما رأى الله منه ما رأى، وإذ لا شك عنده في طاعة الله ولا امتراء، وأظهر من أمره وفضله ما كان مستوراً، أمره حينئذ بأن لا يذبح ولده، بعد ما أظهر سبحانه بهذه المحنة صبره وجَلَده، ولم يعلم -صَلَّى الله عَلَيْه- بإرادة الله فيما أوحى إليه.

وكذلك فعل بقومه وأبيه، بعد احتجاجه ولطفه وتأنيه، واستغفاره لوالده خوفاً من أن يكون من الضالين، ورجاء أن لا يكون من المتعمدين، احتياطاً منه لطلب الأمان، وخوفاً من العذاب والنيران، ﴿**فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ(١١٤)**﴾ [التوبة]، والأواه فهو المتأوه الحزين، والتأوه في ذاته فهو الأنين، والزفير والأحزان والحنين، لما دخل قلبه من خالص اليقين، ولما عرف من الحق المبين؛ فلما امتلأ قلبه نوراً وصار بذكر الله ومعرفته معموراً، حزن على نفسه عند ذلك من ذكر الموت والعذاب، وأقبل على الدين والحق والصواب، ونقّى قلبه وطهره من اللعب، وسلا عن التصابي والجهل والطرب.

[جلاء القلوب من العيوب]

ولم أر شيئاً أجلى للقلوب من العدل والتوحيد، ومعرفة الوعد والوعيد، وتلاوة القرآن، وكثرة الدعاء إلى الرحمن، فمن أراد أن ينجو عند الله من العذاب، ويسدد إلى طريق الصواب، فيتحرز من الكبر والإعجاب، ويحتسب نفسه أذل من التراب؛ فإن الله عز وجل نهى عن التكبر لما فيه من أصناف العيوب؛ لأنه أحد متالف القلوب.

وكيف يتكبر من هو ضعيف رَذِل، منقوص في جميع الأحوال نذل، وكيف يعجب

بنفس تزول عن قليل محاسنها، ويكثر وشيكاً عوائلها وحزنها، مع ما يستر دائماً من عيوبه، ويحمله على مقارنه وقريبه، إلا أن يكون قد أعجب بنفسه لكثير عمله، فهو يعلم أن حقوق الله أكثر من فعله، وأن عمله لا يقوم بنعمة من نعم مولاه، ولا بشربة ماء مما سقاه، ولا بشفاء مرضة مما شفاه، ولا بعافية ساعةٍ مما عافاه.

وأيضاً فإن الإنسان كثير الذنوب، قبيح الفعل كثير العيوب، وإن كان يعجب بشبابه فكيف يعجب بشباب يصير إلى الهرم، إن سلم أحد اليومين من الموت والسقم، والمصير إلى التفرق والعدم.

وإن كان يعجب بشجاعته، فكيف يعجب ويله لجرأته، وهو يضعف عن القملة لعجز بنيته، حتى ربما شغلته ومنعته من الفكر وقطعته.

وإن كان يعجب بنفسه لكثرة علمه وجودة تمييزه وفهمه، فكيف يعجب بنفس تجهل أكثر مما علمت، ولا تدري متى يحل بها ما كرهت، ولو علمت كل علم في الدنيا لما سلمت، وأن العلم يزول إذا عطبت.

فأول من فخر وأعجب بنفسه واستكبر، إبليس الكافر النجس الرجس، فمن اقتدى به فقد فعل فعله، وصار بذلك في حكم الله مثله، وذلك أنه فخر بالنار على الطين، وذلك فليس من فعل اللعين، وإنما فخر بالنار لحدتها وضرامتها، وعلوها في الأهوية وخفتها، وما هي عليه من قوة بنيتها، وذلك فإنما هو فعل الله لا فعله، وتقدير الله لا تقديره وحكمته وفضله.

فأما العباد فخيرهم أكرمهم طباعاً، وأسبقهم إلى طاعة الله إسراعاً، لا ينظر في الخيرة إلا إلى أفعالهم، ولا يفضلون بغير أعمالهم.

وقد رأينا من الناس من يتكبر على الجهل وهو لا يعلم، ويحمله الكبر أن لا يقول الله أعلم، ولو قتل الإنسان نفسه في طلب العلم قتلاً، لما برح ولا زال مع معرفته جاهلاً؛ فاحفظوا رحمكم الله وافهموا ولا تغفلوا عن ذلك، واعلموا أن الله سبحانه نقص العباد بأنواع من الشرور، لما في نقصهم من عجائب الأمور، ولو أتمهم وأكملهم وأغناهم، و لم

يرهم من النقص والعيوب ما أراهم، لعظم هلاكهم وعتاهم، ولقتلهم حب الدنيا وأطغاهم، ولكنه جاد عليهم بما كفاهم، ثم زجرهم ونهاهم بعد أن بصرهم هداهم، وبين لهم فجورهم وتقواهم.

[في تكليم الله لموسى (ع) والرد على الحشوية]

وسألت عن الكلام الذي سمعه موسى -عَلَيْه السَّلام-، وذكرت أن الحشوية قالوا: إن زعمنا أن الله كلمه دخلنا في مذهبهم، وإن زعمنا أن الكلام هو الذي قال لموسى أنا ربك فقد عبدنا الكلام بزعمهم؟

فقل للحشوية: إن كانوا يعقلون وكانوا ينصفون عقولهم أو يفهمون، أن الكلام ليس بخالق فيدعي الربوبية، وإنما هو عرض أوجده الله وأوصله، وخلقه في الشجرة وفعله، وخاطب نبيه به وفصله، وأما مذهبكم فلا نرجع إليه، ولا نفتري على الله كما افتريتم عليه.

ثم يقال لهم: أخبرونا عن الكلام الذي زعمتم أنه قديم وأنه صفة قديمة للواحد الكريم، أهو مثل معبودكم فيكون معبودكم جزئين، وتبطل وحدانيته إذ صار نصفين، لا سيما إذا كان هو والقرآن مثلين.

أم تقولون إنه أفضل من القرآن باللسان والشفتين، فتشبهون الله بغيره من المخلوقين، كما لم تزالوا لذلك معتقدين.

فإن كان معبودكم على ذلك، وكان في الصفات المحدثة كذلك، فلا بد له من صانع خالف بين شفتيه ولسانه، وغاير بين حنكه وأسنانه، وكذلك لا بد له من صانع خالف بين صوته وجثمانه، لأن الصوت لا يخرج إلا من الجثمان، ولا يفرق بين الحروف إلا بالنسمة والجنان، والحنك والشفتين والأسنان، وإذا كان كذلك فلا فرق بينه وبين الإنسان.

ويقال لهم أيضاً: إن معبودهم جالس على كرسيه وعرشه، وأنه يسكن عليه بعد حركاته وبطشه، أليس معبودهم يباشر السرير بأسفله، ويباشر الهواء بأعلاه وأوله، فما

الذي فرق بين أعلاه وأسفله، وغاير بين مُدْبِره ومُقْبِله، فلن يجد المشركون إن شاء الله تعالى جواباً، ولن يملكوا بعد هذا القول خطاباً؛ فزاد الله قلوبهم عمىً وجهلاً، وغياً وضلالةً وخبلاً؛ فلقد عموا ويلهم عن أعظم الأشياء وأجلها، وانتقصوا أعظم الموجودات وأكملها، وعبدوا غير الله بزعمهم.

وما أرأى للإمام بعد عرض التوبة غير قتلهم، والتقرب إلى الله بتلفهم؛ لأنهم بمنزلة عباد الأصنام، وغيرهم من كفرة الأنام، إلا أنهم قد زادوا على شرك المشركين، بقذفهم وشتمهم لرب العالمين، وعداوتهم لخاتم النبيين، وذريته الأخيار الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين، ولعنة الله على الظالمين، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على رسوله سيد المرسلين وأهل بيته الصادقين.

تم الكتاب بِمَنِّ الله وفضله.



وقال -عَلَيْه السَّلام- في :

كتاب السبيلين العقل والنفس[1]

الحمد لله الذي فرق بين الأضداد..إلى قوله: والحق والباطل طريقان، وسبيلان مفترقان، وهما العقل والنفس؛ فالعقل محل كل صدق وصيانة، ومعدن كل حق وأمانة، والنفس محل كل باطل وخيانة، ومعدن كل دناءة ومجانة.

..إلى قوله: فاجعلوها رحمكم الله تابعةً للعقل ولا تجعلوها سلماً إلى الجهل، وحكموا العقول عليها، ولا تتكلوا أبداً إليها، ومن أراد أن يظفر بأعظم الكرامة، ويحل في محل السلامة، وينجو من الحسرة والندامة، فليحكم عقله على هواه، ويؤثر آخرته على دنياه، فالعقل إمام الملائكة المقربين، والأنبياء المهتدين، والأئمة الراشدين، وأتباعهم المقتدين، وهو الدليل على رب العالمين، وحجة على المخلوقين..إلى آخر كلامه -عَلَيْه السَّلام-.

---

[1] - من النسخة (ح).

وقال -عَلَيْه السَّلام- في:

كتاب تفسير الصلاة[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: سألت يا أخي أكرمك الله بهدايته ، وجاد علينا وعليك برحمته ، عن تفسير ما أوجب من الصلاة على العباد، وشغلهم به عن الغي والفساد، ودعاهم به إلى الخير والرشاد.

..**إلى قوله**: وإنما تعبَّد الله المكلفين بالصلوات والخشوع، والتذلل والدعاء إلى الله والخضوع، ليشغلهم بذلك عن التكبر والإعجاب، لما في التكبر والقسوة من سوء الآداب، وفساد القلوب وتغير الألباب، ولأن التذلل أولى بالعبادة، وأبعد لهم من الغفلة والفساد، لأن من خضع لله وذل، فقد سلم لأمر الله وقبل، ومن سلم لأمره سلم من الموبقات، ونجي برحمة الله من المهلكات.

فأول ما نبدأ به إن شاء الله حكمة الله في الأمر بالطهور، وما تفضل به علينا من المصلحة في التقدير؛ **فنقول**:

إن الله عز وجل بنى الكلام على الطهارة من الأقذار، والنزاهة من الأدران والآثار.

إلى قوله: والصلاة في لغة العرب هي الدعاء إلى الله والابتهال، والتضرع والطلب والسؤال.

والأذان: فهو الإيذان والإعلام، والإخبار بوقت الصلاة والإفهام، والتنبيه بالدعاء إلى الصلاة للغافلين، وذلك حجة لله على كل من سمعه من السامعين، وهو أصل ىن أصول الدين، وداعية إلى الحق المبين.

[تفسير ألفاظ الصلاة]

فأول ما يقول القائل في الصلاة عند وجوب ما حد الله من الأوقات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

[1] - من النسخة (ج).

ومعنى قوله: أعوذ؛ هو أستجير بك يا رب وألوذ ، من فعل الشيطان المبعد المرجوم، ومعنى السميع فهو العليم، تأكيد وتكرير لذكر الحليم الحكيم.

ثم يقول: الله أكبر الله أكبر، يريد الله أقدر، الله أقدر ، وأعز من جميع المخلوقين، وأعظم قدراً من جميع المربوبين.

ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، يريد بقوله أشهد أعلم أنه واحد أحد، فإن كان لا يعلم ذلك فليتعلم، وإلا فهو كاذب إن شهد وأقر بما لم يعلم.

وكذلك تفسير قول القائل: أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-، إلى خلقه وأمينه على وحيه.

ثم ذكر الدليل على أن الله واحد وعلى نبوة النبي -صَلَّى الله عَلَيْه وآله-..إلى قوله: وسنرجع إن شاء الله إلى تمام التفسير بعون الله الواحد العليم الخبير فنقول:

معنى قوله حي على الصلاة: هلم إلى الصلاة.

ومعنى حي على الفلاح: هلم إلى الخير والربح والنجاح، والبقاء والسلامة والصلاح.

ومعنى حي على خير العمل: هلم إلى خير أفعال العباد، وأفضل الحسنات بعد الجهاد.

ومعنى قد قامت الصلاة: وجب فرضها وقام، وثبت على المصلين ودام.

ومعنى الله أكبر الله أكبر، قد ذكرناه في الكلام.

باب التوجه والافتتاح

فإذا توجه تعوّذ بالله وهو مستقبل القبلة، وليسكن أطرافه ولا يعجل في شيء من صلاته، وليذكر وقوفه للحساب، ويلهم نفسه الخشية من العقاب، ويقل: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾..الآية [الأنعام:٧٩]، إلى ﴿وَأَنَا أَوَّلُ[(١)] الْمُسْلِمِينَ(١٦٣)﴾ [الأنعام]، ولا يتكلم بكلمة من صلاته إلا ويريد بها الدعاء إلى الله

---

(١) - هكذا لفظ الآية والأحسن أن يقول : وأنا من المسلمين كما قال أهل المذهب. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه.

ومعنى قوله وجهت وجهي: يريد توجهت إليك يا رب وأقبلت إلى طاعتك، واتباع أمرك وإرادتك.

ومعنى فاطر السماوات والأرض: هو الذي صنعهما وافتطر خلقهما وابتدعهما.

ومعنى قوله حنيفاً مسلماً: الحنيف: فهو المستقيم الخاشع.

والمسلم: هو الذي سلم لأمر الله تسليماً، وانقطع إليه ورضي عن الله وتوكل عليه، فلم يرض من الأشياء كلها إلا بما ارتضاه، و لم يوال أحداً غير من والاه، واتصل بالله سيده ومولاه.

ومعنى قوله وما أنا من المشركين: الذين أشركوا مع الله في عبادتهم، وشركوا بين الله وغيره في عملهم، إما بعبادة الأوثان، وإما بالنفاق والتزيين والإنفاق لطلب الشر والسمعة، والجاه عند المخلوقين والرفعة، كما قد رأينا من أفعال الفاسقين، والظلمة المنافقين المشركين بين الخالق والمخلوقين.

ومعنى قوله: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)﴾ [الأنعام]، يريد بذلك اللهم إني جعلت دعائي وديني وحياتي ما حييت لك وموتي في الضعف لك، لا أصرف شيئاً من ذلك في غير مرضاتك.

ثم يفتتح الصلاة فيقول: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾** [الإسراء:١١١]، **الله أكبر.**

ومعنى قوله الحمد لله : هو أمر من الله للعباد أن يحمدوه فيقولوا بأفواههم، ويعتقدوا بقلوبهم، ويعملوا بجوارحهم، فمن حمد الله بهذه الأوجه فقد أطاعه، واستوجب من الله ثوابه.

ومعنى قوله لم يتخذ ولداً : فهو لم يلد ولداً، فيكون أصلاً والداً، لأن الوالد مخرج للولد، والمخرج لا يكون إلا من الجسد، والجسد لا يكون إلا متحركاً مستمراً، أو ساكناً لابثاً مستقراً، وإذا كان إلى هذين الحالين مضطراً، لم يكن خالقاً مدبراً، وإذا كان كذلك

لم يستحق شكراً.

ومعنى قوله ولم يكن له شريك في الملك ، فالملك: هو الخلق المملوك، الذي ليس مع الله فيه شريك.

ومعنى قوله ولم يكن له ولي من الذل: هو أنه غير محتاج إلى معين يواليه، وينفي عنه الذل ممن يعاديه.

ومعنى قوله الله أكبر: فهو أعز وأعظم وأقدر.

تفسير سورة الحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١): معنى بسم الله فهو بذكر الله نبدأ.

ومعنى الله هو الذي تفزع إليه القلوب وتله ولهاً إليه، وهو الشوق عند المهمات، والنوازل والمصائب والملمات، قال الكميت بن زيد يمدح آل رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله-:

ولهت نفسي الطروب إليهم ... ولهاً حال دون طعم الطعام

يعني بالوله الشوق.

ومعنى الرحمن: هو ذو الرحمة والإحسان.

ومعنى الرحيم: مثل تأويل الرحمن ، وهو تأكيد لذكر الرحمة وزيادة في البيان، وإنما أراد سبحانه أن يخبر العباد برحمته ليرجوه ويطيعوه، فيما أمرهم ولا يعصوه.

ومعنى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢)**﴾ فهو الشكر لله رب العالمين، والرب: فهو السيد المالك ليوم الدين، والدين في هذا الموضع فهو الجزاء على الأعمال، والمكافأة على الهدى والضلال.

﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ هو نطيع ونوحد ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ(٥)**﴾ من العون والهداية والتوفيق للطاعة والدين.

﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(٦)**﴾: هو أرشدنا يا رب إلى الطريق المستقيم، لأن الصراط في لغة العرب هو الطريق.

وإنما جعل الله عز وجل هذه السورة للدعاء إليه رحمة منه للعباد، ووسيلة إليه في طلب الرشاد، فهي أشرف ما دعا به الداعون، وتضرع إلى الله به الطالبون.

تفسير سورة التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١) اللَّهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)﴾.

معنى قل: أمر من الله عز وجل بالقول.

ومعنى الأحد: فهو الواحد الذي ليس بذي أجزاء ولا عدد، وهو الواحد أيضاً في فعله الذي لا يفعل مثله أحد.

ومعنى قوله الله الصمد: هو المقصد ، المصمود إليه في الحوائج والمعتمد.

والكفؤ: هو المثل والنظير فنفى عز وجل أن يكون له أحد كفؤاً ولا نظيراً.

باب الركوع والسجود

فإذا ركع بتكبيرة وضع يديه على ركبتيه وسبح فقال: سبحان الله العظيم وبحمده، ثلاث مرات.

ومعنى سبحان الله: هو بعدان الله من شبه المخلوقين[1].

ومعنى العظيم: فهو الجليل المقدار، والقادر على فعل ما أراد.

ومعنى وبحمده: هو بحمده وطاعته نقول ونعمل ونعتقد ونقر ونشهد.

فإذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، **ومعنى سمع الله:** هو أجاب الله دعاء من أطاعه، يريد بذلك الدعاء إلى الله أن يستجيب منه ويرحمه ويجيب دعاءه، ويرحم تضرعه ونداءه.

---

(١) - أي تنزيه الله من شبه المخلوقين ومن الشريك والصاحبة والولد ومن فعل القبائح. ومعنى وبحمده : أحمده بما حمد به نفسه . ومعنى الكلمتين جميعاً : أسبح الله بما سبح به نفسه وأحمده بما حمد به نفسه. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

ثم يكبر ويخر لله ساجداً، وفي التذلل والخضوع جاهداً، ويقول عند سجوده وتمكنه على الثرى بوجهه: سبحان الله الأعلى وبحمده ثلاثاً، سبحان الله: قد فسرناه.

ومعنى الأعلى: هو المستعلي القادر.

ومعنى بحمده: قد فسرناه.

باب الجلوس في التشهد

فإذا صلى ركعتين وجلس بعدهما قال: بسم الله وبالله والحمد لله.

ومعنى بسم الله: هو بذكر الله نبدأ.

ومعنى وبالله: هو وبالله نستعين على طاعته.

والحمد لله: هو الشكر والعمل بطاعة الله.

والأسماء الحسنى كلها لله، ومعنى ذلك: أن كل صفة محمودة فالله مستحق أن يسمى بها ويوصف، وينعت بها ويعرف، والصفات كثيرة العدد، والموصوف بها واحد أحد.

ومعنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: قد فسرناه فيما مضى من كلامنا.

ومعنى اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد: هو اللهم ارحم محمداً وآل محمد.

ومعنى بارك على محمد: هو اللهم اعطه البركات، وامنن عليه بالخيرات وعلى آله.

كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد؛ الحميد: هو المحمود، والمجيد: هو الجواد الكريم.

السلام عليكم ورحمة الله؛ يعني الملكين اللذين عن اليمين وعن الشمال، وَكَّلَهُمَا الله بحفظ الأعمال، وأمرهما أن يكتبا على العبد كل فعل ومقال؛ فرحم الله عبداً أمسك لسانه عما لا يعنيه، وخشي من فعله أن يكتب عليه، واستكثر من الحسنات، وجاهد نفسه عن السيئات، وبكى على نفسه واشتغل بعيوبه، وتاب إلى ربه واستعبر لذنبه.

ومعنى السلام عليك: هو السلامة لكم ورحمة الله وصلواته عليكم.

قال -عَلَيْه السَّلام-: وأنا أسأل الله عالم الغيب والشهادة أن يمحو عني ما كتبا علي من الزلات، وأن يغفر لي ما تقدم وتأخر من العثرات، ويغفر لمن ولدني من المؤمنين والمؤمنات، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وآله الطيبين وسلم.

تم ذلك فرغ منه يحيى بن حسن بن يحيى وفقه الله لخالص الأعمال وكان نقله من خط مولانا السيد الإمام أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي رحمه الله بتاريخ شهر صفر الظفر سنة (١٣١٣).



كتاب التوكل على الله ذي الجلال والرد على المشبهة الضلال[(١)]

كلام المهدي لدين الله الحسين بن الإمام القاسم صلوات الله عليه وعلى أهل بيت رسول الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[معنى قولنا بأن الله في الأشياء]

قال المهدي لدين الله الحسين بن الإمام القاسم بن علي -صلوات الله عليه-: إن سأل سائل فقال: أخبروني عن الله تبارك وتعالى أهو في الأشياء يستحيل على الحقيقة أم لا؟

فالجواب له فيما عنه سأل من المحال: أن الدخول في الأشياء يستحيل على ذي الجلال والإكرام، وإنما هو في الأشياء بعلمه وإحاطته، وفوق الأشياء قاهر بقدرته، وليس دخول علمه كمداخلة الأجسام، وإنما هذا على مجاز الكلام؛ والأصل في ذلك أنه مثل من الأمثال، يُوصِلُ إلى دَرَكِ العلم بهذا المقال.

[العلة التي منعت عن إدراك ذات الله تعالى]

وكذلك إن سأل فقال: ما العلة التي منعت عن درك الذات؟

والجواب في ذلك: أنه لو أدرك لكان كسائر المدركات، ولما فرق بينه وبين المحدثات؛ لأن درك الحواس والعقول والأوهام، لا يقع إلا على جسم من الأجسام، أو صفة جرم من الأجرام، وما يتعالى عنه ذو الجلال والإكرام.

وأما ما سأل عنه من العلة المانعة عن درك القديم؛ فالعلة في ذلك عجز المحدثات عن إدراك الواحد الكريم، المتفضل الرحمن الرحيم[(٢)]، والعلل المانعة عن بلوغ الموجودات القديمِ وغيرِه من المصنوعات تخرج على وجوه معروفة وأسباب معاينة موصوفة.

---

(١) - هذا الكتاب من النسخة (ب).

(٢) - توضيح ذلك أن الله تعالى ليس من جنس ما يُرى فليس بجسم ولا عرض، والرؤية لا تقع إلا على ما كان كذلك. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

فمنها: علة الحجاب والأستار المانعة لدرك الأبصار.

ومنها: علة البعد عن الإفتراق، وعلة عجز الحواس والألباب.

فلو احتجب عن خلقه بالبعد لكان البعد له ساتراً، ولكان لذاته غامراً، ولو غمره لكان مغموراً، ولو كان مغموراً لكان صغيراً، ولو صغر لكان منقوصاً، ولكان بالقلة والنقص مخصوصاً، ولكان محتاجاً إلى الأستار، ومستو بالأمكنة والأقطار، ومنتفعاً بالظلمات والأنوار؛ فتعالى الله عما يقول الجاهلون، وينسب إليه الكفرة الظالمون.

[الدليل على منع الرؤية على الله تعالى]

ومما يدل على فساد قول المشبهة الملحدين ، الفجرة الجهلة الجاحدين: أنه لو كان يدرك بالأبصار لكان في قطر من الأقطار، ولو كان يحويه المكان والحدود لكان محدوداً منقطعاً، ولكان مفترقاً أو مجتمعاً، والمحدود له منقطع يدل على قاطعه، والإجتماع والإفتراق يدلان على مفرقه وجامعه، ومفتطره وصانعه؛ لأن المحدود يدل على محدوده، والمبعض عدد يدل على معدده، ولو كان كما وصف أهل الكفر والإلحاد، من الظهور في الآخرة والمعاد، والتجلي لأبصار العباد، لم يخل من أحد وجهين لا ثالث لهما ولا يوجد في العقول غيرهما.

إما أن يظهر كله فتصح له الحدود.

وإما أن يظهر بعضه فيدخل في التعديد، والله يتعالى عن التحديد، ويجل عن صفة العبيد[1].

---

[1] - يريد الإمام -عَلَيْه السّلام- أن الله تعالى لو جاز أن يُرى بالأبصار لكان جسماً لأن الرؤية لا تقع إلا على الأجسام، غير أن القائلين بالرؤية هربوا من هذه الإلزامات فقالوا إنه تعالى سوف يُرى بلا كيف ؛ بمعنى أنه يُرى تعالى وهو غير متكيّف بكيفيّة ولا متصف بصفة؛ فيرى في غير جهة ولا مكان، وغير متصف بحركة ولا سكون ولا كبر ولا صغر وعلى غير شكل ولا لون ولا قرب ولا بعد ولا....إلخ. تمت من السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض المؤيدي حفظه الله تعالى.

[بيان فساد قول القائلين بالرؤية]

ومما يدل على كفرهم وإلحادهم، وعداوتهم لله وعنادهم، وضلالهم عن الحق وفسادهم، أنه لو كان في الآخرة على ما ذكر الجهال، وقال به الفسقة الضلال، لم يخل عند ظهوره ونزوله وهبوطه وقعودهم ووصوله من أن يكون لابثاً مستقراً، أو متحركاً زائلاً مستمراً.

فإن كان ساكناً لابثاً: فهو مضطر إلى لبثه وقراره، بعد هبوطه وحركته وانحداره، وحاجته إلى الحركة واضطراره، وإقباله في السماوات وإدباره، وبطلان قوته واقتداره.

ومما يدل على حدث معبودهم، تعالى الله عن كفرهم وجحودهم، أن الحركة والسكون محدثان، وهما بمعبودهم متعلقان، وبجسمه مقرونان متداولان، فقد صح حدثه إذا لم ينفك من المحدثات؛ لأن ما كان بين حالين محدثين، ومكوتين بعد العدم موجودين، وكان لا ينفك منهما فهو في الحدث مثلهما، وسبيله سبيلهما، إذ هو مبني عليهما، لا يجد منهما بداً، ولا عنهما معتمداً، فلا بد له من بان بناه عليهما واضطره إليهما.

وإذا كان بزعمهم يجوز عليه الإنتقال، ويلم به اللبث والزوال، فهو **ثلاثة مجموعة**، متغايرة مصنوعة.

أولها: الجسم الساكن المقيم، الذي هو عندهم واحد قديم.

والثاني: سكونه المقرون إليه.

والثالث: انتقاله المضطر إليه.

وهذه ثلاثة من صنع الله جل جلاله، وعظمت نعمه وأفضاله، فليعلم الجهلة الغافلون، الحماق المتجبرون، أن معبودهم غير الواحد الرحمن، وأنهم في الشرك بالله كعباد الأوثان.

ومما يدل على خروجهم من الإسلام، وأن معبودهم حُجَيْرَةٌ من الأصنام، أنهم زعموا أنه يهبط إلى السماوات، وأنه بزعمهم يوصف بالآلات والأدوات، والحواس المدركات، وإذا كان يهبط ويتدلى، وينحدر من العلو سفلاً، ويقطع بحركته الهواء، ويخرق ما عبر من الأجواء؛ فالهواء أكبر منه وأحق منه بالسعة والأولى، لأن الهواء قد حواه، وتضمنه وغاياه،

وأوضح حدوده وناهاه، وأحاط به وآواه، وستر أسفله وأعلاه، وإذا كان الهواء أكبر منه ويستر جميع الأبصار عنه، فهو أصغر من محله وموضعه، وأقل من مهبطه ومطلعه، وإذا كان هو ومحله على ذلك، وكانا في الصفة عندهم كذلك، فهما إذاً مختلفان، وبالتغاير والتفاضل موصوفان.

فإذا اختلفا فلا بد لهما من صانع خالف بينهما، ودل بذلك على حدوثهما، لأن الأهوية من السماوات إذا حوته، وأحاطت به وتضمنته، فقد زادت عليه وفضلته، وإذا زادت عليه فقد صح نقصانه وصغره، و[حاجته إلى] مصغره وفاطره وخالقه ومقدره.

وكذلك إذا اختلفت جوارحه، وتغايرت أدواته ومصالحه، فذلك دليل على رحمة خالقه، وحكمة مصوره ورازقه، إذ جعل كل عضو منه لسبب من الأسباب، ومصلحة تدل على الله رب الأرباب.

وكذلك إذا كان على كرسيه وعرشه، وسكن عليه بعد حركاته وبطشه، فعرشه إذاً أكبر منه وأقوى وأشد، وأمكن من الأجواء، لأن عرشه ممسكه عن السقوط، والهواء يسلمه إلى الذل والهبوط، فهو على حالين مختلفين متغايرين غير **مؤتلفين**:

أحدهما: عرشه الذي هو أقوى منه على الحلول، لفضل قوة الحامل على المحمول، وهذه صفات العبد الذليل.

فيا لها عقولاً أعميت عن الحق واليقين، واسْتُعْمِلَتْ في الضلال المبين، فنعوذ بالله من الحيرة في الدين، واتباع مردة الشياطين، ونبرأ إلى الله من الجهل والتقليد، وتشبيه الواحد المجيد، بالأجسام ذوات الحدود، وصفات عجزة العبيد.

[بيان التوكل ومعناه]

مسألة: فإن قال ما التوكل؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: حقيقة التوكل اليقين بالله الجليل، ولا يصح اليقين إلا بعد ثبات الدليل، فإذا عرف العبد خالقه، وعرف عدله ورضي عنه، وسلم له، فذلك المتوكل على الله المستوجب لثوابه، الناجي من سخطه وعقابه؛ فمن أراد أن يظفر بمعرفة الله

وتوحيده، ويقر بالله وتمجيده، فليمتحن قلبه بكلامنا، وليصبر نفسه على قولنا؛ ثم لا يكابر عقله، ولا يحكم على يقينه جهله، ويحسن بالله ظنه في كل أفعاله، ولا يتهمه في شيء من أعماله؛ فإن الله عز وجل أحكم الحكماء، وأرحم الرحماء، وإذا كان كذلك فليس يفعل فعلاً إلا بعد اختياره لعلمه بالمصالح واقتداره.

اللهم يا مولاي إني أحمدك على ما فعلت ولا أذم خيرتك فيما اخترت، ولا أقول لك لم تفعل فيما صنعت، بل أسلم لك يا مولاي في كل ما قدرت، وائتمرت بكل ما أمرت، فلك الحمد أن أنعمت علي، ولك الحمد إن ابتليتني، ولك الحمد إن أحييتني، ولك الحمد إن أمتني، ولك الحمد إن أعطيتني، ولك الحمد إن منعتني، ولك الحمد إن شفيتني، ولك الحمد إن أمرضتني، لأني أقر على نفسي بالعجز والجهل، وأشهد لك بالعلم والفضل، والحكمة والجود والعدل، فكيف أحكّم عجزي على قوتك، أو أحكم جهلي على علمك، فكل ما فعلتَ يا حكيم فأنت فيه مصيب فاختر لي بعلمك في جميع الأمور، ولا تكلني إلى نفسي في شيء من التدبير، فإني يا عظيم لا أثق بنفسي، لعلمي بضعفي ومسكنتي، وفقري إلى رحمتك وفاقتي، ولا حول ولا قوة إلا بك، ولا أرجو الخير إلا بأسبابك.

اللهم إني أستحيي من سؤال أحد من العبيد، وأنت أقرب إلي من حبل الوريد، فارحم خادمك وعبدك الذليل العليل، يا واحد يا عظيم يا جليل، ألا تعذبنا بنار الجحيم.

[معنى خطاب الله للعباد]

مسألة: فإن قال: ما منع الله من خطاب العباد بنفسه؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إنما الخطاب هو الكلام المخلوق، وقد أنزل الله كلاماً وبرهاناً وشفاء ورحمة، لا نحتاج معه إلى غيره من الخطاب، لفضل ما جعله في القرآن من الأسباب، فأما هؤلاء الأوباش الأنجاس، فإنهم لا يستأهلون خطابه، ولا يسمعون حكمته وصوابه، ولو أسمعهم كلاماً كما أسمع نبيه موسى -صَلَّى اللهُ عَلَيْه- لخلت أنهم لا ينسبون ذلك إليه، لما هم عليه من مكابرة العقول، وتكذيب الكتاب والرسول، ولو سمعوا كلاماً

لنسبوه إلى الشياطين، لمكابرتهم للحق واليقين، ولو علم الله أن في ذلك مصلحة لفعله، وأوجده للعباد ونزله، ولكن علم أن صنعه في الأجسام أشفى، وأبين للعباد وأكفى.

[الحكمة في وعيد الله بالتخليد]

مسألة: فإن قال: ما منع الله من أن يمسك عن الوعيد بالتخليد، حتى يمكنه العفو في الآخرة عن العبيد، ويكون صادقاً في الوعد والوعيد.

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن الله سبحانه، وعز عن كل شأن شأنه، لو أطمعهم بالنجاة من العذاب، مع ما هم عليه من قبائح الأسباب، [وما يستحقون عليه العقاب، من المعصية والظلم والكفر] فكيف تزيل أيها السائل وعيد الله ليعينهم على [المعصية]، بل حرض لهم في القرآن بالأهوال، إذا أوعدهم أن ذلك أعظم لخوفهم، وإذا عظم خوفهم، اقتصروا من العناد، وهربوا إلى الرشاد، ولطلب الخوف من العقاب، ورجاء لما وعدوا من الثواب.

[الحكمة في جَبْل العباد على الشهوات]

مسألة: فإن قال: لم جبلهم على الشهوات، وفي علم الله أنها تدعو إلى الهلكات، وتوقعهم في الموبقات؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: اعلم أن الله تعالى بنى الدنيا على أهوائها، ليدلهم بذلك على الاخرة ولذاتها، وركبهم على غير ذلك، ليفهموا ما في الآخرة من النعيم، واللذات والثواب الكريم.

وجه آخر: أنه بناهم على الحاجة وأغناهم، ليدلهم بذلك على ما أولاهم، فالحمد لله على ما أولانا من نعمه، ودفع عنا من نقمه.

ودليل آخر: أنه ذكر عنهم الشهوة للنعيم، لما في ذلك من حكمة الحكيم وجعل من عاقبة ذلك من النسول، التي أخرجها بالشهوة من الأصول.

ودليل آخر: إنما ركبهم على الشهوات ليلهمهم فضلهم، عند تركهم الحرام وصبرهم، مع أنه أغناهم بالحلال عن الحرام، وفرق بذلك بين أهل الكفر والإسلام.

[أسباب الصبر]

مسألة: فإن قال: أليس الصبر عندكم حسن في المعقول؛ فإن قيل: فلم حسن من الإنسان و لم يحسن أن يوصف به الواحد الرحمن؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إن الصبر لا يكون إلا على التعب والألم والمحنة والغيظ والقسم، وهذه العلل من ضعف الحيوان، والله يتعالى عن الضعف والهوان.

[الفرق بين إحسان الله وإحسان المؤمنين]

مسألة: فإن قال: فما تفرق بين إحسان الله وبين إحسان المؤمنين؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: إحسان المؤمنين للطمع بالثواب، وخوف النيران والعذاب، والمحن والعقاب، ودرء ما لا يحصى من الأسباب، وإحسان الله تفضل بالخلق على المخلوقين، وتكرم بالرزق على المرزوقين، لغير حاجة منه إلى خلقهم، ولا ضرورة ألجته إلى رزقهم؛ فالحمد لله الذي أحسن إلينا وأسبغ نعمه علينا.

[هل تصح الأفعال من الجمادات]

مسألة: فإن قال: فهل يصح للجمادات فعل من الأفعال، ويجوز ذلك في الإعتقاد والمقال؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لا يصح الفعل من الجمادات إلا على مجاز الكلام، فأما فعل الطبائع فمن ذي الجلال والإكرام، آيات إنما استقامت أرواحها بطبائع الأطعمة والشراب، وذلك من حكمة رب الأرباب، ومصلح الأسباب، لأن الأغذية لا تعقل عجائب التدبير، ولا يتم إصلاح الأمور بالأمور، وعجائب الحكمة والتصور إلا الله العليم الخبير.

ألا ترى إلى ما صنع الله في غذاء الأشجار، بما نزل في الأهوية من الأمطار، وأجرى من العيون والأنهار، وصلاح الحيوان والثمار، جعله في الأشجار مداخلاً للمياه، ويجعله في الأشجار بمنزلة الحلوق والأفواه، فجعل لكل حبة من الثمار مسقى، وحله للماء طريقاً واحداً، وذلك بلطفه في العروق، وجعلها بمنزلة الحلوق، وليس من طبع الماء أن يصعد

علواً، ولا يسمو إلى أعالي الأشجار سمواً، وإنما طبع الماء على الثقل والإنحدار، وعلى الثبات في الأرض والقرار؛ فلما رأيناه يصعد إلى نشوات الأغصان، علمنا أن ذلك من الواحد الرحمن.

وكذلك فعل سيدنا عيسى -صَلَّى اللهُ عَلَيْه- فليس منه وإن نسب إليه، وإنما فعله الحركات والسكون والضمير، والتقليب للطين والتقدير، وعلى ذلك فلا يوجب الحياة بعد الممات، ولا يوجد الأرواح في الجمادات، وكذلك سكونه وحركاته فلا يردان إلى الميت حياته، ولا يكون رد الحياة من الروح أبداً من فعل الطاهر المسيح.

فإن عارض بعض الملحدين أن توجد النطف من بين الأصلاب والأرحام، ليكون ذلك بَيِّنٌ للأنام، وأنفى للتشبيه والأوهام، ويوجد الزرع في الأرض يبسا، ويحيي الموتى على غير يد عيسى؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لأن الله سبحانه إذا تبين حكمته وإظهار إحسانه ونعمته، فجعل كل معنى من خلقه لمعنى لإصلاح ما صنع وبنى، ولا يجعل الشيء للمصالح إلا عالم بإصلاحها، لما أراد من بيان الحكمة وإيضاحها، ولو أحيا الموتى على غير يد نبيه، وحبيبه المصطفى ووليه، لما ثبتت لهم رسالته، ولما قامت عليهم حجته، وإنما أظهر الله ذلك على يديه، ليركن جميع العباد إليه، ويعتمد أولي الألباب في دينهم عليه.

[الحكمة في التعبد بالصلاة]

مسألة: فإن قال فلم تعبد الله الخلق بالصلوات، وكلفهم ذلك في جميع الأوقات؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: وإنما تعبدهم الحكيم بالخشوع، وأمرهم بالتذلل والخضوع، ليشغلهم به عن الفواحش والمنكرات، وينهاهم الخوف عن الظلامات، فكل ما شغل عن الظلم والفساد، ففيه مصلحة لجميع العباد، وكذلك القول في الحج والصيام، وغيرهما من شرائع الإسلام.

تمّ الكتاب بحمد الله ومنّه فلله الحمد كثيراً بكرةً وأصيلاً.

فهرس المواضيع



★ ★ ★ ★ ★ ★



